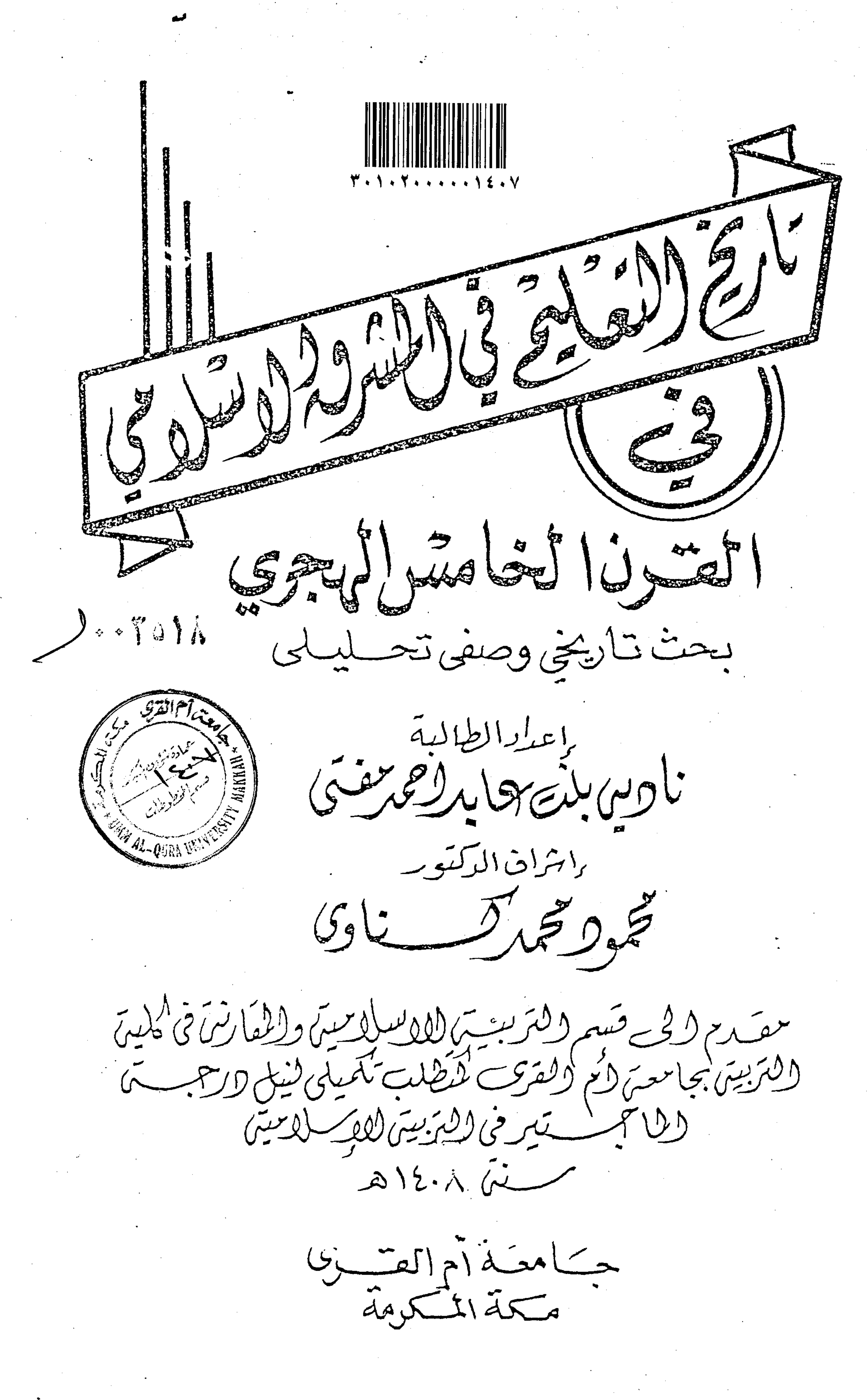


تاريخ التعليم في المشرق الإسلامي في القرن الخامس الهجري

بحث تاريخي وصفي تحليلي

إعداد الطالبة
نادية بنت عابد أحمد مفتي

إشراف الدكتور
محمود محمد كسناوي

مقدم الى قسم التربية الاسلامية والمقارنة في كلية التربية بجامعة أم القرى كطلب تكميلي لنيل درجة الماجستير في التربية الإسلامية
سنة ١٤٠٨هـ

جامعة أم القرى
مكة المكرمة

بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة أم القــــــــرى
كلية التربية بمكة المكرمـــة
الدراسات العليا

نموذج رقم (٨) *

اجازة أطروحة علمية فى صيغتها النهائيـــة
بعد اجراء التعديلات المطلوبـــة

الاسم رباعـــي : نادية بنت عابد أحمد مفتـــــــــي القسم التربية الاسلامية والمقارنــــ

الدرجة العلمية ماجستيـــــــــــر التخصص تربية اسلامية ومقارنـــــ

عنوان الاطروحـة : (تاريخ التعليم فى المشرق الاسلامي فى القرن الخامس الهجرى) ....

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد ،،

فبناء على توصية اللجنة المكونة لمناقشة الاطروحة المذكورة عاليه والتي تمت مناقشتها بتاريخ ١٩ / ١١ / ٨ ١٤٠هـ بقبول الاطروحة بعد اجراء التعديلات المطلوبة ، وحيث قد تم عمل اللازم .

فان اللجنة توصي باجازة الاطروحة فى صيغتها النهائية المرفقة كمتطلب تكميلي للدرجة العلمية المذكورة أعلاه والله الموفق .

أعضاء اللجنة

	المشرف	مناقش من القسم	مناقش من خارج القسم
الاسم :	د. محمود محمد عبد الله كسناوي	د. أفكار محمد الحسن سلام	د. فواز بن علي الدهـــاس
التوقيع :			

رئيس قسم التربية الاسلامية والمقارنـــة

د. نجم الدين عبد الغفور الانديجاني

* يوضع هذا النموذج أمام الصفحة المقابلة لصفحة عنوان الاطروحة فى كل نسخة


بسم الله الرحمن الرحيم
وبه نستعين

قائمة المحتويات

الإهداء ...

إلى والدي الفاضل ووالدتي الفاضلة اللذان لهما الفضل بعد الله سبحانه وتعالى في تنشئتي على حب العلم منذ الصغر .

إلى ابنتي الغالية التي أتمنى لها حياة مشرقة بنور الإيمان والعلم النافع .

إلى اخواني عموماً لما تحملوه من مشقة فترة إعداد هذا البحث .

وإلى كل الراغبين من أبناء الأمة الإسلامية في الإطلاع على تراثها وحضارتها .

شكر وتقدير

الحمد لله أشكره على نعمائه وفضله وبعد :

فإني أتقدم بالشكر الجزيل لجامعة أم القرى بمكة المكرمة، وأخص بالشكر كلية التربية وقسم التربية الإسلامية والمقارنة على ما يقدموه من جهد في سبيل عطاء أفضل .

كما إني أقدم بالغ شكري وتقديري للأستاذ المشرف الدكتور محمود محمد كسناوي جزاه الله عني خير الجزاء .

وكذلك أتقدم بالشكر والتقدير لكل من شارك في تعليمي وتوجيهي جزى الله الجميع عن العلم والمتعلمين خير الجزاء .

وأطلب من الله تعالى أن يحفظ لي أسرتي التي عملت على تهيئة كل أسباب الأجواء المريحة في سبيل إنجازي لهذا العمل المتواضع .

حفظ الله الجميع وأحاطهم بعين رعايته إنه سميع مجيب الدعاء .

خلاصة البحث :

هدفت هذه الدراسة الى محاولة تقديم صورة واضحة عن تطور التعليم فى المشرق الاسلامى فى القرن الخامس الهجرى ، فقد حاولت الاجابة على الاسئلة التالية :-

- ما دور الدولة فى التعليم خلال تلك الفترة ؟ .
- متى يبدأ تعليم الفرد المسلم خلال الفترة وحتى ينتهى ؟ .
- ما المؤسسات التربوية التى كان يمارس فيها التعليم ؟ .
- كيف كان تعليم الخاصة ؟ .
- ما المستوى الثقافى والاقتصادى والاجتماعى للمعلمين وما مسئولياتهم؟

وتألفت الدراسة من خمسة فصول هى :-

الفصل الاول : واشتمل على أهمية وأهداف وموضوع وحدود ومصطلحات البحث كما اشتمل ايضا على الدراسات السابقة التى لها علاقة بالدراسة .

الفصل الثانى : وتناول المشرق الاسلامى فى القرن الخامس الهجرى من ناحية الاوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية فى الجزيرة العربية والعراق والشام ، وكذلك تناول اثر هذه الاوضاع على الحالة العلمية والفكرية .

الفصل الثالث: وعالج نظام التعليم فى المشرق الاسلامى فى القرن الخامس الهجرى . وتناول فيه دور الدولة فى التعليم ، أهداف التعليم ، مراحل التعليم ، تعليم الخاصة ، تعليم المرأة ، المعلمون .

الفصل الرابع: وعالج مؤسسات التعليم فى المشرق الاسلامى فى القرن الخامس الهجرى وهى : الكتاتيب ، المساجد ، حوانيت الوراقين دور الكتب ، المكتبات ، بيوت العلماء ، الزوايا والربط ، الدواوين ، البيمارستانات. نشأة المدارس ، المدارس النظامية ، وظائفها ، ثم أهم المدارس التى ظهرت فى ذلك القرن .

الفصل الخامس: وقد احتوى على أهم النتائج والتوصيات التى توصل اليها البحث ، ومن أهم النتائج مايلى :-

كان المسجد أول مكان للدعوة والتعليم . كما كان القرآن الكريم محور الارتكاز للمنهج الدراسى فى الكتاب ، ثم نشأة المدارس النظامية فى القرن الخامس الهجرى وكذلك تأثر التعليم الاسلامى بالمدارس الفكرية والمذاهب الدينية ، ثم ان النظرية التربوية الاسلامية لا تفصل بين الدين والعلم فجوهر النظام التربوى فى الاسلام هو العلم والعمل ، ومحوره الفرد المسلم .

المقدمــة :

الحمد لله وكفى والصلاة والسلام على خير من اصطفى سيدنـــا محمد وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه الى يوم الدين . . وبعد :

اننا كمسلمين نسلم بحقيقة الاسلام القائمة على أنه نظـــام دينى ودنيوى فى وقت واحد ،فالاسلام خلاصة اديان السماء . فهو يعمل على تكوين شخصية المسلم المتوازنة والتى ينمو فيها الجانـــب (الجسمى والروحى والعقلى) تنمية متوازنة بحيث لايطغى فيها جانــب على جانب آخر،فهو الدين الذى ارتضاه الله للبشرية جمعاء ،فنجـده بعيدا فى تربيته عن المادية البحته كما يفعل الغرب الآن أو الروحانية الخالصة البعيدة بدورها عن الواقع المعاش. فلذلك نجد أن التربيـــة الاسلامية تسعى لتحقيق السعادة فى الدنيا والآخرة ،ويتم ذلك من خلال تربية الفرد المسلم منذ الطفولة فى المنزل ثم مؤسسات التربية المختلفة المراحل حتى يكتمل بناء تلك الشخصية فتخرج للحياة هدفها عبـــادة الله وحده لاشريك له . ثم العمل على عمارة الارض بما يحقق غايـــات مجتمعها المسلم فى ظروف التقدم العلمى والتقنى .

ومن هذا يتضح ان الاسلام أنهى عمليا القطيعة بين الديـــن والعلم كما أعتقد بعض رجال الديانات الاخرى فأننا نجد أن أول آيـة من آيات القرآن الكريم نزلت على سيد المرسلين محمد صلى الله عليه وسلم تحث على العلم والتعليم حيث يقول سبحانه وتعالى : (اقْـــرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ . خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ . اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ الَّـــذِى

عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الإنسانَ مَالَمْ يَعلَمْ) (١)

ولكي يشعر العزيز الحكيم المسلمين بتقدير العلم والتعليم أقسم بأداة الكتابة في قوله تعالى : (نَ وَالْقَلَمِ وَمَايَسْطُرُونَ) (٢)

فالعلم يؤدى الى تقوى الله وخشيته، وهو جوهر الايمان وروحه، ذلك انه (إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَاؤُا) (٣)

ولقد نادى علماء المسلمين من منطلق اهتمام الفقهاء المحدثين بوجوب العلم وتحدثوا عن مسئولية المعلم والمتعلم ، وقد دعم ذلك حكام المسلمين منذ صدر الاسلام وحتى عصور الازدهار للحضارة الاسلامية في عهد الخلافة العباسية .

ولنذكر هنا كلمة للاستاذ الأمريكى "روبير" فى كتابه " النزاع بين العلم والتعليم قوله بأن :

" امراء المسلمين فى الاقاليم ينافسون الملوك ويناظرونهم فى رعاية العلم والعلماء، وكان من نتيجة تنشيطهم وتشجيعهم للعلماء ان انتشر الذوق العلمى فى المسافة الشاسعة التى بين سمرقند وبخارى الى فارس وقرطبة. ويروى عن وزير لأحد السلاطين انه تبرع بمائتى الف دينار لتأسيس كلية علمية فى بغداد، ووقف عليها خمسة عشر الف دينار سنويا، وكان عدد الطلبة فيها ستة آلاف لا فرق فيهم بين غنى وفقير. ويعطون

---

(١) سورة العلق، آية : (١- ٥)

(٢) سورة القلم، آية : (١)

(٣) سورة فاطر ، آية : (٢٨)

الاساتذة مرتباتهم بكرم وسماحة، وكانت المؤلفات
تنسخ وتجمع سدا لحاجات اهل العلم، ورغبة
الأغنياء في جمع الكتب". (١)

ومن منطلق ما تقدم نستطيع ان نقول: ان الذات الاسلامية الاصيلة كانت وراء نجاح التعليم وتقدمه في عصر الازدهار الاسلامي. لقد طور وأثرى ذلك التعليم الحياة على الارض الاسلامية.

وهنا نتساءل ماذا نحتاج لكي نعي تلك الذات الاسلامية، ولكي نستأنف المسيرة الزاهرة؟

اننا نحتاج للجهد العقلي، والاهتمام بتراث الاقدمين ليكون اساسا ومنطلقا للتجديد والاضافة والتطوير.



---

(١) محمد عطيه الابراشي : التربية الاسلامية وفلاسفتها ط٤ القاهرة دار احياء الكتب العربية ١٩٨٥، ص ٦٣

أهمية البحث :

ان دراستنا لأحد عصور الإزدهار والرقى فى فترة من فترات الاسلام الزاهية، ليست فى الواقع توقفا عند الماضى، ولا هى دعوة للعودة الى الوراء، بقدر ما هى محاولة للتعرف على اساس ثابت يمكن ان نركن اليه فى بناء أمتنا الاسلامية فى العصر الحديث.

والاهمية الكبرى لهذه الرسالة تكمن فى اطلاعنا على الاسلوب الذى اتبعه المسلمون فى المشرق الاسلامى فى القرن الخامس الهجرى فى تربية ابنائهم كما أنها تبين لنا مقدار الاهتمام الذى بذلوه دولة وشعبا فى هذا المجال الحيوى، علاوة على اطلاعنا على تاريخ تعليمنا فى العصور الوسطى التى كانت اوروبا فيه تعيش فى ظلمات الجهل والتخلف.

ولعل هذه الدراسة تفيد فى التعرف على ما يجب الأخذ به وما يجب ان نبتعد عنه حتى نتمكن من بناء نظام تربوى سليم لتربية اجيالنا القادمة.

ان دراسة فكرنا التربوى الاسلامى يبدو أكثر أهمية لأنه مازال يعيش حيا وعلى ذلك فأن دراسة هذا الفكر ليس احياء له. ولا مجرد تعلق به، ولكن احساسا بالحاضر وانتماء للمستقبل وزيادة فى الوعى بعد أن اصبحنا نعيش على هامش الحضارة، مستهلكين لمنجزاتها دون ان نسهم فى صنعها.

أهداف البحث :

تهدف هذه الدراسة الى تقديم صورة واضحة عن تطور التعليم في الجزيرة العربية والعراق والشام في القرن الخامس الهجرى ، أى كيف كان يتم اعداد الفرد المسلم وتثقيفه ابتداء من سنى حياته الأولى حتى يصل الى اقصى مايطمح اليه من تعليم مبينا النواحي التالية :

- الدولة ودورها في التعليم؟
- متى يبدأ تعليم الفرد ومتى ينتهى ؟
- المؤسسات التربوية التى كان يمارس فيها التعليم خلال كل مرحلة من مراحل حياة الفرد .
- تعليم الخاصة مثل ابناء الامراء والوزراء والقادة ،وتعليم المرأة .
- المعلمون ومستواهم الثقافى والاقتصادى والاجتماعى ومسئولياتهم .

منهج البحث :

وقد استخدمت الباحثة منهج البحث التاريخى ،والمنهج الوصفى التحليلى .

" ذلك أن المنهج التاريخى هو اداة الوصول الى مادة تاريخ التربية ومن ناحية اخرى فان استخدام المنهج التاريخى فى التربية قد يتناول دراسة احداث ووقائع معينة تمت فى الماضى وذلك بقصد التوصل الى نتائج معينة لا تقف عند حد وصف او تقرير ماتم فى الماضى فحسب،وانما يكون لهما استنادا الى الخبرات والممارسات الماضية قيمتها او فائدتها فى مجال العمل التربوى فى حاضره أو مستقبله" (١)

والمنهج الوصفى التحليلى :

" يعتمد على وصف ماهو كائن ،وتفسيره ،وهو يهتم بتحديد الظروف والعلاقات التى توجد بين الوقائع كما يهتم ايضا بتحديد الممارسات الشائعة أو السائدة والتعرف على المعتقدات والاتجاهات عند كل من الافراد والجماعات وطرائقها فى النمو والتطور" (٢) فهو اسلوب لوصف المحتوى الظاهر للاتصال وصفا موضوعيا منظما وكميا . (٣)

وبناء على ذلك فقد استخدمت الباحثة المنهج التاريخى فى وصف الاحداث التاريخية ومن ثم دراستها وتحليلها وتفسيرها .

---

(١) جابر عبدالحميد جابر: مناهج البحث فى التربية وعلم النفس ط ٢، القاهرة ; دار النهضة العربية ١٩٧٨م ،ص١٠٩ .

(٢) المرجع السابق ،ص ١٣٦ .

(٣) المرجع السابق ص ١٦٤ .

موضوع البحث:

لقد عرف الاسلام التعليم منذ اللحظات الاولى لنزول الوحى على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فقد كان يجتمع بالقلة التى آمنت به فى دار الارقم بن أبى الارقم تلك الدار التى تعتبر أول مؤسسة تعليمية عرفها المسلمون يتعلمون فيها ما نزل على النبى صلى الله عليه وسلم من آيات القرآن الكريم وبعد الهجرة النبوية المباركة يصبح المسجد المؤسسة التعليمية الهامة والتى لعبت دورا فى شتى مجالات الحياة فهو الى جانب كونه مكانا للعبادة بالدرجة الاولى "نجده معهدا للتعليم، ودارا للقضاء وساحة تتجمع فيها الجيوش ومنزلا لاستقبال السفراء" (١)

وينتصر الاسلام ويعز جانبه ويقوى وينتشر فى انحاء المعمورة فتتوالى مؤسسات التعليم تباعا من المسجد الى الكتاب الاسلامى، ثم امام التقدم الحضارى الذى قطعته مدنية الاسلام تظهر دار الحكمة فبيوت العلماء، ثم حوانيت الوراقين وتظهر البيمارستانات والربط والزوايا .

ويعتبر القرن الرابع الهجرى من أزهى العصور الاسلامية فكرا وثقافة، ففيه حدث اللقاء بين الفكر الاسلامى العربى الاصيل والفكر الاجنبى فى اوسع صوره . فنشأت نتيجة لذلك حياة عقلية وثقافية لها طابعها الخاص، ذلك الطابع الذى يمتاز بامتصاص

---

(١) احمد شلبى : التربية الاسلامية نظمها - فلسفتها - تاريخها ط ٧ القاهرة: دار النهضة المصرية، ١٩٨٢م ص ١٠٢ .

الثقافات الاجنبية واضافتها الى عناصر الفكر العربى . وكان ذلك مقدمة لظهور المؤسسات التعليمية الرسمية . (١)

وفى القرن الخامس الهجرى أصبح نظام المدرسة ضرورة تفرض نفسها على الواقع الاسلامى ، والحق أن ظهور المدارس فى تاريخ التعليم فى الاسلام يمثل أسمى انجازات النظام التربوى الاسلامى ذلك النظام الجديد بكل اهتمام ، فظهور المدارس لم يكن ظاهرة مفاجئة ، وانما هو حصيلة لتطور النظام التربوى الاسلامى عبر ما لايقل عن اربع قرون . (٢)

ومن هنا سوف تركز هذه الدراسة على تطور التعليم فى المشرق الاسلامى فى القرن الخامس الهجرى ، حيث ان القرن الرابع الهجرى يمثل أزهى عصور الازدهار الاسلامية ، وقد توج هذا الازدهار فى القرن الخامس الهجرى بظهور المدارس النظامية .

حدود البحث :-

أ - المجال الجغرافى :

لقد تناولت الباحثة موضوع دراستها فى اطار المشرق الاسلامى بصفة عامة ولكنها ركزت بصفة خاصة على شبه الجزيرة العربية والعراق وبلاد الشام ، حيث أن هذه المناطق الثلاث تعد منطقة متصلة تتأثر ببعضها البعض وليس هناك حواجز طبيعية تفصل بين تلك المناطق الثلاث

---

(١) انظر فى ذلك / حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسى والدينى والثقافى والاجتماعى ، المجلد الثانى والثالث ط ٧ القاهرة : مكتبة النهضة المصرية ١٩٦٧ م ، المقدمة .

(٢) منير الدين أحمد : تاريخ التعليم عند المسلمين والمكانة الاجتماعية لعلمائهم حتى القرن الخامس الهجرى ، مستقاة من تاريخ بغداد للخطيب البغدادى ، ترجمة وتلخيص وتعليق سامى الصقار . الرياض : دار المريخ ، ١٤٠١ ص ١١ .

ب - المجال الزمنى :

اختارت الباحثة القرن الخامس الهجرى حيث ان معظم المصادر التى أطلعت عليها تؤكد أن المدرسة بمفهومها النظامى ظهرت فى القرن الخامس الهجرى فى المشرق الاسلامى .

جـ - المجال الموضوعى :

لقد تناولت الباحثة مظاهر تطور النظام التعليمى فى المشرق الاسلامى فى القرن الخامس الهجرى مع التركيز على نشأة المؤسسات التربوية وتطورها .

مصطلحات الدراسة :

١- البيمارستانات :-

(بفتح الراء وسكون السين) كلمة فارسية مركبة من كلمتين (بيمار) بمعنى مريض أوعليل أو مصاب (وستان) بمعنى مكان أودار فهى اذا دار المرضى ثم اختصرت فى الاستعمال فصارت مارستان - (١)

٢- الزوايا :-

وهى جمع زاوية وهى المكان الذى ينزوى فيه المعتكف

---

(١) احمد عيسى : تاريخ البيمارستانات فى الاسلام،ط ٢ بيروت: دار الرائد العربى ، ١٤٠١هـ،ص ٤ .

فى ركن من اركان المسجد للعبادة. (١)

٣ - الديوان :

كلمة فارسية معناها سجل أو دفتر ، وأطلقت مجازا على المكان الذى يحفظ به الديوان. (٢)

الدراسات السابقة :

ان من أهم الدراسا ت التى اطلعت عليها الباحثة والتى نشرت فى كتب، وكانت موضوعاتها تدور حول مجالات عصور الازدهار الاسلامية هى مايلى :-

الدراسة الاولى :

ان من أهم الدراسا ت التى أطلعت عليها الباحثة والتى نشرت فى كتب ،وكانت موضوعاتها تدور حول مجالات عصور الازدهار الاسلامية هى مايلى :-

دراسة احمد شلبى والتى نشرت فى كتاب لاول مرة فى عام ١٩٥٣. وكان عنوان الدراسة (التربية الاسلامية) ، والهدف من الدراسة تناول نظم التربية الاسلامية وفلسفتها وتاريخها.

وكانت نتائج الدراسة تتلخص فيما يلى : هى ابرازها جانبا مهما من جوانب الحضارة الاسلامية وهو الجانب التربوى، وهى تعد دراسة رائدة فى هذا المجال ،وان كانت الدراسة قد اخذت فترة

---

(١) حسن ابراهيم حسن ، مرجع سابق ، جـ ٤ ،ص ٤٢٣.

(٢) نفس المرجع، ص ٤٤٤.

زمنية طويلة من تاريخ التربية الاسلامية ومساحة جغرافية أوسع. (١)

الدراسة الثانية :

دراسة محمد اسعد طلس بعنوان التربية والتعليم فى الاسلام.
والهدف من هذه الدراسة هو دراسة التعليم فى الدولة الاسلامية فى المشرق الاسلامى ، والتعليم فى بلاد الاندلس على حد سواء.

وتتلخص اهم نتائج الدراسة فى ان ما وصلت اليه حضارة الاسلام فى الجانب التربوى ينم عن تقدم وازدهار . وكذلك الدراسة تعد دراسة رائدة فى هذا المجال. (٢)

الدراسة الثالثة :

دراسة احمد فؤاد الاهوانى ،وقد طبعت فى كتاب ايضا.
وعنوان الدراسة التربية فى الاسلام.
والهدف من الدراسة هو ابراز النواحى التربوية التى نادى بها القابسى ،وكان ايضا من اهدافها محاولة التوازن بين مذهب القابسى وبين المذاهب الحديثة فى التربية والتعليم.
وكانت نتائج الدراسة هى : ان تقدم الحضارة الاسلامية كله

---

(١) احمد شلبى ، مرجع سابق.
(٢) محمد اسعد طلس، التربية والتعليم في الاسلام ،بيروت:دار العلم للملايين ، ١٩٥٧م.

كان مرتبطا ارتباطا وثيقا بالتربية الاسلامية تلك التربية التى تحث على التقدم والازدهار والوصول بالانسان المسلم الى ارقى درجات الحضارة التى تنطلق من منطلق اسلامى عن طريق اجتهاد علماء ومفكرى الاسلام الذين يجب ان يعملوا على ايجاد اسلوب تربية جديد بان يتلقاه ابناء المسلمين تتكون بمقتضاه الذات الاسلامية الاصيلة. (١)

الدراسة الرابعة:

دراسة حسن عبدالعال بعنوان التربية الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى. وقد هدفت الى الكشف عن الفكر التربوى الاسلامى فى القرن الرابع الهجرى، وكذلك الكشف عن اهداف التربية الاسلامية والتربية الخلقية فى القرن الرابع الهجرى.

وقد تمخضت هذه الدراسة عن وجود تراث تربوى عظيم خلفه المسلمون الاوائل فى القرن الرابع الهجرى، فقد ازدهرت الحضارة الاسلامية بسبب دقة نظام التربية التى كانت محققة لروح الاسلام حيث صحبته منذ بدء ظهوره. ولقد تناولت فترة زمنية محددة هى القرن الرابع الهجرى ولم تحدد منطقة معينة فقد شملت الدراسة منطقة واسعة من الارض الاسلامية. (٢)

---

(١) احمد فؤاد الاهوانى، التربية فى الاسلام، القاهرة: دار المعارف، ١٩٨٠م.

(٢) حسن عبدالعال، التربية الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى، القاهرة: دار الفكر العربى، ١٩٧٨م.

أما فى هذه الدراسة التى تقوم بها الباحثة فهى تختلف عن الدراسات السابقة فى انها اختصت ببحث القرن الخامس الهجرى من الناحية التربوية بصفة عامة والتركيز على تطور التعليم فى تلك الفترة على وجه الخصوص ذلك التطور الذى تمثل فى ظهور المدارس وانتشارها فيما بعد وهو أسمى انجازات النظام التربوى الاسلامى وهذا كان نتيجة تطور اهداف التعليم التى تتضح من خلال دراسة فكر الماوردى والغزالى اللذان عاشا فى تلك الفترة الزمنية واللذان يقدمان لنا فكرا تربويا متميزا فى ثنايا كتب التربية الاسلامية. كما انها حددت ايضا المجال الجغرافى وهو المشرق الاسلامى مع التركيز على الجزيرة العربية والعراق وبلاد الشام فى النواحى السياسية والاجتماعية والاقتصادية وأثر ذلك على الناحية العلمية والفكرية فى تلك الفترة.

—

الفصل الثانى

المشرق الاسلامى فى القرن الخامس الهجرى

- الأوضاع السياسية فى الجزيرة العربية .
- الأوضاع السياسية فى العراق .
- الاوضاع السياسية فى بلاد الشام .
- الحالة الاجتماعية فى الجزيرة العربية .
- الحالة الاجتماعية فى العراق .
- الحالة الاجتماعية فى بلاد الشام .
- الحالة الاقتصادية فى الجزيرة العربية .
- الحالة الاقتصادية فى العراق .
- الحالة الاقتصادية فى بلاد الشام .
- أثر الاوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية على الحالة الفكرية والعلمية فى الجزيرة العربية وبلاد العراق وبلاد الشام .

ان من أهم ما يميز القرن الخامس الهجرى هو زيادة تجزئة الدولة الاسلامية فى المشرق الاسلامى . فبالنظر الى الجزيرة العربية نجد أن على الحجاز الاشراف من ابناء الحسن على مكة ومايتبعها والاشراف من ابناء الحسين على المدينة المنورة وما يتبعها . وبلاد اليمن خاضعة لدولة بنى زياد ، وبنى نجاح ثم الدولة الصليحية التى كانت تدعو للفاطميين ، فى حين ان بلاد الحجاز على طول فترة القرن الخامس الهجرى كانت تدعو للفاطميين مرة وللعباسيين أخرى وكذلك كان لحضرموت وعمان والبحرين حكامها المستقلين ايضا . (١)

ومنذ القرن الرابع الهجرى نجد أن العراق تحت سلطة البويهيين الذين عملوا على بسط سيادتهم ومد نفوذهم على المشرق الاسلامى حتى وصلوا بغداد . وكان من أبرز مميزات حكمهم اضعاف مركز الخليفه العباسى فى بغداد حيث جعلت الولاء له اسميا . وماأن وافى القرن الخامس الهجرى حتى ضعف أمر البويهيين فزالت دولتهم من المشرق الاسلامى لتحل محلها دولة السلاجقه منذ النصف الاول من القرن الخامس الهجرى والتى اصبحت أكبر قوة عسكرية فى المنطقة .

---

(١) شوقى ضيف : عصر الدول والامارات ، ط ٢ ، القاهرة : دار المعارف د . ت ، ص ١١ - ٣٤ .

وقد تولى الخلافة خلال الفترة الممتدة من أواخر القرن الرابع الهجرى الى أوائل القرن السادس أربعة خلفاء عباسيون هم: (١)

١- ابوالعباس احمد القادر بالله (٣٨١-٤٢٢هـ)

٢- ابوجعفر عبدالله القائم بامر الله (٤٢٢-٤٦٦هـ)

٣- ابوالقاسم عبدالله المقتدى بامر الله (٤٦٧-٤٨٧هـ)

٤- ابوالعباس احمد المستظهر بالله (٤٨٧-٥١٢هـ)

أما بلاد الشام فقد كانت خاضعة للخليفة الفاطمى فى مصر. وما ان حل القرن الخامس الهجرى الآ ونجد فلسطين وجنوب الشام يخضع لقبيلة طى، ودمشق ووسط الشام لقبيلة كلب. أما منطقة حلب واجزاء من الجزيرة فقد خضعا لسلطة قبيلة كلاب العدنانية. ثم تعرضت هذة المنطقة لاعتداءات البيزنطيين والتركمان والسلاجقة. فقد عاشت هذة المنطقة القرن الخامس الهجرى كله تتنازعها قوى مختلفة، وفى نهاية هذا القرن وفى العقد الأخير منه كانت حملات الغزو الصليبى لهذه البلاد كما سنرى. (٢)

أما عن الناحية الاجتماعية فلقد كان مجتمع القرن الخامس الهجرى خليط أجناس متعددة من عرب وفرس واتراك وأرمن وسريان وعناصر اسيوية وأخرى افريقية وذلك فى المشرق الاسلامى بصفة عامة

---

(١) حسن ابراهيم حسن، مرجع سابق، ج٤، ص ٩.

(٢) على محمد الغامدى: بلاد الشام قبل الغزو الصليبى، مكة المكتبة الفيصلية، ١٤٠٤ هـ، ص ٢٠٩

وفى بعض جهات الجزيرة العربية بصفة خاصة كالحجاز كان هناك اختلاط بين عناصر أفريقية وأسيوية وان كانت الغلبة للعنصر العربى فيها وكذلك عمان (١) ويظهر تعدد الاجناس اكثر وضوحا فى بلاد العراق (٢) وبلاد الشام (٣) وهذا أثر فى الحياة الاجتماعية تأثيرا بالغا من ناحية العادات والتقاليد . أضف الى ذلك ما كان عليه ذلك العصر من تقدم وازدهار نتج عنه اثراء المجتمع بحضارة لم يعهدها مجتمع القرنين الأولين من الهجرة ،بل بلغت أوج تقدمها فى القرن الخامس الهجرى الذى سار بقوة دفع القرن الرابع الهجرى - عصر الازدهار- ولو أنها بدأت تشق طريقها فى المجتمعات الاسلامية منذ القرن الثالث الهجرى فكانت مظاهر الترف ممثلة فى كثرة الرقيق الذى أصبح من العناصر الهامة فى ذلك العصر وكذلك وسائل اللهو المختلفة . (٤)

كان هذا كله فى محيط الطبقة الارستقراطية فى المجتمع الاسلامى بصفة عامة ،أما السواد الأعظم من الناس فكان يعانى ضيق ذات اليد مما أحدث ردة فعل مساوية لقوة ما كان يحدث تمثلت فى نزعة التصوف التى اصبحت سمة من سمات ذلك العصر،أضف الى ذلك ظهور اللصوصية فى طبقة العامة هذا الى جانب الفرق الدينية

---

(١) شوقى ضيف،المرجع السابق،ص ٣٤- ٣٩ .

(٢) حسن ابراهيم حسن ، حـ ٣ ،المرجع سابق ،ص ٤٢٢ .

(٣) أحمد رمضان : المجتمع الاسلامي في بلاد الشام في عصر الحروب الصليبية ،القاهرة : الجهاز المركزى للكتب الجامعية ،مؤسسة روز اليوسف، ١٩٧٧م ص ٣٦- ٦٤ .

(٤) على ابراهيم حسن : التاريخ الاسلامى العام ،القاهرة : مكتبة النهضة المصرية ، د.ت ص ٥٨٥ - ٥٩٧ .

والمذاهب المتعددة (١)

وعن الناحية الاقتصادية فأن رقعة المشرق الاسلامى من حيث موقعها وكبر مساحتها وتعدد ثرواتها تشير الى أنه لابد من وجود مردود اقتصادى رفيع المستوى ، ولكن الظروف التى مرت بها من حروب وفتن ومنازعات وانشقاق واقطاع وتسلط مالى من طبقة فى المجتمع على بقية الطبقات جعلت عدم وجود تناسب بين ثروات البلدان الاسلامية وبين مردود تلك الثروات. ولا يعنى هذا عدم وجود انتعاش اقتصادى بل هناك ازدهار اقتصادى تمثل فى الصناعة والزراعة بصفة عامة وكذلك تجارة بلاد الشام وان كانت التجارة بالعراق قد انكمشت فى العهد البويهى فنجدها منتعشة فى الجزيرة العربية والتى لها ثرواتها الخاصة بها منذ القدم بحكم موقعها الجغرافى حيث لها موانئها الهامة كميناء عدن وموانئ عمان.

الحالة السياسية فى الجزيرة العربية فى القرن الخامس الهجرى :

كان الحجاز مقسم الى امارتين : امارة مكة وكانت تتبعها قرى الطائف وجدة وعسفان ومر الظهران ،وامارة المدينة وكانت تتبعها قرى خيبر وفدك وينبع والفرع ووادى القرى ومدين.

وكانت امارة مكة للحسنيين من احفاد الحسن بن على بن ابى طالب فى حين كانت امارة المدينة للحسينيين من احفاد الحسين بن

---

(١) حسن عبدالعال : مرجع سابق ص ٦٢-٦٣

علي بن ابي طالب.(١)

وحيث أن امارة مكة مرتبطة بالحج بالدرجة الاولى فعليه لابد من القاء الضوء على الحالة السياسية لاقليم الحجاز من منطلق الاوضاع السياسية للمدينة المقدسة "مكة". فمع سقوط مصر في يد الفاطميين عام ٣٥٨هـ استقل جعفر بن محمد بن الحسين بحكم مكة، وبذلك تأسست حكومة الاشراف الموسويين. ثم بدأ النزاع بين الدولة العباسية والدولة الفاطمية الجديدة حول الدعاء في خطبة الجمعة على منبر المسجد الحرام، والى جانب ذلك النزاع كان هناك عبث القرامطة في تلك الفترة. وبعد وفاة جعفر هذا تولى ابنه عيسى بن جعفر عام ٣٨٠هـ. ثم تولاها أخوه ابوالفتوح عام ٣٨٤هـ وضم لها رابغ.(٢)

وفي عهد حكم ابي الفتوح ومن كان قبله على حكم مكة ممن ذكرنا كانت الدعوة تقام على منبر المسجد الحرام للفاطميين حتى أرسل الحاكم الفاطمي لأبي الفتوح سجلا مضمونه انتقاص في حق الصحابه رضوان الله عليهم وأمره أن يقرأ على منبر المسجد الحرام، وكانت نتيجة ذلك اختلاف ابي الفتوح مع الفاطميين، وزاد هذا الاختلاف حدة بموءازرة الوزير أبي القاسم المغربي له ضد الفاطميين، فوصل الأمر الى اعلانه الخلافة لنفسه وأخذ يتلقى البيعة من موئيديه في مكة والمدينة، وجهز جيشا زحف به الى الشام وبايعه فيها بنو سليم

---

(١) شوقي ضيف، مرجع سابق ص١٢.

(٢) احمد السباعي: تاريخ مكة، ج١، ط٢ مكة. مطابع قريش ١٣٨٠هـ ص١٧٠ - ١٧٦.

وبنو هلال وبنوعوف وبنو عامر. وفي تلك الاثناء اغتنم بنو عمه من السليمانيين الفرصة واستولوا على الحكم في مكة، أضف الى ذلك استمالة الحاكم الفاطمي لأهم مناصري أبو الفتوح وهم بنو الجراح الى التخلي عنه وكان له ما اراد. فحاول ابوالفتوح اللجوء اليهم مرة أخرى للتوسط عند الخليفة الفاطمي باخراج أبناء عمه السليمانيين من مكة وارجاعه لامارتها نظير تخليه عن الخلافة فعاد الى مكة عام ٤٠٣هـ، ودعي للخليفة الفاطمي على منبر المسجد الحرام. (١)

وتوفي ابوالفتوح عام ٤٣٠هـ ليخلفه ابنه محمد شكر. (٢) والذى توفي عام ٤٥٣هـ وفي عهده جمع بين الحرمين مكة والمدينة. وكانت مدة حكمة ثلاثة وعشرين سنة ولم يكن له ولد يخلفه فتولاها عبد له لم يعرف اسمه. (٣)

ولكن لم يدم حكه طويلا فقد منع الدعاء لأى من الخليفتين في خطبة الجمعة، فأصبح كل أمير حج يدعو بأسم الخليفة التابع له فأزداد الموقف سوء. (٤) فما كان من السليمانيين الا اخراج العبد والاخذ بزمام الأمر. (٥)

---

(١) محمد بن محمد بن فهد : اتحاف الورى باخبار ام القرى، جـ٢ ط ١، القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٤٠٤هـ ص ٤٣٦-٤٤٠.

(٢) نفس المرجع، ص ١٧٩.

(٣) الفاسى : شفاء الغرام، جـ ٢. بيروت، دار الكتب العلمية، د.ت ص- ١٩٥.

(٤) سليمان مالكى : بلاد الحجاز، الرياض: مطبوعات دارة الملك عبد العزيز، ١٤٠٣هـ ص ٣٥.

(٥) احمد السباعى : مرجع سابق، ص ١٨٠.

وما أن حل عام ٤٥٤هـ حتى استولى محمد بن جعفر من الهواشم على حكم مكة من بنى سليمان وأقام الدعوة للعباسيين فرأى الخليفة المستنصر الفاطمى وضع حد لتلك القلاقل وكان هذا ممثلا فى بعث داعية فى اليمن الصليحي الى مكة وكان ذلك عام ٤٥٥هـ . (١)

ويقول ابن الاثير فى احداث عام ٤٥٥هـ

"دخل الصليحي الى مكة مالكا لها فأحسن السير فيها ، وجلب اليها الأقوات ورفع جور من تقدم وظهرت منه أفعال جميلة . (٢)

"وجعل محمد بن ابى هاشم فى الامارة ورجع الى اليمن بعد ان أمده بكل امداد يساعده على تثبيت الأسر من جيش وسلاح ومال . (٣)
وكانت الخطبة فى عهده تقام مرة للعباسيين واخرى للفاطميين حسبما يغدقه عليه كلا منهما من أموال ، وجمع بين الحرمين وقراهما تحت امرته" (٤)

وفى عام ٤٨٤هـ خرج هاربا من التركمان الذين أرسلوا الى مكة مستولين عليها قائمين بالنهب والتخريب . (٥) فهرب من مكة مستغيثا من اولئك . (٦)

---

(١) سليمان مالكى ، المرجع السابق ص ٣٥ .
(٢) ابن الاثير ، الكامل فى التاريخ ، حـ ١٠ ، بيروت: دار الصادر ١٣٩٩ هـ ص ٣٠ .
(٣) الفاسى ، مرجع سابق ، ص ١٩٦ .
(٤) شوقى ضيف ، مرجع سابق ، ص ١٢ .
(٥) الفاسى ، المرجع السابق ، ص ١٩٧ .
(٦) ابن الاثير ، المرجع السابق ، حـ ١٠ ص ٢٠٠ .

ثم تولى الحكم بعده ابنه القاسم منذ عام ٤٨٧هـ وحتى سنة ٥١٨هـ ولم يختلف الوضع فى عهده عن الوضع فى عهد ابيه فكانت تقام الخطبة مرة للعباسيين وأخرى للفاطميين مما أثار الفتن والقلاقل وقد تولاها فى عهده عنوة الاصبيهيد بن سارتكين، وخرج منها سنة ٤٨٧هـ (١)

هذا ما كان من أمر الحجاز . أما نجد فكانت على النظام القبلي تغلب عليها حياة الرعي والبادية لايعرف عن وضع تلك القبائل الباقية بعد الهجرة فى عصر الفتوح شىء يذكر سوى تحركاتها نحو الشرق والغرب فنجد فى القرن الخامس الهجرى رياسة طي بيد بنى الجراح فيستولى دغفل المفرج على الرملة بفلسطين منذ القرن الرابع الهجرى وفى عام ٤٠٤هـ يتولى الأمر ابنه حسان بن دغفل الذى يناصر الفاطميين فى حروبهم ويستولى على عسقلان وأفامية، وكذلك قبيلة خفاجة التى تزحف فى اتجاه اليمامة وتعيش القرن الخامس الهجرى الى منتصف السادس فى حروب ومنازعات مع أبناء عمومتهم من بنى المنتفق بن عقيل .

وهناك قبائل وعشائر لبنى عقيل نزلت الموصل وأسست امارات فيه حتى نهاية القرن الخامس الهجرى .

والجدير بالذكر أنه فى بداية القرن الخامس الهجرى تأسست امارة فى انحاء الحلة على يد بنى أسد فما أن جاء نهاية القرن الخامس الا وقد بنيت الحلة على يد سيف الدولة صدقه الملقب بملك العرب وسكنها بعد ان كان يسكن اهله الخيام العربية. (٢)

---

(١) الفاسى ، المرجع السابق ،ص ١٩٧ .

(٢) شوقى ضيف ، مرجع سابق ، ص١٧ - ١٩ .

وأما اليمن فقد دخل القرن الخامس الهجرى ويحكم اليمن دولة بني زياد . ويتولى أمر عدن وصنعاء بنو يعفر وصعده الرسيون . وما أن حل عام ٤١٢هـ حتى زالت دولة بني زياد وقامت دولة بني نجاح نسبة الى موسسها نجاح الحبشى والذى دانت له اليمن حتى عام ٤٥٢ هـ حيث انتزع زبيد الملك الصليحى فى تلك السنة المذكورة . وفى عام ٤٥٤هـ استولى على صنعاء من اليعفريين ، وفى عام ٤٥٩هـ خلفه ابنه المكرم الذى اتخذ جبلة عاصمة له ، وعندما أصيب بمرض الفالج جعل شئون الدولة بيد زوجته الملكة أروى ، وفى العقد الأخير من القرن الخامس عام ٤٩١هـ بدأت بعض القبائل تهاجم الملكة الحرة حتى استولى بنو حاتم الهمدانيون على صنعاء عام ٤٩٢هـ وظلت تحت سلطتهم حتى عام ٥٠٢هـ.(١)

وبالنسبة لحضرموت الواقعة فى جنوب الجزيرة على بحر العرب فهى منطقة جبلية كانت فى بداية القرن الخامس الهجرى تحت حكم بنى زياد فى اليمن ، ولم تهدأ الثورات فيها لوجود الخوارج بها فهم يشكلون الاغلبية والذين ينتصرون فى الاستقلال بحضرموت فى القرن الخامس على يد ابى اسحق الحضرمى الخارجي الذى استطاع أن يرد الصليحى عنها ويتولى شئونها بنفسه . (٢)

وتبقى عمان فى القرن الخامس الهجرى خاضعة لحكم بنى مكرم وهم شيعة امامية ، كانوا قد استولوا عليها بمساعدة البويهيين

---

(١) نفس المرجع ، ص ٢٢ - ٢٣ .

(٢) نفس المرجع ، ص ٢٦ - ٢٧ .

في العقد الاخير من القرن الرابع الهجرى عن طريق السفن من الخليج العربى ،وطردوا الخوارج حول الجبال فى نزوى ، وأخذ الاخيرون بتولية أئمة منهم فى حين أن الشيعة خطبوا لبنى العباس وأهم أئمة الخوارج الخليل بن شاذان. وظلت عمان فى أيدى بنى مكرم حتى عام ٤٤٢هـ ثم بدأ حكمهم فى الزوال بسبب تدخل النساء والعبيد فى الحكم مما مكن الخوارج من الاستيلاء عليها وبقيت تحت حكمهم حتى نهاية القرن الخامس الهجرى. (١)

والبحرين فى تلك الآونة كانت تشمل منطقة الاحساء والقطيف وهجر والبحرين الحالية واقليم قطر.

ومنذ عام ٣٩٨هـ خضعت هذه المناطق للاصفر بن أبى الحسن الثعلبي ،وكان يخطب للخليفة الطائع العباسى وقابل نزاعات بنى ثعلب مع بنى عقيل ،وحاول الاستيلاء على الموصل ،ولكن صده بنى عقيل عام ٤٣٨هـ وبقى الحكم فى ابنائه حتى عام ٤٦٦هـ حيث تلاشت تلك الدولة لتحل محلها دولة بنى العيونى ،وذلك بمساعدة ملكشاه السلجوقى الذى عمل على القضاء على دعوة القرامطة وتوفى سنة ٥٠٠هـ (٢)

الاوضاع السياسية فى بلاد العراق فى القرن الخامس الهجرى :

الى شمال هضبة ايران يقع اقليم الديلم الذى تنحدر منه الأسرة البويهية. (٣) حيث يقع فى الجنوب الغربى من بحر قزوين. (٤)

---

(١) شوقى ضيف ،مرجع سابق ،ص ٢٨-٢٩ .

(٢) نفس المرجع، ص ٣٠-٣٢ .

(٣) سهيل زكار : تاريخ العرب والاسلام ،ط ٣ . بيروت : دار الفكر ١٣٩٩ هـ ص ٣١٧ .

(٤) محمد حسين الزبيدى : العراق فى العصر البويهى ،القاهرة : دار النهضة العربية، ١٩٦٩م ،ص ٢٩ .

وشعب هذا الاقليم محبا للقتال وتميزه القوة والقسوة أيضا.(١) وهو من آخر شعوب الشرق التى اعتنقت الاسلام. وحدث ان لجأ بعض من افراد البيت العلوى الى ذلك الاقليم خوفا من ملاحقة العباسيين لهم.(٢)

وحاول هذا الاقليم العمل على استقلاله عن الخلافة العباسية وبعد ذلك أخذ نفوذه يظهر على العراق وايران ولم يتم ذلك الا في عهد البويهيين ،فلقد أبدى أبناء بويه أثناء خدمتهم لدى مرداويج بن زيار موءسس الدولة الزيارية شجاعة وتفوق فى القتال وهم على والحسن ،وأحمد ،فأولى مرداويج على بن بويه بلاد الكرج(٣) الواقعة بين همدان وأصفهان.(٤) وقد أظهر كفاءة ومقدرة فى ادارة تلك البلاد واحسن معاملة أهلها فأحبه الناس ومالوا اليه. وبعد مقتل مرداويج سنة ٣٢٣هـ استولى الحسن بن بويه على اصفهان والري وهمدان ،ودخل احمد بن بويه الأهواز سنة ٣٢٦هـ.وتأسست بذلك الدولة البويهية فعليا فى المشرق الاسلامى ،وظلت هذه الدولة تحاول مد سيطرتها على املاك الخلافة العباسية فى العراق ومن ثم السيطرة على العاصمة بغداد.(٥)

وبعد أن اضطرب الوضع فى عهد الخليفه المستكفى بالله قام قادة بغداد بالكتابة الى احمد بن بويه فى مقر الأهواز طالبين منه المجئ الي بغداد فدخلها عام ٣٣٤هـ دون أى عناء يذكر.

---

(١) سهيل زكار،المرجع السابق،ص ٣١٧ .

(٢) نفس المرجع ، ص ٣١٨ .

(٣) المرجع السابق،

(٤) ياقوت الحموى : معجم البلدان،جـ٤. بيروت:دار صادر، دار بيروت، ١٤٠٤ هـ ص ٤٤٦ .

(٥) سهيل زكار ، المرجع السابق ، ص ٣١٨ .

وما كان من الخليفه العباسى الا أن استقبله واحتفى به ومنحه لقب معز الدولة وجعله أمير الأمراء (١) كما خلع على اخيه الحسن صاحب اصبهان والري وهمدان لقب ركن الدولة وعلى بن بويه لقب عماد الدولة (٢)

وبعد أن استتب الأمر لمعز الدولة فى بغداد أخذ يستأثر بالسلطة وكان استئثاره متمثلا، بالدرجة الاولى فى اعتقاله للخليفه العباسى وخلعه من منصبه وما الحقه به من اهانة وسجن. (٣)

وظل المستكفى بالله معتقلا حتى توفى سنة ٣٣٨هـ. (٤)

لقد ضعف مركز الخلافة بعد دخول البويهيين بغداد، وينقل لنا حسن ابراهيم حسن عبارة توماس ارنولد عن الحالة التى اصبح عليها الخلفاء العباسيون فى عهد بنى بويه : فيقول :

> "اصبح الخلفاء فى عهد بنى بويه لا قيمة لهم فى الوقت الذى غدا فيه غيرهم اكثر قسوة ونفوذا، وأصبحوا يديرون العالم الاسلامي من غير ان يشيروا أو يحفلوا بمن يدعى امير المؤمنين بل لقد اصبحوا العوبة فى ايدى سلاطين بنى بويه يجلسونهم على العرش ويعزلونهم متى شاؤوا وشاءت أهواؤهم." (٥)

---

(١) محمد حسين الزيدى، مرجع سابق، ص ٣٢-٣٣.

(٢) حسن ابراهيم حسن، مرجع سابق، جـ ٣ ص ١٠٤.

(٣) سهيل زكار، مرجع سابق، ص ٣١٩.

(٤) ابن الاثير، مرجع سابق، جـ٨ ص ٤٥١

(٥) حسن ابراهيم حسن، مرجع سابق، ص جـ ٣، ص ٢٤٩.

ويقول ابن الاثير فى ذلك :

"وزاد أمر الخلافة ادبارا ولم يبق لهم من الأمر شئ البته ، وقد كانوا يراجعون ويؤخذ أمرهم فيما يفعل والحرمة قائمة بعض الشئ ، فلما كان أيام معز الدولة زال ذلك جميعه بحيث ان الخليفة لم يبق له وزير وصارت الوزارة لمعز الدولة يستوزر لنفسه من يريد" (١)

ومن بين الأسباب التى يذكرها ابن الاثير عن سوء معاملة البويهيين للخليفة العباسى تعصبهم للشيعة ، فهم يعتقدون أن العباسيين قد غصبوا الخلافة من مستحقيها ، ولقد كان معز الدولة شيعيا متعصبا ، وقد كان يعمل على اقامة خلافة شيعية فى بغداد حيث يجعل الخلافة فى أيدى العلويين ، ولكنه عدل عن هذه الفكرة عندما شعر أنها قد تهدد حكمه فى المستقبل كما كان بامكانه الاعتراف بالخليفة الفاطمى فى مصر ولكن هذا يعنى خضوع البويهيين للدولة الفاطمية ، فقام باختيار خليفة عباسى لمنصب الخلافة وهو ابو الفضل المقتدر فلقبه بلقب المطيع لله وسلب منه كل صلاحيات الخليفة وقرر له مايكفيه على العيش فقط له ولموظفيه . (٢)

وقد جاء فى كتاب سهيل زكار :

"وقد عين معز الدولة ابنه عز الدولة بختيار ليخلفه فى منصبه بعد وفاته حيث توفى عز الدولة عام ٣٥٦هـ وأوصاه بأن يعمل بمشورة عمه ركن الدولة وابن عمه عضد الدولة حاكم فارس ولكنه لم يعمل بوصية والده بل استغرق فى اللهو والمجون ، هذا بالاضافة الى تخليه عن عدد من كبار قادة الديلم ، وقام بتجنيد عدد من

---

(١) ابن الاثير ، مرجع سابق جـ٨ ص ٤٥٢

(٢) نفس المرجع ، ص ٤٥١ - ٤٥٢

من العناصر التركية فى الجيش . وبذلك أصبح
الصراع ناشبا بين عناصر الديلم والترك" (١)

عندئذ قام ابن عمه عضد الدولة متجها الى بغداد عام ٣٦٧ هـ
فحارب عز الدولة وانتصر عليه وأخذ بغداد وبذلك صفا الجو لعضد
الدولة فى العراق

" وقد بلغ من علو شأنه أن الخليفة العباسى
الطائع لله خلع على عضد الدولة السلطنة
وتوجه بتاج وقلده سيفا وعقد له اللواء الابيض الذى
جرت العادة بمنحه لامراء الجيوش واللواء
المذهب الخاص بولاة العهود . (٢)

ولكن سرعان ماتغيرت الاحوال بين الخليفة العباسى وعضد الدولة
البويهى حيث أمر الأخير بحذف اسم الخليفة من خطبة الجمعة لمدة
شهرين وقام بالدعوة لاسمه فى خطبة الجمعة ببغداد ،وهذا من أهم
اختصاصات الخليفة التى لايجب أن تصرف لسواه . (٣)

ولقد بلغ عضد الدولة من سعة ملكه مالم يبلغه احد من أمراء
بنى بويه ، فلقد جمع مملكة البويهيين وضم الى ذلك الموصل وبلاد
الجزيرة وغير ذلك . (٤) فشمل سلطانه بغداد ،وكرمان ،وفارس ،وعمان
وخوزستان ،والموصل ،وديار بكر،وحران ،ومنبج . (٥)

---

(١) سهيل زكار، مرجع سابق ،ص ٣٢٠
(٢) محمد حسن الزبيدى ، مرجع سابق ، ٣٩
(٣) حسن ابراهيم حسن ، المرجع السابق جـ٣ ص ٤٧ .
(٤) ابن خلكان : وفيات الاعيان ، جـ٤ بيروت: دار صادر د .ت ص ٥١
(٥) حسن ابراهيم حسن ، المرجع السابق ،جـ٣ ص ٤٨ .

وفى خضم نفوذ هذا السلطان كان للخليفة حق تفويض امراء الأقاليم حكم البلاد ،وكان لهذا التفويض أهمية كبيرة لجعل الامير مقبولا لدى المسلمين من الناحية الشرعية. (١)

توفى عضد الدولة فى الثامن من شهر شوال سنة ٣٧٢هـ وقد استمرت ولايته خمس سنين ونصف السنة وبهدف توطيد دعائم سلطانه نشر العدل وشجع العلماء والادباء وعنى بالعمران، وبعد وفاة عضد الدولة خلفه ابنه الصمصام ولكن أخاه شرف الدولة لم يلبث أن عزله وتولى الحكم نحوا من اربع سنين. (٢) فعضد الدولة وشرف الدولة شجعا الروح الأدبية واحييا مدرسة بغداد التى كانت قد أصابها الاهمال أثناء الثورات التى قامت فى وجه الخلافة. (٣)

وبعد وفاة شرف الدولة خلفه ابنه بهاء الدولة عام ٣٧٩هـ وتوفى بهاء الدولة فى مطلع القرن الخامس الهجرى ٤٠٣هـ . وبوفاته دب النزاع والصراع بين البويهيين وأخذ حكمهم فى التلاشى حتى زال عندما دخل السلاجقة بغداد عام ٤٤٧هـ . فلقد تركز اهتمام البويهيين على تنمية اقتصاد العراق وغيره من الاقاليم بحجة احتياج الدولة لمزيد من الاموال ،فاقطعت العسكريين الأراضى لزرعها مما أدى الى ما يسمى بالاقطاع العسكرى. وتبعه مايتبع كل اقطاع من تحكم فى الاراضى والاقطاع العسكرى أخطر أنواع الاقطاع.

---

(١) محمد حسين الزبيدى، مرجع سابق،ص ٤٣.

(٢) حسن ابراهيم حسن، مرجع سابق ،ص ٤٩

(٣) سيد امير على : مختصر تاريخ العرب،ط ٤ ،بيروت: دار العلم للملايين ،١٩٨١م ،ص ٢٦٧ ، ٢٦٨.

،فقد سبب انصراف هؤلاء عن مهنتهم الاصلية بالاضافة الى استغلالهم لكل موارد الأرض بالقوة والسطوة مما أضعف النظام السياسى والاقتصادى معا. (١)

الدولة السلجوقية :

يقسم بعض المؤرخين العصر السلجوقي الى عصرين :
العصر السلجوقي الاول ٤٢٩-٤٨٥ ويمتد من ظهور طغرليك الى وفاة ملكشاه. والعصر السلجوقي الثاني عصر سنجر واخوته ٤٨٥-٥٥٢هـ. (٢)

ينتسب السلاجقة الى سلجوق أحد زعماء الاتراك وكان السلاجقه يسكنون بلاد ماوراء النهر فى مكان يبعد عن بخارى ثمانين ميلا ،واجتاحت اعدادهم الهائلة الجزء الشمالى والشرقى من بلاد فارس. (٣)

وكان العرب يدعون هذه القبائل التركية بالفز أو التركمان وقد ازدادت اعدادهم فى خراسان أثناء حكم السلطان محمود الفزنوى لها. وقد قامت صراعات متعددة بين السلاجقه والفزنويين على أثر تفجر الازمة بينهما فى عهد السلطان مسعود بن محمد الفزنوى وتزايد مشكلاتهم. (٤)

---

(١) سهيل زكار، مرجع سابق، ص ٣٢٢- ٣٢٣.
(٢) حسن ابراهيم حسن ، مرجع سابق جـ٤ مقدمة الكتاب ص جـ .
(٣) المرجع السابق، ص ١ .
(٤) سهيل زكار ، مرجع سابق ، ص ٣٢٧.

وأخذت هجرة السلاجقة تزداد الى بلاد خراسان حتى استطاعوا بزعامة طغرليك بن ميكائيل بن سلجوق انتزاع اقليم خراسان كله من أيدى الغزنويين ، وفى سنة ٤٢٩هـ استولوا على طوس وقيل الري . وبعدها بقليل ملكوا نيسابور احدى قواعد اقليم خراسان ، وكان ذلك بزعامة طغرليك . (١)

وتوالت انتصارات السلاجقة ، ونتيجة لكل هذه الانتصارات المتلاحقة أصبحت الدولة السلجوقية اكبر قوة عسكرية فى المشرق الاسلامى ، مما اطمع طغرليك فى فتح العراق وقرر المسير اليها بنفسه وأتخذ من مدينة الري عاصمة له ، وكتب فى سنة ٤٣٢هـ ، رسالة الى الخليفة العباسي فى بغداد القائم بأمر الله أظهر فيها ولاء السلاجقة له وحبهم للجهاد فى سبيل الله ، طالبا من الخليفة اعترافا بشرعية دولته . (٢)

وبعد أن سيطر طغرليك على ايران بأكلها سنة ٤٤٦هـ أخذ يوجه اهتمامه لدخول بغداد بعد أن تداعى حكم آل بويه هناك على أثر الفتن والمنازعات والثورات فى صفوف الجند وبعد أن عجزت عن تأمين الأمن للرعية ، فدخلت جيوشه بغداد فى سنة ٤٤٧هـ وقبل ان يقوم طغرليك بتدعيم اركان الدولة السلجوقية حدث انشقاق فى صفوف السلاجقة تطلب منه السرعة فى الانسحاب من بغداد لمواجهة ثورة أخيه ابراهيم وقد انتهز البساسيرى القائد

---

(١) ابن خلكان ، مرجع سابق ، جـ٥ ، ص ٦٥-٦٦ .

(٢) مرزين سعيد مرزين : الحياة العلمية في العراق في العصر السجوقى ، مكة ، مكتبة الطالب الجامعى ، ١٤٠٧هـ ص ٨٨ .

التركي البويهي تلك الفرصة فاستولى على بغداد عام ٤٥٠هـ وقتل وزير الخليفة العباسي وسجن الخليفة نفسه معلنا انتهاء الخلافة العباسية وداعيا للخليفة الفاطمي ودام ذلك عام واحد عاد بعده طغرليك بقواته فهزم البساسيري وقتله واعاد الخليفة العباسي للخلافة وانصرف يدعم ويثبت اسس الدولة السلجوقية. (١)

ويرى بعض المؤرخين المعاصرين بأنه حيث ان السلاجقة سنة فقد مالوا الى التعصب في نشر مذهبهم فحل التعصب محل التسامح الديني. (٢) بينما يرى البعض الآخر أن الفضل يرجع الى السلاجقة في تجديد قوة الاسلام واعادة تكوين وحدته السياسية. (٣)

ثم عاد السلطان طغرليك الى بغداد وحضر لدى الخليفة فكرمه احسن تكريم وتوجه وقلده سيفا من ذهب. (٤) ولقبه بملك المشرق والمغرب. (٥)

"وكان طغرليك حليما كريما محافظا على الصلوات الخمسة في أوقاتها جماعة، وكان يصوم الاثنين والخميس، ويكثر الصدقات ويبني المساجد. (٦)

---

(١) حسن ابراهيم حسن، مرجع سابق، ج٤، ص ١٦-١٧.

(٢) سهيل زكار، مرجع سابق، ص ٣٣.

(٣) حسن ابراهيم حسن، مرجع سابق، ج٤، ص ١٠.

(٤) الفتح بن علي: تاريخ دولة سلجوق، ط٣، بيروت، دار الآفاق الجديدة، ١٤٠٠هـ، ص ١٦-١٧.

(٥) حسن ابراهيم حسن، المرجع السابق، ج٤، ص ١٨.

(٦) ابن خلكان، مرجع سابق، ج٥، ص ٦٦.

توفى طغرليك فى يوم الجمعة الثامن من شهر رمضان سنة ٤٥٥ هـ بالرى فاضطرب بهلكه الملك، ودفن فى العاصمة التى اختارها لحكمه قبل دخوله بغداد وهى مدنية الري. (١)

وبعد وفاة طغرليك خلفه ابن اخيه ألب أرسلان ويعد هذا أعظم سلاطين السلاجقة على الاطلاق. (٢) فقد أرسى قواعد الدولة السلجوقية بدرجة أقوى مما كانت عليه، وفى عهده واجه السلاجقة امبراطورية الروم وحققوا الانتصارات العظيمة عليها، وقد قاد ألب ارسلان جيشا عظيما اتجه به صوب حلب للسيطرة على بلاد الشام وذلك فى سنة ٤٦٢ هـ ولكنه لم يوفق فى هذه المرة فتوجه شرقا الى خراسان، وعند عودته نمى الى سمعه ان امبراطور الروم جهز جيشا عظيما يريد به أن يغلق طرق أرمينية لمنع التركمان من دخول الاراضى البيزنطية، فحقق ألب ارسلان انتصارا عظيما على هذا الجيش حيث وقع الامبراطور الروماني اسيرا لدى السلاجقة فى هذه المعركة وعلى اثر ذلك تمكن التركمان من الهجرة الى آسيا الصغرى وبلاد الشام. (٣)

ثم سار ألب ارسلان بجيش كبير تكون من مائتى الف مقاتل قاصدا بلاد ماوراء النهر فعقد جسرا على نهر جيحون ليعبر عليه هذا الجيش، وكان السلطان يطمع فيما يبدو فى الوصول الى أقاصي بلاد الصين ولكنه لقي مصرعه فى تلك السنة وحمل جثمانه الى مرو ودفن

---

(١) الفتح بن على، المرجع السابق، ص ٢٧.

(٢) سهيل زكار، مرجع سابق، ص ٣٣١.

(٣) نفس المرجع

بجوار ابيه وكان له من العمر اربعون سنة، وخلفه ابنه ملكشاه في السلطنة . (١)

" وكان ألب ارسلان كريما عاقلا" يتصدق على الفقراء ويكثر الصدقة . ولم يكن في جميع بلاده جناية ولا مصادرة قد قنع من الرعايا بالخراج الاصلي يؤخذ منهم كل سنة دفعتين رفقا بهم."(٢)

" كان السلطان ألب أرسلان قد أخذ ببناء المدرسة النظامية في بغداد سنة ٤٥٧هـ"(٣)

وقد تابع ولي عهده ملكشاه عملية البناء ليبدأ بذلك عهد جديد يميز القرن الخامس الهجري ويجعله عصر المدارس الاسلامية .

وملكشاه ولد في التاسع من جمادى الاولى سنة سبع واربعين واربعمائة. (٤) واجه ملكشاه اضطرابات عنيفة على اطراف الدولة فتغلب عليها ومعه وزيره نظام الملك. وقد بقي القائم بالله خليفة مدة اربع واربعين سنة وثمانية أشهر، فقد توفي في عهد خلافته عدد من العلماء والادباء مثل : الماوردي ، وابن سينا ،وابن حزم الظاهري والخطيب البغدادي صاحب كتاب" تاريخ بغداد". (٥)

وفي عهد ملكشاه كانت الدولة السلجوقية في غاية اتساعها فامتدادها شمل اقليم ماوراء النهر شرقا ، والبحر الابيض المتوسط وآسيا الصغرى غربا . (٦)

---

(١) ابن الاثير، مرجع سابق ،جـ١٠ ، ص ٧٣-٧٤ .

(٢) نفس المرجع، ص ٧٤- ٧٥ .

(٣) حسن ابراهيم حسن ، مرجع سابق ،ص ٢١ .

(٤) ابن خلكان ، مرجع سابق ،ص ٢٨٨ .

(٥) حسن ابراهيم حسن ، مرجع سابق ،جـ٤ ،ص ٣٥-٣٧ .

(٦) سهيل زكار ، مرجع سابق ، ص ٣٣٢ .

وفي أواخر عهد ملكشاه بدأ الخلاف بينه وبين وزيره نظام الملك والذي تمخض عن اغتيال نظام الملك في رمضان سنة ٤٨٥هـ كما كان في آخر ايامه يحاول ابعاد الخليفة العباسي الى مكة أو المدينة ولكن ادركته الوفاة بعد نظام الملك بايام وجيزة. (١)

وبوفاته عام ٤٨٥هـ انتهى العصر السلجوقي الاول
والذي كان يسمى العصر الذهبي للدولة
السلجوقية وبعضهم يسميه عصر نظام الملك. (٢)

وبوفاة ملكشاه تعرضت الدولة السلجوقية للانقسام وكان للبيت السلجوقي اليد الطولى في ذلك حيث قامت الصراعات الداخلية بينهم على خلافة السلطنة السلجوقية ودب الضعف في صفوف الجيش السلجوقي فقد كان لملكشاه عدد من الاولاد كان التنافس على أشده بين ابنه الاكبر بروكياروق ومعه اتباع نظام الملك، وبين ابنه الاصغر محمود فأستغل تتش أخو ملكشاه وحاكم دمشق ذلك النزاع لصالحه فقام معلنا نفسه سلطانا للدولة السلجوقية. (٣)

وبدأ تتش يخطط للاستيلاء على كل أقاليم الدولة السلجوقية ثم أخذ يوالي زحفه على مناطق السلطنة فحالفه النصر حتى عام ٤٨٨هـ حيث قتل في معركة دارت بينه وبين ابن اخيه بركياروق وحمل رأسه الى بغداد. (٤)

وأصبحت السلطنة لبركياروق حتى توفى سنة ٤٩٨هـ وكان عهده

---

(١) سهيل زكار، مرجع سابق، ص ٣٣٣.

(٢) حسن ابراهيم حسن، مرجع سابق، ج٤ ص ٣٣.

(٣) سهيل زكار، المرجع السابق، ص ٣٣٣.

(٤) علي محمد علي عوده الغامدي، مرجع سابق، ص ٢٠٠-٢٠٨

عهد صراعات داخلية عملت على اضعاف شأن الدولة اقتصاديا وعسكريا مما أتاح الفرصة للصليبيين من دخول بلاد الشام واستيلائهم على كثير من اراضيها، ثم انتقل منصب السلطنة من بعده لأخيه محمد طبر والذى اشتغل ايضا بالمشكلات الداخلية وأهمها مشكلة الحشاشين الفرقة الاسماعيلية التى أسسها حسن الصباح والتى أخذت تمارس نشاطها بالاستيلاء على الحصون والقلاع والاغتيال السياسى، وقد حاول هذا السلطان مكافحة هذه الفرقة الخطيرة ولكن يظهر أنه لم يستطع ابادتها وتوفى هذا السلطان فى عام ٥١١هـ.(١)

---

(١) سهيل زكار، مرجع سابق- ،ص ٣٢٣- ٣٢٥.

- الاوضاع السياسية في بلاد الشام في القرن الخامس الهجرى :

ان حدود بلاد الشام جغرافيا هي : من الشرق الفرات ومن الغرب البحر المتوسط، ومن الجنوب البحر الاحمر وعريش مصر، ومن الشمال الثغور مع بيزنطة، وهذه الثغور طرسوس في تركيا اليوم. (١)

ومنذ القرن الخامس الهجرى أصبح يطلق على القسم الشمالي كله الشام وعلى القسم الجنوبي كله الشام الأعلى. (٢)

لقد خضعت سواحل شمال بلاد الشام وكذلك سواحل شمال غرب الشام في القرن الرابع الهجرى لحكم البيزنطيين على أثر النزاعات المتكررة بينهم وبين سيف الدولة الحمداني في حلب. (٣) ولكن الجزء الجنوبي قد خضع للفاطميين منذ بداية القرن الخامس الهجري. وقد واجه الفاطميون عقبات متعددة كانت سببا في عدم استيلائهم على شمال بلاد الشام تمثلت في بعد المسافة بين مصر وشمال الشام أضف الى ذلك عدم قدرة القوات الفاطمية سواء كان من الناحية المالية أو العسكرية للدخول مع بيزنطة في معركة تنتزع فيها تلك الأقاليم من أيديهم بل ان بيزنطة كان يرضيها وجود حائل بينها وبين حدود الدولة الفاطمية ممثلا في دولة الحمدانيين في حلب. والتى زالت عام ٤٠٦هـ ليحكم حلب عزيز الدولة فاتك منذ عام ٤٠٧هـ وحتى

---

(١) سهيل زكار، مدخل الى تاريخ الحروب الصليبية، ط٢ بيروت دار الفكر، ١٩٧٥م، ص ٦٥.

(٢) نفس المرجع، ص ٦٨.

(٣) محمد كرد على : خطط الشام، جـ١ دمشق : المطبعة الحديثة ١٣٤٣هـ، ص ٢٤٩.

عـام ٤١١هـ حيث استردها الفاطميون (١)

وهناك عقبة كبرى واجهت النظام الفاطمي تمثلت في شدة كراهية الشاميين انفسهم للحكم الفاطمي فهم يبغضون سياسة الفاطميين في شتى الأنظمة السياسية والاقتصادية والادارية. (٢) ومن منطلق ذلك تحالفت ثلاث قبائل من عرب الشام هم بنو الجراح الطائيين ومعهم قبيلتا كلب وكلاب، وكان تحالفهم يرمى الى طرد الفاطميين من الشام كلها. وتم لهم ذلك، ولكن ما ان حل عام ٤١٩هـ الا واستردت الدولة الفاطمية سيطرتها على الشام حيث هزمت الحلفاء وعاد لها الجنوب وسواحله التي تشكل طرابلس، وصور، وصيدا، وعكا، مع حامية دمشق وفلسطين ولم تستطع السيطرة على الشمال. وهكذا بقي الوضع حتى بدأ ضعف الدولة الفاطمية وانحسارها في النصف الثاني من القرن الخامس الهجرى (٣)

وكان من نتائج ذلك الضعف قيام دول متعددة داخل الشام وهي: دولة في صور تولى أمرها القاضي بن أبي عقيل ودام حكمهم حتى عام ٤٨٢هـ وكذلك دولة بني عمار في طرابلس من عام ٤٦٠-٤٩٢ ودولة بني مرداس من ٤١٥-٤٧٢هـ والعقيلي بالجزيرة وشمال الشام من عام ٤٥٣-٤٧٨هـ وبني منقذ في شيزر من عام ٤٧٤-٤٩١هـ وخلف بن ملاعب بامارة حمص وأفامية من سنة ٤٦٦-٤٩١هـ. (٤)

---

(١) هـ على محمد على الغامدى، مرجع سابق، ص ٥٦.

(٢) سهيل زكار، مدخل الي تاريخ الحروب الصليبية، المرجع السابق، ص ٧٠.

(٣) نفس المرجع، ص ٧٠- ٧١.

(٤) على محمد على الغامدى، المرجع السابق، ص ٢٠٩

ان عهد الحاكم الفاطمى كان عهدا مقرونا بالفتن والقلاقل والغزوات مما أدى الى تشتت الأفكار وتمزق الآراء ،وهذا بدوره أدى الى عدم وجود الاستقرار وسيادة الأمن فى شتى النواحى وذلك لتواجد أجواء الصراع على السلطة والحكم دون أن يعبأ اصحابها بنتائج الانقسام للبلد الواحد ،ولم تخضع الشام كلها للحكم الفاطمي أبدا فنجد جزءا يوالى وجزءا ينفصل وهكذا ، زد على هذا أنه لم تكن نوعية الولاة من قبل الفاطميين ذات رحمة وعقل راجح بل امتازوا بالظلم وحب الاموال والقتل وزاد الوضع تدهورا فى عهد الحاكم الفاطمي . (١) فقد كان عهده فى نهاية القرن الرابع الهجرى مقرونا بالقلاقل والفتن وسوء السياسة بين المسلمين .

وكذلك امتاز عهده فى القرن الخامس الهجري (أى الأحد عشر عاما) التى قضاها فى الحكم من ذلك القرن باستخدامه العنف لجميع الاديان . (٣)

وحكم الظاهر الفاطمي من عام ٤١١-٤٢٧هـ (٤) وفى عام ٤٢٧هـ تولى ابنه المستنصر وظل ستين سنة وأربعة أشهر ،ظل الشطر الأول من عهده ممتدا فيه سلطان الفاطميين على بلاد الشام وفلسطين والحجاز وصقلية وشمال افريقية ويخطب له على منابرها . (٥) بل قطعت خطبة

---

(١) محمد كرد علي : مرجع سابق ،ص ٢٦١ = ٢٦٢ .

(٢) ابن خلكان ، مرجع سابق ،جـ٥ ،ص ٢٩٣ .

(٣) نفس المرجع، ص ٢٩٤ .

(٤) نفس المرجع ، جـ٣ ،ص ٤٠٧-٤٠٨ .

(٥) حسن ابراهيم حسن ، مرجع سابق ،جـ٤ ، ص ١٧٧ .

الخليفة العباسي ببغداد على يد البساسيري ودعي على منابرها للخليفة المستنصر الفاطمي لمدة سنة، وكذلك في اليمن فقد دعى الصليحي للمستنصر بعد الخطبة.(١) ومنذ بداية القرن الخامس وخاصة العقدين الأولين منه تعاقب على حكم دمشق سبعة عشر واليا من قبل الفاطميين.(٢) ثم أخذ نفوذ الفاطميين يتدهور، وما أن جاء عام ٤٣٣هـ الا وظهر ذلك التدهور جليا بحكم ضعف اقتصاديات مصر في تلك الفترة، فتعاقب على حكم دمشق ووسط الشام من قبل الفاطميين ثلاثة عشر واليا انتهت بتولي بدر الجمالي سنة ٤٥٥هـ الحكم فيها، وتولاه أيضا في عام ٤٥٨هـ ولكنه لم يوفق في فض النزاع بين القوى المتنازعة داخل دمشق نفسها وانتهى به الأمر للذهاب الى عكا سنة ٤٦٠هـ وكان حاكما عليها حتى عام ٤٦٦هـ. وقد اشتعلت النيران في بعض أماكن دمشق ووصلت النار الى المسجد الأموي ودمر من جميع الجوانب (٣) وظلت دمشق تحت حكم ابن منزو من قبل الفاطميين بعد هرب بدر الجمالي حتى سنة ٤٦٧هـ حيث هرب وقتل في مصر وتولاها المصمودي عام ٤٦٨هـ وفي نفس العام سقطت في يد أتسز وقد أدى حكمه الى تدهور في الاقتصاد وفقر شديد في دمشق وجنوب الشام نتيجة سياسته التعسفية وسوء ادارته. (٤)

وما أن جاء عام ٤٧١هـ حتى سير بدر الجمالي الوزير الفاطمي جيشا عظيما استرد به أعمال فلسطين الى سلطة الفاطميين فاستنجد اتسز بتتش فتسلم هذا الاخير مدينة دمشق عام ٤٧٢هـ وقتل اتسز كما ذكرنا

(١) ابن خلكان: المرجع السابق، جـ٥ ص ٢٢٩-٢٣٠.
(٢) علي محمد علي الغامدي، مرجع سابق، ص ٤٩.
(٣) نفس المرجع السابق، ص ٨١-٨٣.
(٤) نفس المرجع، ص ١٥٠-١٥٦.

سابقا . (١)

واستقلت طرابلس عن الحكم الفاطمى على يد القاضي أمين الدولة بن عمار سنة ٤٦٢هـ وهى نفس السنة التى أعلنت فيها دمشق وصور وفلسطين استقلالها مما زاد فى تدهور سلطة الدولة الفاطمية على بلاد الشام ولم يبق مع الفاطميين سوى عكا وصيدا، وفى عهد امين الدولة هذا زادت الاضطرابات فى بلاد الشام ولكنه اتبع سياسة حيادية بين المعسكرين الفاطمي والسلجوقي مما أدى الى نجاح فى استقلال طرابلس. وفى عام ٤٦٤هـ خلفه جلال الملك على بن عمار الذى دام حكمه ثلاثون عاما كانت فيها بلاد الشام ملتقى اضطرابات سياسية وهذا يدل على قوة احتمال الرجل وحسن سياسته ولم يكتفي بذلك بل عمل على توسيع رقعة امارته فيضم جبلة الى أملاكه عام ٤٧٣هـ وتظل تحت سيطرتهم حتى عام ٤٩٤هـ فخلفه أخوه فخر الملك، واشتكى اهل جبلة من حكم اتابك دمشق وما كان منه الا تجهيز حملة قبضت على اتابك دمشق وأتت به الى طرابلس . وعلى ذلك أصبحت أمارته تشمل جبلة وأنطرطوس عام ٤٩٥هـ ، وعرقة. ولكن فى عام ٥٠١هـ حدث انقلاب داخلى فى طرابلس اطاح بحكم فخر الملك فبقي معه حكم جبلة التى سقطت فى ايدى الصليبيين عام ٥٠٢ هـ بالامان وذلك بعد سقوط طرابلس فى ايديهم بأحد عشر يوما . (٢)

أما مدينة صور التى كانت تحت حكم القاضى عين الدولة ابن ابى عقيل فقد توجه اليها فى سنة ٤٦٢هـ امير الجيوش من مصر فى حملة

---

(١) على محمد على الغامدى، مرجع سابق، ص ١٦٣- ١٦٥.

(٢) السيد عبدالعزيز سالم: طرابلس الشام فى التاريخ الاسلامى . الاسكندرية : مطابع رمسيس، ١٩٦٧م ص ٦٦- ٧٦.

كبيرة وحاصر مدينة صيدا وهي لبدر أمير الجيوش ، فرحل هذا عن صور وعاد الاتراك فما لبث بدر أن عاد وحاصر صور برا وبحرا حتى قيل ان الناس اكلت الخبز كل رطل بنصف دينار، ولم يبلغ غرضه من الاستيلاء عليها فرحل عنها . (١) وحيث ان ضعف الدولة الفاطمية بدأ منذ النصف الثاني من القرن الخامس الهجري يظهر بوضوح فنجد على أثره ظهور طمع السلاجقة في الاستيلاء على حلب ودمشق فأعلن أمير حلب المرداس في عام ٤٦٢هـ ولاءه للسلاجقة(٢) وما أن جاء عام ٤٧١هـ حتى تمكن هؤلاء من دخول دمشق والاستيلاء عليها وقبلها تم الاستيلاء على الرملة وبيت المقدس وبقيت في يد السلاجقة حتى نشب القتال بين ولدي تتش فانتهز الوزير الفاطمي تلك الفرصة لاسترجاع النفوذ الفاطمي على الشام فاستولى عام ٤٨٣هـ على بيت المقدس. (٣)

وعند بداية العقد الأخير من القرن الخامس الهجري بدأت جموع الفرنجة تزحف الى بلاد الشام مستهلة حملاتها الصليبية على انطاكية(٤)

وما يورده التاريخ العام عن حجاج النصارى يقوم على أن اهدافهم تكمن في الاستيلاء على بيت المقدس من منطلق شعور ديني قوى حيث يرون أن الارض المقدسة لابد أن تكون في حوزة النصارى ليرضى عنهم سيدهم المسيح حيث يعتقدون ان قبره يكمن هناك فهم لا يكفيهم ان يؤدوا شعائرهم الدينية بحرية وهذه الارض المباركة في حوزة المسليمين ،بالاضافة لهذا فقد شاهد بعض هؤلاء النصارى عند زيارتهم الارض المقدسة معاملة سيئة في بيت المقدس،لم يعهدوها في

---

(١) ابن الاثير، مرجع سابق ،جـ ١٠ ،ص ٦٠- ٦١ .

(٢) السيد عبدالعزيز سالم، المرجع السابق، ص ٦٣ .

(٣) نفس المرجع السابق ،ص ٦٤ .

(٤) سهيل زكار ، مدخل الى تاريخ الحروب الصليبية مرجع سابق ، ص ٢٣٧ .

ادوار الحكومات العربية القوية واختفت ساحة العرب وحلت بدلا عنها قسوة وجفاء التركمان ،فقام هؤلاء بنقل اخبار ماشاهدوا من شدة فكان نتيجتها قيام الحملة الصليبية الاولى التى شد من ازرها الحماسة الدينية فى شعوب النصارى فى تلك الآونة تلك الحماسة التى صنعها رجال الكنيسة المتحكمين فى مجريات الامور انذاك. هذا الى جانب قيام المحاربون الاتراك والذين اصبح بيت المقدس فى حوزتهم منذ عام ٤٦٩هـ بعد تداعى الحكم العربي آنذاك. كل هذه التغيرات فى مجموعها كانت عامل خوف قوي للمدن التجارية فى البحر المتوسط فقد تؤدي الى اغلاق الاتراك اسواق المشرق أمام اوروبا لاختلال العلاقات بين آسيا وأوروبا. (١)

وكانت بيت المقدس منذ عام ٤٩١هـ فى يد الفاطميين وكانوا هم والصليبيون حلفاء ضد السلاجقة، وعندما وصلها الصليبيون حاصروها اكثر من اربعين يوما ودخلوها سنة ٤٩٢هـ وقتلوا جميع أهل المدينة فى خلال اسبوع ،ونهبوا مافى الصخرة من قناديل الذهب والفضة وأصبح جودفروي ملكا على بيت المقدس، وبعد وفاته فى العام التالى تولاها اخوه بلدوين وهذا مر بالرها وانطاكية ،واللاذقية ثم طرابلس فأكرمه أميرها ورحل عنها ،واستعان اميرها بن عمار بحاكم دمشق سنة ٤٩٥هـ فأرسل جيشا انضم له جيش حمص التى تحت حكم جناح الدولة حسين اتابك . فهب الموارنة سكان طرابلس يساعدون الصليبيين ورغم ذلك أحسوا بمناعة المدينة فلم يدخلوها ثم عادوا حصارهم بها بعد ان بنوا حصنا ومرابض لسكنى الجنود.

---

(١) محمد كرد علي، مرجع سابق، ص ٢٨٨-٢٨٩.

ولكن قام فخر الملك بغارة مباغتة أحرق فيها الحصن ونهب قواته مافيه من السلاح والمال، ومات قائدهم على أثر حروق شديدة. (١)

أخذ الصليبيون يقومون باعمال التخريب والقتل فى البلاد التى يدخلونها، فنجدهم يحرقون كتب تلك الامصار وامتعتها وآثارها مما جعل الناس يفرون الى البراري، وبعضهم قصد داخلية الشام وآخرون هربوا الى مصر فى أسوأ حال. ودخل ماحول بيت المقدس من صور وعكا والرملة ويافا تحت حكم الفرنجة وذلك عام ٤٩٢ هـ. وأخذت بقية سواحل الشام تقاوم كطرابلس وبيروت واللاذقية حتى عام ٥٠٠ هـ بالاعتصام خلف الاسوار فى منطقة ضيقة وأول ماملك الفرنجة من هذه الارجاء الرها وما حولها من الحصون الفراتية، ثم انطاكية والمعرة ويعدُّ هرب التوكمان بمثابة مزيدا لضعف قوادهم مما مكن الفرنجة من الدخول والاستيلاء على المناطق، فدخلوا حيفا وأرسوف بالامان وقيسارية بالسيف، فنهبوا وقتلوا. أما جبلة فأستنجد صاحبها بحاكم دمشق الذى قام بارسال ابنه لانقاذها، فمالبث هذا الاخير أن ظلم أهلها الذين شكوه الى ابن عمار صاحب طرابلس ويقال أن الفرنجة استولوا على جبلة فى تلك السنة. (٢)

وفى سنة ٤٩٧ هـ استولوا على جبيل بالامان ثم غدروا بهم، وفى

---

(١) السيد عبدالعزيز سالم، مرجع سابق، ص ٨٤- ١٠١.

(٢) محمد كرد على، مرجع سابق، ص ٢٨٣- ٢٨٤.

عام ٤٩٨هـ قاومت حلب وطرابلس الفرنجة في أقوى فترة للاضطراب.(١)

وأما عن حلب فمنذ عام ٤١٥هـ ظلت تحت حكم المرداسيين ولم تستطع الخلافة العباسية ردها وكانت تقام الخطبة للفاطميين، وكانت الرحبة تحت حوزتهم منذ عام ٣٩٩هـ. وفي عام ٤٢٩هـ قتل نصر بن صالح بن مروان حاكم حلب ورجعت السيطرة الفاطمية لمدة اربع سنوات ثم استردها أخوه ثمال عام ٤٣٣هـ وحتى عام ٤٤٨هـ، ولكن امتداد نفوذ الفاطميين في عهد البساسيري مكّن هذا القائد من استلام حلب من يد ثمال بن مرداس سنة ٤٤٩هـ ولكن ماحل عام ٤٥٢هـ الآ وحلب ردت للمرداسيين بزعامة محمود بن نصر بن صالح بن مرداس فأعادها ثمال اليه عام ٤٥٣هـ.(٢) وفي عام ٤٧٢هـ دخل مسلم بن قريش حلب وانتهت دولة المرداسيين عام ٤٧٣هـ.(٣) وقام مسلم بتحسين احوالها الاقتصادية التي تدهورت على أثر غزو التركمان لها.(٤)

وبعد مقتل مسلم بن قريش ضعف بنو عقيل على أثر دخول الاتراك بلاد الشام وفقد على بن مسلم بن قريش الموصل سنة ٤٨٩هـ أمام قوى الاتراك.(٥)

وأما عن امارة بني منقذ في شيزر فقد استقل بها ابن منقذ عام ٤٧٤هـ ،ثم ان سياسة التسامح التي اتبعها ابن منقذ جعلت اهالي الحصون المجاورة والخاضعة للبيزنطيين يدخلون تحت امرته وقد

---

(١) نفس المرجع ،ص ٢٨٦-٢٨٧.
(٢) على محمد على عوده الغامدى، مرجع سابق ص ٢١١-٢١٨.
(٣) نفس المرجع، ص ٢٢٨.
(٤) نفس المرجع، ص ٢٤٠.
(٥) نفس المرجع، ص ٢٦٠-٢٦١.

انضم الى زعماء الشام الآخرين للتحالف مع تتش ضد اطماع مسلم بن قريش . وقد حكم نصر بن على بن منقذ شيزر حتى وفاته سنة ٤٩١ هـ فآلت الى أخيه مجد الدين الذى سلمها لأخيه عزالدين .(١)

الحالة الاجتماعية فى الجزيرة العربية :-

ومجتمع الجزيرة العربية فى القرن الخامس الهجري يتكون من عناصر عربية خالصة وهى التى تسكن البوادي وعناصر عربية اختلطت بأخرى افريقية واسيوية ،والغلبة للعنصر العربي فيها وكانت تسكن المدن والحواضر(٢)

ومكة والمدينة من المدن الحجازية التى وفد اليها العديد من الاجناس عن طريق الهجرة اليها سواء من أجل الانقطاع للعبادة والتصوف أو بسبب البحث عن الرزق . ولكن بقية المدن الحجازية كالطائف وينبع لم تتعرض لذلك الخلط من الاجناس كما حدث لتلك المدينتين فالعنصر العربي هو السائد فى تلك المدن .(٣)

وفى غالب هذا العهد كانت مكة والطائف وجدة وماحولها من قرى تابعة لأشراف مكة . والمدينة وينبع وما حولها تابعة لأشراف المدينة من آل المهنا كما ذكرنا ذلك عند الكلام عن الاوضاع السياسية لهذا الاقليم ، ولكن التشابه قائم فى الحياة الاجتماعية لهذا الاقليم ،هذا من جهة . ومن جهة أخرى فنظرا لكثرة المنازعات الداخلية فى مكة فقد

---

(١) نفس المرجع، ص ٢٦٢- ٢٧٠ .

(٢) شوقى ضيف، مرجع سابق ، ص ٣٤ .

(٣) ابن جبير: الرحلة ،ط ٢ بيروت: دار مكتبة الهلال ، ١٩٨٦ م ص ٤٨ .

انصرف أمراءها وساكنيها عن التوسع في العمران وأخذوا في الاهتمام ببناء القلاع للتحصن فيها وقت الحاجة وانعكس هذا على حياة السكان فقاسوا من الجوع والقحط الكثير حتى أن في سنة ٤٤٢هـ أصبح سكانها الفي نسمة حيث هاجر منها مايقارب خمسة وثلاثين الفا ولقد أخذ أهلها بمظاهر الابهة الفاطمية نتيجة تأثرهم بها، وهذا أمر لم تعرفه مكة قبل ذلك العهد، وكذلك كانت حالة الاعيان والوزراء فظهرت وظائف ادارية جديدة. وزاد عدد الاعياد عن العيدين الشرعيين الفطر والاضحى. ورغم تعسر الحال بصورة عامة الآن ملابس جديدة كالحرير والكتان اخذت تشق طريقها في الدخول الى مكة عن طريق التجارة وكذلك الملابس الموشاة بالقصب والعمائم المزركشة، وكان حكام الفاطميين يخلعون خلعا فخمة على الحكام والوزراء في مكة، وهذا بدوره انعكس على لباس العامة عن طريق التقليد.(١) اما نجد فهي عشائر بدوية تعتمد على رعي الاغنام والابل في تلك الآونة.(٢)

ويقول ابن جبير عن نجد:

"ما ارى في المعمورة ارضا افسح بسيطا، ولا أوسع آنفا، ولا اطيب نسيما، ولا أصح هواء، ولا أحد استواء ولا اصفى جوا، ولا انقى تربة، ولا انعش للنفوس والابدان، ولا احسن اعتدالا في كل الازمان من ارض نجد". (٣)

---

(١) احمد السباعي، مرجع سابق، ص ١٩٣-١٩٦.

(٢) شوقي ضيف، المرجع السابق، ص ٣٤-٣٥.

(٣) ابن جبير، المرجع السابق، ص ١٦٢.

واما عن قبائلها الباقية بعد الهجرة وعلى اثر الفتح الاسلامي للبلدان لم يمدنا التاريخ بشيء واضح عن اوضاعها الاجتماعية سوى ان الحياة قوامها الرعي وبساطة الحياة البدوية في ذلك القرن خاصة وكذلك مابعده. (١)

" واليمن مجتمع يتمتع برفاهية ونعيم منذ القدم وكان في ذلك العهد من القرن الخامس الهجري بيوت الامراء والاكابر تموج بالجواري والخدم من اجناس مختلفة على ابواب القصور التي اتخذت من الداخل اجمل الوان النقش والغرش الوثير وكان دهان الذهب والرخام لبيوت السلاطين فقط. وكانوا يكثرون الصدقة في شهر رمضان وتكثر في مطابخهم كميات واصناف الاكل المختلفة بغرض توزيعها على الفقراء والمحتاجين. ونتيجة لكثرة الجوارى والاماء في هذا المجتمع فقد شاع الغناء والطرب، فبالاضافة الى الغناء الحميري القديم وجد غناء في عهد الاسلام وسمي بالحنفي. وكانوا يتغننون في المآكل ويتفاخرون بالوان العطور وتعدد انواعها وروائحها، وقد قامت المرأة بتدبير شئون الحكم في ذلك القرن مثل اسماء زوجة الصليحي وكذلك الملكة آروى بنت احمد الصليحي وزوجة ابنها المكرم والتى تولت شئون الحكم بعد وفاته". (٢)

وحضرموت وظفار بلد ذو طبيعة واحدة تتميز فيها الحياة بشظف العيش وكانوا ملاحين ممتازين جابوا الاقطار ونشروا الاسلام بشرقي افريقيا والملايو واندونيسيا والهند وعايشوا اهل هذه الاقاليم (٣)

---

(١) شوقي ضيف، مرجع سابق، ص ١٧.
(٢) نفس المرجع السابق، ص ٣٦- ٣٧.
(٣) نفس المرجع السابق، ص ٣٧-٣٨.

وعمان وعاصمتها مسقط، وهى بلد تطل على بحر العرب وسكانها من عناصر مختلفة افريقية وايرانية وهندية وعربية والغلبة للعنصر العربي ويجلس اهلها فى صحون المساجد للاكل، وقد كان هذا البلد على درجة عالية من الثراء يدل على ذلك الكثير من المواقف التاريخية فى ذلك العهد. وكل هذه الاقاليم كانت المرأة فيها تهتم بزينتها والغناء منتشر واحتفالاتهم بعيدي الفطر والاضحى كانت كبيرة، علاوة على اهتمامهم بتصنيف الاطعمة والتفنن فيها. (١)

والتشيع شائع فى انحاء الجزيرة العربية وكانت الزيدية تمارس نشاطها فى الحجاز واليمن. والقرامطة فرقة شيعية اسماعيلية نزلت الاحساء أما الخوارج فكانت لهم بقية من الاباضية سكنت نزوى جنوب الجبل الاخضر داخل اقليم عمان وجعلوها مركزا وحاضرة لهم وعندما استولوا على عمان منذ منتصف القرن الخامس الهجري فكان طبيعيا أن ينتشر مذهبهم هناك وانتهى القرن الخامس وهذه المنطقة معهم. (٢)

الحالة الاجتماعية فى بلاد العراق:

عند الحديث عن الاوضاع الاجتماعية فى بلاد العراق فى القرن الخامس الهجري لابد أن نتحدث عن طبقات المجتمع التى تميزت فى هذا القرن وفى القرن الذى سبقه.

بعد أن تعرض المجتمع العباسي فى القرن الرابع الهجري الى التفكك والتنازع كنتيجة طبيعية للظروف السياسية والاقتصادية تميزت

---

(١) نفس المرجع، ص ٣٨- ٣٩.

(٢) نفس المرجع ، ص ٤٠- ٤٦.

في هذا المجتمع ثلاث طبقات :-

طبقة ارستقراطية تتألف من الخلفاء والوزراء والقواد وكبار التجار وطبقة وسطى تتكون من تجار متوسطين ونحوهم، وطبقة ثالثة فقيرة هي سواد الشعب الأعظم من صغار الفلاحين وصغار العمال والعلماء والفقهاء (١) وأغدق الأغنياء الاموال على المغنيين والمغنييات أى انصرف اصحاب الطبقة الغنية الى انواع اللهو واقتناء الجواري والغلمان مما جعل الرقيق عنصرا هاما من عناصر المجتمع ،وكل هذا ساعد على فساد الاخلاق والانحراف عن الجادة. (٢)

أما السواد الأعظم من الناس كان يعاني ضيق الحال والبطالة الأمر الذى أدى الى اسوأ النتائج ممثلة بالدرجة الاولى فى اللصوصية التى شاعت فى العراق بل وفى كل المدن الاسلامية وهؤلاء سموا بالعياريين أو الشطار، ولهم ملابسهم المميزة، وكان عملهم التجول في الاسواق بهدف السلب والنهب. (٣) وقد نسجت حول مغامراتهم القصص والحكايا فنجدهم فى سنة ٤١٦ هـ يتفاقم شرهم فيقتلوا وينهبوا الأموال ويفعلوا مايريدوا. (٤) وكذلك فى سنة ٤٢٥هـ اشتد اذاهم وعظم فسادهم. (٥) وايضا فى عام ٤٩٣هـ زاد أمر العيارين فى الجانب الغربي من بغداد وعظم ضررهم فأخذ الخليفة جماعة من اعيانهم وطلب الباقين فهربوا (٦).

---

(١) حسن عبدالعال، مرجع سابق ص٦٢.

(٢) نفس المرجع، ص

(٣) نفس المرجع، ص ٦٣.

(٤) ابن الاثير، مرجع سابق ،جـ٩ ،ص ٣٤٩.

(٥) نفس المرجع، ص ٤٣٧.

(٦) نفس المرجع، جـ ١٠ ،ص ٣٠١.

ثم في عام ٤٩٧هـ زاد نشاطهم وكثر العياريين في كل مكان. (١)

ويرى بعض المؤرخين أن حركات العياريين أوجدتها فوضى السياسة والظلم الاجتماعي،وكذلك الاستغلال الاقتصادي فطبيعي ان يكون رد الفعل بهذه الصورة فالنفس البشرية تبحث عن العدالة والمساواة فلايسعها الآن تلجأ للفوضى في مجتمع ملىء بالفوضى والظلم.

أما النتيجة الثانية فهي انتشار نزعة التصوف والزهد، فكان الاغنياء والمترفون منغمرين في اللهو والملذات،وكرد فعل لهذا تمسكت نسبة من الشعب بشعائر الدين واجبا وسنة كتعبير عن سخطهم بما في المجتمع من فساد،فاتجهوا للمساجد والعبادة والزهد وكان اعتقادهم يتمثل في زوال نعمة الدنيا لامحالة وبقاء نعيم الآخرة فلابد من العمل لها. (٢)

وقد رأينا عند الحديث عن الحالة السياسية بالعراق ان الخليفة العباسي رحب بدخول السلاجقة الى بغداد رغبة منه في التلخص من السيطرة البويهية الشيعية التي لاتعترف بالخلافة العباسية والتي سلبت الخليفة العباسي كل مالديه من سلطة ونفوذ. فالسلاجقة كما هو معروف سنيون والخليفة العباسي سني ،هذا بالاضافة الى ماعانوه من ظلم وجور ابان تسلط الحكم الشيعي البويهي في العراق والمشرق.

فاخذ السلاجقة يقدمون كل الجهد لتفتيت واضعاف قوة الشيعة في المجتمع العراقي فنجد اجماع المؤرخين يشير الى ان من الاسباب

---

(١) سهيل زكار، مرجع سابق، ص ٣٢٤.

(٢) حسن عبدالعال، المرجع السابق،ص ٦٣.

الرئيسية التي دعت الوزير نظام الملك الى الاهتمام والاسراع بانشاء المدارس النظامية كان محاولته محاربة الفكر الشيعي عن طريق نشر العلم والثقافة الاسلامية الصحيحة ، واعتماد اساليب الجدل وعلم الكلام والمنطق للرد عليهم، ولكن يبدوا ان تماسك الشيعة وكثرة انصارها واسلوب عملها كان اقوى من جهود السلاجقة فلم تتحقق النتائج المرجوة على الوجه المطلوب. (١)

والى جانب هذا الخلاف بين السنة والشيعة كان هناك الخلاف القائم بين أصحاب المذاهب السنية وهم: الشافعية، والحنفية، والحنابلة. (٢)

فلقد التزم نظام الملك بالمذهب الشافعي ودعى له في مدارسه النظامية، ولم يرض رجالات الدولة السلجوقية المتعصبين للمذهب الحنفي وهو المذهب الرسمي للدولة العباسية عن ذلك مما حدى ببعض رجالاتها من تأسيس مدرسة للحنفية ببغداد سنة ٤٥٩هـ وكان هذا الرجل هو شرف الملك الخوارزمي مستوفي مملكة السلطان آلب ارسلان وكانت تقوم بالدعوة للمذهب الحنفي (٣): ثم ماكان من دور الآشاعرة على يد ابوالحسن الآشعرى منذ القرن الثالث الهجرى في محاربة المعتزلة بسلاح المنطق والفلسفة، هذا بالاضافة الى كراهية اهل السنة لهم مما حدى بالحنابلة في القرن الخامس الهجرى الى حرق كتب المعتزلة ومعاداتهم (٤)

---

(١) مريزن سعيد مريزن، مرجع سابق، ص ١٣١.

(٢) نفس المرجع السابق، ص ١٢٦.

(٣) نفس المرجع، ص ١٢٨- ١٢٩.

(٤) نفس المرجع، ص ١٣٣- ١٣٤.

ولقد أصبحت النزعه الصوفيه ظاهرة مميزه لهذا القرن بعد أن اتسعت موجة الزهد التى بدأت منذ القرن الثالث الهجرى ، والتى أغرت أعدادا كبيره من مجتمع القرن الخامس الهجرى للانخراط بسلك الصوفيه التى أصبح لها زوايا وفكر وعلوم خاصه . وقد أثرت الصوفيه فى الحياة العلميه والفكريه .(١)

ومن طبقات الشعب التى لها دور فعال فى الحياة الاجتماعيه فى العصر العباسى عامه طبقة الرقيق ، فقد امتلأت بهم دور الخلفاء والأمراء والأعيان .(٢)

وظل أهل الذمه من اليهود والنصارى يمارسون طقوسهم الدينيه بكل حرية وأمن ، ولم تتدخل الدوله فى شعائرهم ، بل بلغ تسامح بعض الخلفاء بأن يحضروا أعيادهم .(٣)

ومنذ القرن الرابع الهجرى أخذ عدد المجوس يتزايد فى العراق وجنوب فارس نتيجة تمسكهم بتقاليدهم وعاداتهم فاعترفت الدوله العباسية بهم .(٤)

وهكذا نجد ان التفكك والتنازع قد اثر على المجتمع أبلغ الأثر ، فهناك طوائف للشيعه وفرق للسنه أضعفت كاهل هذا المجتمع المسلم بما قدمه السلاجقه والبويهيون من تحزب لطوائفهم فى شتى النواحى .

---

(١) نفس المرجع ، ص ١٤٣ - ١٤٨ .

(٢) حسن ابراهيم حسن ، مرجع سابق ، ح ٣ ، ص ٤٢٤ .

(٣) نفس المرجع ، ص ٤٢٥ .

(٤) نفس المرجع ، ص ٤٢٦ .

وقد كان لهذه التصرفات آثار خطيرة على المجتمع آنذاك ،فبدأت المنازعات بين الشيعة والسنة تظهر للعلن ،ففي منتصف القرن الرابع الهجري ، وفي سنة ٣٤٩هـ حدثت فتنة كبيرة في بغداد تعطلت على اثرها صلاة الجمعة في مساجد السنيين واقيمت في مسجد شيعي وأمر معز الدولة البويهي باعتقال جماعة من أهل السنة.(١)

وكانت الاحتفالات التي يحرصون عليها الشيعة ويعملون على اقامتها سببا هاما في اثارة الفتن والقلاقل كذكرى يوم عاشوراء واحتفاءهم بذكر يوم غدير خم.(٢)

ونشطت فرقة الاسماعيلية الباطنية في القرن الخامس الهجري فقد كان لها اسلوبا خاصا في نشر دعوتها يعتمد على السرية التامة ، وكانت تتخذ أحيانا من رعاية العلوم وتنظيمات العمال طريقا غير مباشر لبث دعوتها في عقول الناس. وقد تصدى العلماء المسلمون لهذه الفرقة منذ بداية الأمر لعلمهم بخطورة ماتدعوا اليه ومن هؤلاء حجة الاسلام الامام ابوحامد الغزالي المتوفى سنة ٥٠٥هـ وابن الجوزي المتوفي سنة ٥٩٧هـ وقد اتفق الاثنان على رأى واحد حول السبب في سهولة انقياد العامة لتعاليمهم وهو: تركيز الدعوة الباطنية على المزارعين وأصحاب الحرف ، من ذوى الثقافة المحدودة ، والذين كانوا يعانون من الاوضاع الاقتصادية السيئة في تلك الفترة(٣)

---

(١) نفس المرجع ، ص ٤٢٣.

(٢) حسن عبدالعال ، مرجع سابق ،ص ٧٦.

(٣) مريزن سعيد مريزن ، مرجع سابق ، ص ١٣٤-١٣٦.

ومن المظاهر الاجتماعية التى قاومها فقهاء الحنابلة ظاهرة الفناء ، ونتيجة لاضطراب الحكم كثر شرب الخمر وأنحلت الاخلاق وتصدى لذلك بعض الصالحين . (١)

وكان للمرأة قسط وافر من الحرية ، فهى تحضر مجالس الوعظ فى المساجد ، وهى تشارك الرجل فى اقامة الشعائر الدينية وفى ميدان العلم والثقافة ولكن من وراء حجاب . ولبعض نساء العصر السلجوقي تأثير على الخلفاء والسلاطين ، فقد استطاعت تركان خاتون زوجة السلطان ملكشاه والتى اشتهرت بدهائها ان تحمل الخليفة العباسي القائم بامر الله على تقليد ابنها محمود السلطنة مما فجر الصراعات الداخلية فى صفوف السلاجقة فيما بعد . (٢)

وأما عن الاحتفالات فنجد الشعب يحيى ليالي رمضان بتلاوة القرآن وصلاة التراويح طيلة ايامه . فيدركهم عيد الفطر الذى له من الاستعدادات الشيء الكثير من اتخاذ الزينة والاعلام واستخدام الالوان الزاهية وضرب الطبول ، وكذلك عيد الاضحى أيضا يقام ذلك وتذبح الاضاحي وتوزع على الفقراء ، وفى عيد الفطر توزع الفطرة ، وفى كلا العيدين تقام صلاة العيد بحضرة الخليفة الذى يخرج فى موكب ومعه رجالات الدولة وتصف الناس على الجانبين (٣)

---

(١) حسن ابراهيم حسن ، مرجع سابق ، جـ٤ ، ص ٦٣١-٦٣٢ .

(٢) نفس المرجع ، ص ٦٤١- ٦٤٢ .

(٣) نفس المرجع ، ص ٦٤٣- ٦٤٤ .

الحالة الاجتماعية في بلاد الشام:

ينقسم فئات السكان في بلاد الشام الى طبقتين كبيرتين هما :-

(١) طبقة الخاصة :

وهذه تشمل الحكام وأهلهم والاعيان وكذلك اتباع هذه الطبقة من موالي وعبيد (١). والعلماء والفقهاء والادباء من طبقة العامة الذين تقربوا من الحكام والوزراء فكانوا في رغد من العيش فهم يسكنون أحسن سكن ويتقاضون احسن رواتب فصنفوا ضمن طبقة الخاصة. (٢)

(٢) طبقة العامة :

وهذه تشمل طبقة من التجار يبيعون المجوهرات والمصوغات والرياش الثمينة والثياب الفاخرة والرقيق، وكان اكثر ارتزاقهم من الحكام وجلسائهم. ويقيمون في اكبر مدن الشام كحلب ودمشق وطرابلس وحماة. وقد وصل بهم الأمر الى تكليف الدولة لهم كسفراء بين الدول والولاة. (٣)

وكذلك تشمل طبقة العامة الصناع وصغار التجار أصحاب الحوانيت داخل البلد والخطاطون والمصورون والمعماريون ،وكذلك العياريون والشطار والفتوة واصحاب الحرف الصغيرة(٤)

---

(١) احمد رمضان: المجتمع الاسلامي في بلاد الشام- القاهرة الجهاز المركزي للكتب الجامعية، مؤسسة روزاليوسف ١٩٧٧م ص ٨٥.

(٢) نفس المرجع، ص ٩١-٩٢.

(٣) نفس المرجع ، ص ١٠٦- ١٠٨.

(٤) نفس المرجع ، ص ١٠٠.

والمجتمع الاسلامى فى بلاد الشام تشكله الفرق الاسلامية من السنة بمذاهبها الاربعة والشيعة بطوائفها المختلفة (١) والعنصر الغالب هم العرب وقد قامت على أيديهم امارات بلاد الشام كما ورد فى الحديث عن الحالة السياسية بالشام لهذا البحث ثم العناصر غير العربية وهم: الاتراك والسلاجقة والاراتقة والاتابكة، ثم أهل الذمة والسريان والارمن. (٢) وهؤلاء تمتعوا بحرية دينية، وكانت التجارة المسيحية تنال من التشجيع الكثير فى عهد السيطرة الفاطمية على بلاد الشام. (٣)

ويصف المقدسي مذاهب أهل الشام فى القرن الرابع الهجرى أثناء سيطرة الفاطميين عليها والتى لم تضعف الآ فى القرن السادس الهجرى فيقول :-

"ان السامرة منتشرون من فلسطين الى طبرية ، ولانجد مجوسيا ولا صابئا مذاهبهم مستقيمة اهل جماعة وسنة واهل طبرية ونصف نابلس واكثر عمان شيعة، ولا ماء فيه لمعتزل انما هم فى خفية، وفى بيت المقدس خلق من الكرامية لهم خوانق ومجالس بجامع دمشق والعمل كان فيه على مذهب اصحاب الحديث والفقهاء شفعاوية واليوم أكثر العمل على المذهب الفاطمي". (٤)

---

(١) نفس المرجع ،ص ٦٦- ٨٢.

(٢) نفس المرجع ، ص ٣٨- ٥٥.

(٣) نفس المرجع ، ص ٦٠.

(٤) المقدسي : احسن التقاسيم فى معرفة الاقاليم ط ٢ لندن ١٩٠٩م ص ٨٩.

ويحدثنا ايضا عن وضع أهل الذمة بها فيقول :

" ان اكثر الجهابذه والصباغين والصيارفة والدباغين بهذا الاقليم يهود ، واكثر الاطباء والكتبه نصارى". (١)

وقد بقى الكثير من اهل الذمة والسريان والارمن على لغتهم بل كانت لغة التخاطب اليومي بينهم، ولهم مناطقهم وجزرهم الخاصة. (٢)

وكان لهذا أثره الاجتماعي حيث استقلال هوءلاء بلغتهم سهل عليهم الاتصال بمن هم على دينهم مثل البيزنطيين والصليبيين. (٣)

ثم ان الخلط لهذه العناصر في تكوين مجتمع الشام كان له آثره الواضح على التعمير والتخريب والعدل والظلم، وكذلك آثر في المرأة واخلاقها وعاداتها ومظهرها، هذا من ناحية ومن ناحية اخرى نجد دور كثرة الجدل بين فقهاء الدين الاسلامي وماسببه من مشاكل سياسية واجتماعية ، وكبرى مخاطر التنازع المذهبي والطائفي هو التعصب من جانب السنة والشيعة الذى بذرته روح العصبيات القومية والتي كانت في الاعماق معادية لدين الاسلام نفسه وماانتج عنها من قيام دول للشيعة تبث افكارها المستوحاة من انظمتها الوضعية والتي تخدم الدعوة لهم بنظام حكم معين ، وأما من الناحية العلمية فيرى بعض الكتاب انه ان كان القرن الرابع الهجري هو عصر التقدم العلمي وازدهاره فان القرن الخامس وصل الى قمة ذلك الازدهار بتعاون رجال العلم من جميع تلك

---

(١) احمد امين : ظهر الاسلام ، جـ١ ، ط ٣ ، بيروت، دار الكتاب العربي ، د.ت، ص ٨٢.

(٢) احمد رمضان : المرجع السابق، ص ٦٤.

(٣) احمد امين، المرجع السابق، ص ٨٧-٨٩.

من قبل الخليفة الفاطمى بتقديم الاطعمة والحلوى ، ثم يخرج هـؤلاء النواب فى مواكب فخمة وتسك النقود بهذه المناسبة ، واما يوم عاشوراء فتبعا لسياسة الفاطميين اتخذ فى الشام يوم حزن تعطل فيه الاسواق وتقدم أطعمة معينة ، وبعد زوالها من الشام أصبح يقام يوم سرور وكذلك يحتفل بيوم مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم ليالى الوقود ، وهى اربع ليالى : مستهل رجب ونصفه ، ومستهل شعبان ونصفه وأيضا كان يحتفل بيوم الغدير كعيد فى محيط الشيعة ، فرد عليه السنة بعيد بعده بثمانية أيام تفاؤل بدخول النبى صلى الله عليه وسلم الغار فى طريق هجرته الى المدينة مع ابى بكر الصديق رضى الله عنه ، ويظهرون فيه الكثير من الفرح . (١)

والبلاد الاسلامية كلها تحتفل بشهر رمضان وبحكم خضوع مصر والشام للحكم الفاطمى فكانت كثير من العادات والتقاليد يتشابه فيها القطرين وكذلك الحجاز وخاصة مكة ، فكان الاحتفال بشهر رمضان يلقى اهتماما بالغا فى كل تلك الاقطار متمثلا فى تلاوة القرآن الكريم والصلوات وتمتلىء زوايا واركان مساجد طرسوس بالمصلين والمقرئين ، واذا ختم الصبى القرآن فى رمضان قام أهل دمشق بتنصيبه خطيبا وذلك بحضور القاضى وجماعة من الشيوخ . ويكون اهتمامهم بمقدم رمضان منذ شهر شعبان فيقوم نظار أوقاف المساجد بتغيير الحصر وزيادة الاضاءة واعداد قناديل المنارات التى تظل مضيئة حتى السحور فى جميع مدن الشام وماحولها ويقوم بائعي النقل والقمرالدين بابراز بضاعتهم منهما وتحتشد بهما الاسواق فى شهر رمضان بل تصدر منه الشام لمصر

---

(١) نفس المرجع ، ص ٢٣٩- ٢٤٣ .

الشئ الكثير. (١)

ولأهل الشام عادات وتقاليد خاصة بهم فى احتفالاتهم المدنية كالزواج واليوم السابع من الولادة يخرجون فى مجموعها بمواكب واحتفالات تقدم فيها الاطعمة والحلوى الزاخرة بالاصناف المختلفة. وفى المآتم والأحزان كانت لهم عادات وتقاليد أيضا نقلت لهم من قدماء المصريين وهى بعيدة عن سمات الاسلام. (٢)

وكانت عادات وتقاليد المزارعين الشاميين خليط من عادات السوريين القدماء وعادات العرب وذلك فى مثل مناسبات الزواج، وهناك تضامن ومساعدة فى مناسبات الاحزان والمآتم أيضا. (٣)

وأما البدو فلهم أيضا عادات خاصة بهم اهمها عدم الاستقرار والتنقل خلف العشب والماء، ويعتمد البدوي على سيفه وله قضاءه الخاص من نفس القبيلة، ويقدر ثراء البدوى بكبر اسرته من النساء والبنات. ومن عاداتهم الكرم المنقطع النظير. (٤)

الحالة الاقتصادية فى الجزيرة العربية :

ان الصلة وثيقة بين اقليم الحجاز ومصر منذ الفتح الاسلامي وظل هذا الاقليم مذعنا لمصر اثناء الخلافة الفاطمية وفى عهد الحاكم

---

(١) نفس المرجع، ص ٢٢٤- ٢٤٥.

(٢) نفس المرجع، ص ٢٤٨-٢٥٣.

(٣) نفس المرجع، ص ٢٠٩.

(٤) نفس المرجع ، ص ٢١٧-٢١٨.

والظاهر والمستنصر ، وتحمل لمواطنيه الغلال والاموال والخلع والهدايا وكسوة الكعبه من مصر.(١)

فقد كان يرد الى مكه كميات كبيره من القمح سنويا من مصر فى العهد الفاطمى .(٢)

وكانت مكه والمدينه يعتمدان على الزراعه وذلك عن طريق زراعة المناطق القريبه منها وماحولها وذلك رغم عدم كثرة المياه حول مكه ، اما المدينه فتشتهر بوفرة المياه فيها وكذلك الزراعة . هذا بالاضافه الى وجود حرف يعيش منها اهل تلك المدن كالنجاره والعماره والحياكه ، الى جانب التجاره والتى تتمثل بالدرجة الاولى فى تعدير التمر الى المدن الأخرى كما يستوردون التوابل وغيرها مما يحتاجه اهل المدن .(٣)

لقد ساعد على الاضطراب الاقتصادى فى الحجاز السياسه النفعيه التى ينتهجها أمراء مكه فى تلك الآونه ومن أبرز مميزاتها الخطبه على منبرى الحرمين للفاطميين مره والعباسيين أخرى على اساس استمرار أو قطع الهبات والعطايا من قبل الخلفاء فى الدولتين .(٤)

ونتيجة طبيعيه لذلك الاضطراب عانت مكه الكثير من الضيق

---

(١) احمد مختار العبادى : فى التاريخ العباسى والفاطمى . بيروت : دار النهضة العربية ، ١٩٧١ ، ص ٣٤١ - ٣٤٢ .

(٢) شوقى ضيف ، مرجع سابق ، ص ٣٥ .

(٣) ~~نفس المكان السابق~~ . نفس المرجع .

(٤) احمد مختار ، المرجع السابق ، ص ٣٤٣ .

والغلاء ، والفقر والشدة في تلك الفترة .

ويخبرنا ابن الاثير عن النصف الثاني من القرن الخامس الهجري وفي احداث عام ٤٥٥هـ فيقول :

"دخل الصليحي صاحب اليمن الى مكة مالكا لها فأحسن السيرة فيها ، وجلب لها الأقوات ورفع جور من تقدم ، وظهرت منه افعال جميلة" . (١)

ومما تقدم يتبين لنا ان في هذا القرن كان الحجاز عرضة للفتن والمنازعات والاضطرابات السياسية والاقتصادية مما أثر على حياة المواطنين فيه بالفقر وشتى الاضرار وعلى الحجاج بالسلب والنهب وقطع الحج في بعض الاعوام لبعض الأجناس من الحجيج، حيث نهب بعض الحجاج سنة ٤٨٦هـ وقتل منهم خلقا عظيما . (٢)

أما نجد فكانت تعتمد بالدرجة الاولى على رعي الابل والاغنام . (٣)

وبلاد اليمن وتشمل حضرموت واليمن ، واليمن ذات ثراء زراعي واسع النطاق وثروة حيوانية ، وكذلك ثراء تجاري منذ القدم وبحضرموت ميناء عدن التجاري الهام والذي تفرغ فيه السفن منتجات البلدان الأخرى ، وما لذلك من ثراء على اقتصاديات البلاد (٤)

وعمان بلد على درجة كبيرة من الثراء وتعتمد على الزراعة فهي تشتهر بالتمور والفواكه والزروع من الحنطة والذرة والشعير وتطل

---

(١) ابن الاثير، مرجع سابق ، جـ ١٠ ، ص ٣٠

(٢) نفس المرجع، ص ٢٣٩ .

(٣) شوقي ضيف، المرجع السابق ، ص ٣٤ .

(٤) نفس المرجع، ص ٣٥

على بحر العرب مما مكن للسفن أن ترسوا على سواحلها التي تكثر فيها مغاصات اللؤلؤ. (١)

والبحرين وجميع مايشمله هذا الاسم من مناطق كانت ذات موانئ وتجارة واسعة فهي ذات انتعاش اقتصادي، هذا بالاضافة الى اعتمادها على الزراعة والتي تتوفر لها عيون ماء كثيرة. (٢)

الحالة الاقتصادية في العراق :

هناك عدة اسباب أدت الى ازدهار الحياة الاقتصادية في القرنين الثاني والثالث الهجريين وتتلخص هذه الاسباب فيما يلي : (٣)

(١) الاستقرار السياسي والرخاء المادي خلال هذين القرنين مما حدى بالخلفاء ان ينصرفوا الى العناية بالزراعة والصناعة والتجارة.

(٢) قوة خلفاء بني العباس الأوائل وقدرتهم على السيطرة على الدولة الاسلامية ككل جعل خزائنهم وبيوت المال تطفح بما يرد اليها من انحاء الدولة المترامية الاطراف فكانوا يشيدون القصور، ويحفرون الترع ويبنون الجسور.

---

(١) نفس المرجع، ص ٣٨.

(٢) نفس المرجع ، ص ٣٩.

(٣) حسن احمد محمود ، احمد ابراهيم الشريف: العالم الاسلامي العصر العباسي ،ط ٥. القاهرة: دار الفكر العربي ، د.ت ص ١٩٣- ٢٠٢.

فلقد كان العصر العباسي حقا عصر الحضارة والازدهار في شتى نواحي الحياة، ولكن اضطراب الحياة السياسية في القرنين الرابع والخامس الهجريين كان له انعكاساته على الحياة الاقتصادية والاجتماعية والفكرية.

ويلاحظ أن البويهيين قاموا ببعض الاصلاحات في ميدان الري والزراعة ، وكذلك لجوء البعض منهم الى منح الجند اقطاعات من الارض لاستغلالها والذى كان مقدمة لظهور الاقطاع العسكري الذى سيتطور تطورا كبيرا في عهد السلاجقة ويصبح أحد ركائز العمل الزراعي ، وهذا بدوره أدى الى تحكم الجند بالأرض واستغلالهم لها وللفلاحين والمزارعين الذين يعملون بها. (١)

ويأتي عهد السلاجقة الذى انتشر فيه النظام الاقطاعي الى حد كبير ، فلقد كان لكل فرد من أفراد الأسرة المالكة مدنا ومناطق يمارس فيها الحكم والسلطة الاقطاعية مقابل تقديم جزية سنوية للسلطان السلجوقي كما يجهز الجيوش التي تحت سيطرته بالمؤن والاسلحة أثناء الحروب، وكانت الكثرة للاقطاعيين غير العرب. (٢)

وكانت ايرادات الدولة في العصر العباسي تجبى من الخراج والعشور وأخماس المعادن والجزية والفيء والغنائم (٣)

---

(١) سهيل زكار ، مرجع سابق ،ص ٣٢٣.

(٢) سيد أمير علي ، مرجع سابق ،ص ٣٧١.

(٣) حسن ابراهيم حسن ، مرجع سابق ، جـ٣ ،ص ٢٩٢.

وهناك ضرائب ترد الى بيت المال أهمها : ضريبة الواردات (الجمارك) وضرائب الصناعات ، وضرائب الكماليات وضرائب الحوانيت والمحلات. (١)

وهناك نظام اقتصادي آخر عمل على ارهاق الفلاحين وظلمهم عرف فيما بعد بنظام الالتزام :

" ولم يكن الالتزام مقصورا على اقطاع اجزاء من الارض في الولاية الواحدة بل قد يمتد ليشمل ولاية برمتها ، وقد ساد هذا النظام حين تولى الاتراك حكم الدولة العباسية واصبحوا يقطعون الولايات على أن يؤدوا لدار الخلافة مبلغا من المال عدا الهدايا والطرف" (٢) .

وحيث أن اقتصاد العراق كان يعتمد على الزراعة فأي ارتباك فيها أو اصلاح يكون له أبلغ الاثر على اقتصاد الدولة وعلى وضع مواطنيها ونتيجة لقيام نظام الاقطاع الذى كان بدايته فى عهد البويهيين بالعراق فقد ساءت احوال الزراعة واهملت الارض من قبل الاقطاعيين ووكلائهم فقلت واردات بيت المال. (٣)

ومن اخطر الانظمة التى ظهرت كنتيجة طبيعية لفساد الاحوال الاقتصادية واضطرابها ، ذلك النظام الذى يقوم على المصادرات فقد اعتبر هذا النظام فى بداية الأمر لونا من الوان العقوبة تصادر فيه أموال الامراء والوزراء وكبار رجالات الدولة، ولكنه أصبح

---

(١) سيد امير على ، مرجع سابق ، ص ٣٦٤ .

(٢) حسن ابراهيم حسن ، مرجع سابق ، جـ٣ ، ص ٢٩٥ .

(٣) مريزن سعيد مريزن ، مرجع سابق ، ص ١٠٠

فيما بعد غرضا من اغراض الدولة تلجأ اليه عند الحاجة الماسة الى المال ، ونتيجة لتلك المصادرات فقد الناس الطمأنينة على أرزاقهم وأموالهم . (١)

ولقد لجأ كثير من المزارعين هربا من دفع الضرائب الجائرة والقسرية الى نقل ملكية الأرض للرجل الذى يقوم بحمايتها صوريا ولكن كثيرا ما أدى ذلك الى نقلها فعليا للحامي أو ورثته . (٢)

وفى العصر السلجوقى تطور نظام الاقطاع وطبق الوزير نظام الملك نظاما اقطاعيا يتمشى مع أهدافه المحددة ، فقد فرق اقطاع القائد أو الجند الواحد فى بلاد مختلفة ، ولم يجعله فى مكان واحد حتى لاتكون له قوة قد تكون خطرا على كيان الدولة ، كما أن الوزير حدد لهؤلاء الجند بعض الالتزامات الرئيسية ، كما أنه لم يجعل الاقطاع تملكيا وانما استغلالا للارض فقط ، أما الارض فتبقى ملكيتها للدولة ، ولكن يبدو أن التطبيق العملي كان عكس ذلك تماما حيث سيطر الاقطاعيون على الارض عن طريق وكلائهم وصار الاقطاع وراثيا . (٣)

أما مجال الصناعة فيبدو أن حظها كان افضل فقد كان الخلفاء والوزراء يعملون على تشجيعها لأنها مورد هام من موارد الدولة فقد بلغت صناعة النسيج فى القرنين الرابع والخامس الهجريين درجة عالية من الجودة والاتقان ، فقد أنشأ البويهيون دورا للطراز بغرض تقديم

---

(١) حسن ابراهيم حسن ، المرجع السابق ، جـ٣ ص ٢٩٧-٢٩٨ .

(٢) مريزن سعيد مريزن ، مرجع سابق ، ص ١٠١ .

(٣) نفس المرجع ، ص ١٠٢-١٠٤ .

المنسوجات الراقية للخليفة وكبار رجالات الدولة، كما كانت المصانع الاهلية تنتج المنسوجات اللازمة لافراد الشعب . ومن اشهر دور الطراز: دار الطراز ببغداد، كما كان في الموصل والجزيرة الفراتية دور للطراز اقامها بني حمدان.(١)

ومن الصناعات التي كانت مزدهرة : صناعة الاسلحة كالسيوف والدروع والخوذ والرماح، وتعد بغداد من المراكز البارزة في صناعة السيوف خاصة بعد أن وفد اليها كثير من صناع خراسان المتفوقين بمهارة في صناعتها، كما ان كثرة المعادن بأرض العراق ساعدت على ذلك.(٢)

ومن الصناعات الاخرى : صناعة السجاد والستور والخيام، والخزف والزجاج، وصناعة الورق، وصناعة المصوغات الذهبية وصناعة السفن والقوارب ، وقد شهد القرن الرابع الهجري نهضة في صناعة الورق في معظم انحاء الدولة الاسلامية فأنشئت مصانع الورق في كل من دمشق وطبرية في فلسطين وبغداد.(٣)

أما في مجال التجارة ففي القرن الرابع الهجري كانت هنالك ضائقة مالية أخذت تعاني منها الدولة مما سبب صعوبة لدفع التجارة الى الامام وتنشيطها.(٤)

ثم ان الدولة خرجت من هذه الضائقة المالية عن طريق تقسيط اجور ارزاق الجند على الكتاب والعمال والتجار.(٥)

واستوردت الدولة الحبوب لحسابها الخاص بهدف بيعها بسعر مناسب فحدت من نشاط التجار والمحتكرين بعض الشيء(٦) وكانت التجارة

---

(١) محمد حسين الزبيدي، مرجع سابق، ص ١٣٩.

(٢) نفس المرجع، ص ١٤٨ (٣) نفس المرجع، ص ١٤٤-١٥٢.

(٤) نفس المرجع، ص ١٥٧.

(٥) ابن مسكويه: تجارب الامم وتعاقب الهمم، ج٢ القاهرة ١٣٣٤هـ ص ٨٣.

(٦) محمد حسن الزبيدي، مرجع سابق ص ١٥٧-١٥٨

فى العراق تدر ارباحا كبيرة على التجار حتى وجد عدد من التجار ذوى ثروات طائلة لدرجة أن الخلفاء وكبار رجال الدولة كانوا يقترضون منهم وقت اشتداد الازمة المالية. (١)

وقد نتج عن عدم توفر الامن والاستقرار فى عهد الحكم البويهيي انكماش التجارة تارة وتنشيطها تارة أخرى. (٢)

وقد انتشر الدينار الذهبي فى هذة الفترة حيث أصبح التعامل بالنقود أساسي بالعراق وأخذت الظاهرة تنتشر فى شرق الدولة الاسلامية منذ بداية القرن الرابع الهجري الى جانب التعامل بالدرهم الفضي الذى اختفى بالقرن الخامس الهجري وساد استخدام الدينار كل البلاد الاسلامية. (٣)

وقد ظهر التخصص المهنى فى القرن الرابع الهجرى نتيجة لظروف المجتمع فكانت هناك فئات متعددة المهن وبطبيعة الحال ظلت وظل دورها الاقتصادي واضحا فى بغداد ودمشق وحلب والقاهرة وحواضر المدن الاسلامية كالحبوبيين والدقاقين والخبازين والجزارين فمهنة كل فئة من هوءلاء هى مصدر رزقها. (٤)

الحالة الاقتصادية فى بلاد الشام:

من المعروف أن بلاد الشام بلد تجارى من الدرجة الأولى بحكم موقعها الجغرافى وهى تشتهر بذلك منذ ماقبل الاسلام حيث يقول

---

(١) نفس المرجع، ص ١٥٨-١٥٩.

(٢) نفس المرجع، ص ١٦٠.

(٣) نفس المرجع، ص ٢١٩.

(٤) حسن عبدالعال، مرجع سابق، ص ٦١.

تبارك وتعالى " لأ يلاف قريش ايلافهم رحلة الشتاء والصيف". (١) ويقصد برحلة الصيف رحلة القرشيين الى الشام بغرض التجارة صيفا .

فنجد ان تجارة بلاد الشام واسعة زاهرة على مر العصور فهم يتاجرون فى الألماس والياقوت واللؤلؤ الذى يحملونه من بلاد الهند والبحرين واقمشة القباطى وغيرها من مصر، والزجاج والخزف من البصرة والمسك والكافور من الصين ، والحصر من عبدان ، وأكثر طوائف التجار كان اليهود . (٢)

هذا ماتستورده الشام ، أما ما تصدره فهو الزيت ، والزبيب ، والقمر الدين ، والفستق ، والقناديل ، والتمور، والحبوب، والخرفان ، والسكر والمرايا ، والزجاج ، والانسجة مثل الدمسقى والديباج ، والجوز ، ودهن البنفسج ، والصابون . وكان ذلك ينقل فى سفن أو قوافل حسب الظروف المكانية التى تقتضى ذلك من الشرق الى الغرب ومن الجنوب الى الشمال . وكانت الدولة تستفيد من التجارة فى اقتصادياتها بأخذ الضرائب من التجار. (٣)

وكانت الشام تتاجر فى الخشب لكثرة الغابات لديها . هذا بالاضافة الى صناعة دباغة الجلود(٤) وكانت صناعة المرايا تقوم فى صيدا وهى صناعة قديمة منذ عهد الرومان بالشام . وكانت طبرية تتفوق فى صناعة الحصر والسجاد . (٥) وتعتمد الزراعة الى درجة كبيرة على

---

(١) سورة قريش - آية - ١-٢ .

(٢) احمد رمضان ، مرجع سابق ، ص ١٠٦-١٠٧

(٣) نفس المرجع، ص ١٢٣ .

(٤) نفس المرجع ، ص ١٢٧

(٥) نفس المرجع ، ص ١٢٧ - ١٢٨ .

مياه الامطار فيجبى الخراج على فترتين وذلك فى الأراضى المعتمدة على الأمطار، وتكون الاراضى التى تروى من العيون ذات محصول أوفر بالتالى لسهولة زراعتها ، وتؤخذ من المزارع قيمة الارض البور ويكون مناصفة أرض السقي ومثالثة ومرابعة فو. باقى الأراضى والخالية من السكان مخامسة أو مسادسة ، وفى الأراضى المتاخمة لبلاد العدو تكون مسابعة ومثامنة ثم يفرغ المباشر من المقاس ويأخذ ما يخص الديوان (١)

وقد انعكست هذه الاقتصاديات على المجتمع بالرفاهية والثراء هذا بالاضافة الى طمع الصليبيين فيها الذى عكسته تلك الاقتصاديات ايضا .

وكان نظام الاقطاع سائد فى عهد الفاطميين والسلاجقة، وكان الفاطميون يقطعون الاراضى للمدنيين من الوزراء أو الامراء أو يقطعونها للقواد ، فى حين كان السلاجقة يقطعونها للجند فنشأ نظام الاقطاع الحربي الذى نبذ نظام الرواتب وأصبح السائد هو نظام المكافئة على أساس اقطاعى . ولم يقف الحد عند ذلك بل نجد ان القرن الخامس الهجري قابل استبداد زاد عن حده فى هذه الناحية فلم يقف الأمر عند اقطاع الأراضى انما تعداه الى التلاعب فى حقوق بيت مال المسلمين التى كانت تحول لاقطاعات يخص بها أنصار السلاطين من بويهيين وسلاجقة،ثم ان المقطعين وضعوا وكلاء لادارة تلك الاقطاعات مما زاد تدهور الوضع، وقد ساهم فى ذلك النظام الفاطمى والبويهى والسلجوقي على حد سواء ولم يكن احدهم احسن من الاخر

---

(١) نفس المراجع ، ص ١٣٠.

في حفظ حقوق الرعية وحقوق بيت مال المسلمين. (١)

ويلاحظ ان المجتمع الاسلامي في بلاد الشام قابل سوء حالة اقتصادية في العقد الأخير من القرن الخامس الهجري بسبب قيام الحروب الصليبية الذي بدأت فيه الشام تستنفذ الكثير من الاموال وارهاق الاقتصاد نتيجة الاستعداد لها وصد عبث الصليبيين بالمدن والقلاع والضياع الشامية ونهبها والفتك بكل ما يصادفهم من أراضي وقع استيلائهم عليها في تلك الفترة. (٢)

أثر الاوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية على الحالة الفكرية والعلمية في الجزيرة العربية وبلاد العراق وبلاد الشام:-

يرى بعض المؤرخين المعاصرين ان الخلاف الذي حصل بين المذاهب الاسلامية والفرق الدينية في العصر العباسي عامة وفي العصر السلجوقي خاصة كان قد لعب دورا كبيرا في تطور الحركة العلمية والثقافية. (٣)

واذا كانت الاحوال السياسية المضطربة في هذا القرن، والاوضاع الاقتصادية المتردية، وضعف الخلفاء العباسيين قد ألقت بظلالها على الاوضاع الاجتماعية فان النهضة العلمية والفكرية كانت على قدر من التقدم والتطور، وكانت تلقى التشجيع والدعم من بعض الامراء والوزراء، ومع ان سيطرة السلاجقة على العراق تمثل فترة ضعف واضطراب سياسيين، فأن الحركة العلمية قد نشطت وسارت باتجاه مغاير تماما وقد

---

(١) احمد رمضان، مرجع سابق، ص ٢٢٠-٢٢١.

(٢) محمد كرد علي، خطط الشام، مرجع سابق، ص ٢٨٨-٢٨٩.

(٣) مريزن سعيد مريزن، مرجع سابق، ص ١٥٩.

ساهمت المدارس السنية المختلفة فى التركيز على الدراسات الشرعية واللغوية ويبدو أن تفكك الدولة العباسية فى أواخر القرن الخامس واوائل القرن السادس الى دويلات منفصلة كان له دور فى تنافس العلماء والادباء ، فقد أصبح لكل دويلة استقلالها المالى ، فكان بامكانها ان تخصص جزء من واردات خزينتها لرعاية العلم وتشجيع العلماء . (١)

"فكانت قصور (الصاحب بن عباد) وزير آل بويه فى الرى واصفهان ملتقى العلماء والادباء من امثال القاضى عبدالجبار، والمعتزلي ، وبديع الزمان الهمداني ، وابو منصور الثعالبي ، وفى بلاد الغزنويين فى الشرق كان ابوالفتح البستي وابو اسحاق الاسفراييني يحظيان بالرعاية والاهتمام وفى امارة خوارزم عاش ابن سيناء والبيروني فترة من الزمن" . (٢)

ويبدو ان الاحتكاك الفكرى والمنافسات المذهبية كالاحتكاك بين أهل السنة والمعتزلة، وبين أهل السنة والشيعة، وبين الفقهاء والصوفية ، وبين الفقهاء والفلاسفة كان ذلك كله من أهم اسباب نشاط الحركة العلمية. (٣)

ففى ظل كل تلك الاضطرابات السياسية كان العراق خلال القرن الخامس الهجري يمتاز بحركة ثقافية واسعة النطاق ساهمت فيها شتى الاجناس والمذاهب ، وامتلأت المدارس والمساجد والمكتبات بطلاب العلم الوافدين الى بغداد بهدف الاطلاع والدراسة من شتى الاقطار ، فلقد كانت نظامية بغداد فى النصف الثانى من القرن الخامس

---

(١) عبدالمجيد ابوالفتوح بدوى : التاريخ السياسى والفكرى ، ط١ جدة عالم المعرفة ، ١٤٠٣هـ ، ص ٢٠

(٢) نفس المرجع.

(٣) نفس المرجع.

قبلة انظار الدارسين والمعلمين. (١)

وكان ظهور المدارس فى المشرق الاسلامى من مميزات القرن الخامس الهجرى، وهذا ساعد على ازدهار الحركة الفكرية والعلمية خلال القرن وقد كان سلاطين السلاجقة يقدرون العلم، ويجد العلماء عندهم كل تشجيع واهتمام، فقد أدرك هؤلاء ماللعلم من حمى للدولة بفضل اولئك العلماء الذين يعتبرون نورا يهدى أبناء الدولة الاسلامية الى سعادة الدنيا والآخرة، فقد حاولوا الاهتمام بكل الوان الثقافات فنجد قصورهم عامرة بالعلماء والأدباء والشعراء، وقد كان من أبرز هؤلاء ألب ارسلان الذى أحب العلم ومال الى صحبة المثقفين وسماع ماعندهم. (٢)

وكان من أهم الأخطار الداخلية التى هددت الامة الاسلامية تجزئة الدولة الاسلامية الى دويلات وكذلك كثرة الفرق الدينية وأهم الاخطار الخارجية هو مطامع الصليبيين فى بلاد الشام، كل هذا دفع نظام الملك الى الأخذ بازالة اسباب الخلافات والدفاع عن الفكر والعقيدة عن طريق نشر العلم وتشجيع العلماء وافتتاح المدارس من جهة والاهتمام بالجيش بما يكفل له مواجهة العدو من جهة أخرى وفى فترة توليه الوزارة جعل داره مأهولة

---

(١) مريزن سعيد مريزن، مرجع سابق، ص ١٦٢.

(٢) نفس المرجع، ص ١٧٢-١٧٣

(٣) نفس المرجع، ص ١٧٥

بالعلماء ، وقد وصف السبكى داره بقوله :

" كانت داره معمورة بالعلماء ، مأهولة بالأئمة والزهاد ولم يتفق لغيره ما اتفق له من ازدحام العلماء عليه وترددهم على بابه وتصنيفهم الكتب باسمه". (١)

ويقول السبكى عنه أيضا :

" كانت سوق العلم فى ايامه قائمة ، والنعم على أهله داره ، وكانوا مستظلين على صدور أرباب الدولة أرفع الناس فى مجلسه لايحجبون عن بابه". (٢)

وقد شهد القرن الخامس الهجرى حركة تأليف وتصنيف خاصة فى العلوم الشرعية ، فلقد كانت المؤلفات لاحصر لها وليس أدل على ذلك مما ألفه الغزالى وصنفه ، فقد صنف أكثر من اربعمائة كتاب ورسالة . وهو أحد المربيين الذين عايشوا ذلك العصر. (٣)

ثم ان جودة انواع الورق وكثرة عدد حوانيت الوراقين ببغداد وحدها فى القرن الخامس الهجرى كان من أهم العوامل التى ساعدت على ازدياد خزائن الكتب فى حواضر العالم الاسلامى ، والذى دعم بنشاط حركة النسخ ساهم فيها الرجال والنساء باعداد لاتحصر

---

(١) السبكى : طبقات الشافعية الكبرى ، جـ٤ . القاهرة عيسى البابى الحلبى ، ١٩٦٦م ص ٣١٣ .

(٢) نفس المرجع ، ص ٣١٩ .

(٣) مريزن سعيد مريزن ، المرجع السابق ، ص ١٨٠ - ١٨١

فأدى ذلك مردودا اقتصاديا فعالا .(١)

وقد امتلأت خزائن كتب الخلفاء والوزراء ،ولم يقتصر الامر على ذلك بل عم انتشار المكتبات الكثير من المساجد والمدارس والبيمارستانات. (٢)

وكذلك الرحلة فى طلب العلم ساهمت فى نشاط الحركة العلمية فى ذلك القرن نشاطا جيدا من احتواء المشرق بما برز فيه أهل المغرب والعكس فى شتى مجالات العلم المختلفة. فنجد للشيخ السبكى سفرات متعددة من بغداد الى الشام ومصر فى طلب جمع الكتب وكانت حواضر العالم الاسلامى هى : القيروان، وفاس ،ودمياط،واللاذقية والرملة ، ذوالقدس، وعسقلان ، وصيدا ،وصور، وبيروت ، والمعرة،وحران والجزيرة ، والموصل ، وبغداد ، وواسط، والأهواز، وشيراز، وكرمان وأصفهان ، ونيسابور(٤) لما يدل على أن كل مدينة كانت مركزا من مراكز العلم بها شيوخها ومؤلفيها وعلمائها. ولم تكن بغداد وحدها مركز ذلك.

وهناك العديد من العلماء والمؤلفين الذين اثرو مجالات العلم المختلفة بشتى ألوان العلوم والمعرفة المختلفة كانوا قد ظهروا فى القرنين الرابع والخامس الهجرى وذلك فى مجالات الدراسات الشرعية وعلوم اللغة والنحو والادب ، والعلوم الانسانية والعلوم البحتة.(٥)

---

(١) مريزن سعيد مريزن ، مرجع سابق ، ص ١٨٣.

(٢) نفس المرجع، ص ١٩٤- ١٩٥.

(٣) نفس المرجع، ص ، ٢٠١.

(٤) نفس المرجع، ص ٢٤٦.

(٥) انظر حسن ابراهيم ، المرجع السابق ،ج ٤ ،ص ٤٤٢- ٤٥٠

وكذلك مريزن سعيد مريزن ، المرجع السابق ،ص ٣١٦-٥٠٦.

ونذكر من علماء تلك العلوم مايلى :

أولا : فى مجالات القراءات القرآنية

فعلم القراءات من العلوم المهمة عند المسلمين وقد استقرت هذه القراءات على سبع قراءات.(١) فنجد فى القرن الخامس الهجرى عدد من القراء مثل :

محمد بن على بن موسى ابوبكر الخياط المتوفى سنة (٤٦٧هـ)(٢).

وكذلك شيخ القراء ابوعلى حسن بن القاسم بن على الواسطى المتوفى سنة (٤٦٧هـ) الذى رحل فى طلب القراءات الى كل من بغداد ودمشق والبصرة وحران ومكة المكرمة والمدينة المنورة.(٣) وايضا الحسن بن احمد بن عبدالله ابن البنا ابوعلى المقرئ الحنبلى المحدث المتوفى سنة (٤٧١هـ).(٤) ثم ابومنصور محمد بن احمد ابن عبدالرزاق البغدادى الحنبلى المتوفى سنة (٤٩٩هـ).(٥)

أما فى مجال علوم التفسير:

فمن أشهر مفسرى القرن الخامس الهجرى : الشريف العلوى المعروف بعالم الهدى المرتضى المتوفى سنة (٤٣٦هـ)(٦) ومن المفسرين المشهورين ايضا فى هذا القرن ابويونس عبدالسلام القزوينى المتوفى سنة (٤٨٣هـ) وقد فسر القرآن تفسيرا مطولا حتى أن تفسير

---

(١) ابن خلدون : المقدمة، ط ٤، بيروت : دار احياء التراث العربى، ١٣٩٨هـ، ص ٤٣٧.

(٢) مريزن، سعيد مريزن، مرجع سابق، ص ٣١٦.

(٣) المرجع السابق، ص ٣١٧.

(٤) المرجع السابق،

(٥) المرجع السابق،

(٦) حسن ابراهيم حسن، مرجع سابق، جـ ٤، ص ٤٤٣.

الفاتحة وحدها شغل سبع مجلدات.(١) وكذلك من أشهر المفسرين ايضا ابوالحسن على بن احمد بن على بن صويه المتوفى سنة (٤٦٨هـ) وكان أشهر علماء عصره فى النحو والتفسير الذى اخذه عن ابى اسحق الثعلبى وله عدة كتب فى التفسير، ويقال بأن ابا حامد الغزالى اعتمد على مؤلفات ابن صويه وأفاد من علمه واعجب به.(٢)

وفى مجال علوم الحديث كان من ابرز العلماء فى هذا المضمار الامام المحدث المؤرخ ابوبكر احمد بن على بن ثابت الخطيب البغدادى المتوفى (٤٦٣هـ) كان قد حفظ القرآن وتولى الامامة والخطابة، وتعلم القراءات وسمع الحديث ، ثم انصرف الى الفقه حيث درسه على كبار فقهاء الشافعية واكب على شيوخ الحديث ببغداد يأخذ عنهم ثم اخذ فى الرحلة، وبعد عودته الى بغداد اذن له الخليفة ان يملى الحديث بجامع المنصور.(٣)

واما مرض الخطيب البغدادى وقف جميع كتبه وفرق جميع ماله فى وجوه البر.(٤)

وأما الحميدى ابوعبدالله محمد بن ابى نصر الفتوح بن عبدالله الأزدى الأندلسى المتوفى سنة (٤٨٨هـ) فهو من أئمة الحديث المعدودين ورجاله المشهورين.(٥)

وأما فى مجال الفقه فقد اقتصر عمل العلماء فى هذا

---

(١) حسن ابراهيم حسن ،مرجع سابق،جـ٤ ،ص ٣٤٤.

(٢) نفس المرجع ،ص ٤٤٥.

(٣) السبكى ، مرجع سابق،جـ٤ ،ص ٣٥.

(٤) المرجع السابق،

(٥) ابن العماد الحنبلى : شذرات الذهب فى اخبار من ذهب، جـ٣ ،بيروت: دار الافاق الجديدة) ص ٣٩٢.

المجال على فهم كلام الائمة وجمع آثارهم وتخريج الاحكام حتى يتسنى لهم القياس عليها. (١)

ومن ابرز وأشهر الفقهاء فى القرن الخامس الهجرى الامام ابو حامد الغزالى الذى توفى سنة (٥٠٥هـ) وقد عمل فى المدرسة النظامية ببغداد من سنة (٤٨٤هـ) حتى سنة (٤٨٨هـ) حيث خرج الى الحجاز ثم عاد الى دمشق ومنها الى بيت المقدس فالاسكندرية ثم عاد الى بغداد ثم الى بلدته طوس ثم عمل بنيسابور فى المدرسة النظامية هناك. أما مصنفاته فقد بلغت الثلاثمائة مصنف منها فى المذهب الشافعى: الوسيط ـ البسيط ـ الوجيز وفى سائر العلوم احياء علوم الدين ـ المنقذ من الضلال ـ تهافت الفلاسفة. وقد أبرز السبكى فى طبقاته ترجمة حياته وعرض لبعض مؤلفاته وكانت ترجمته أطول ترجمة فى طبقات الشافعية الكبرى. (٢)

أما ابوالحسن على بن محمد بن حبيب الماوردى المتوفى سنة (٤٥٠هـ) فقد نشأ فى البصرة وتلقى تعليمه فيها ثم رحل الى بغداد ودرس الفقه وتولى القضاء وأمتاز فى احكامه القضائية بالمرونة والاجتهاد، عمل فى التدريس وقد تخرج على يديه الخطيب البغدادى ومن أهم مؤلفاته الاحكام السلطانية. وقد قال عنه السبكى:

"كان اماما جليلا رفيع الشأن، له اليد الباسطة فى المذهب والتفنن التام فى سائر العلوم." (٣)

ومن علماء اليمن القاضى محمد الصليحى، وابنه على بن محمد وقد تفقه فى عقائد المذهب الشيعى واسس الدولة الصليحية فى القرن الخامس الهجرى. (٤) ومن فقهاء اليمن وعلمائها

---

(١) مريزن سعيد مريزن، مرجع سابق، ص ٣٤١.

(٢) السبكى، المرجع السابق، جـ٦ ص ١٩١-٣٨٨.

(٣) المرجع السابق، جـ٥، ص ٢٦٨.

(٤) حسن ابراهيم حسن، مرجع سابق، جـ٤، ص ٤٥٤.

زيد بن عبدالله اليفاعي الذي هاجر الى مكة حيث قضى فيها اثنتي عشر سنة وقد اشتهر بالزهد والورع وتوفى سنة ٥١٤هـ بعد عودته الى اليمن. (١)

أما في مجال اللغة:

ففي القرن الخامس الهجري الذي انزاح فيه التسلط البويهي عن العراق وبدأ فيه العصر السلجوقي واجهت اللغة صراعا مع اللغات الأخرى ومع الثقافات الفارسية والهندية والتركية والرومية وغيرها فأدى ذلك الى كثرة الاخطاء النحوية مما أنذر بتهديد سلامة قواعد اللغة العربية، وأمام هذا الخطر بدأ علماء اللغة العربية الحريصون على مفرداتها يجمعون هذه المفردات في معاجم خاصة.

وقد ألف الراغب الاصفهاني المتوفى سنة (٥٠٢هـ) المفردات في غريب القرآن. (٢)

وفي مجال النحو: الخطيب التبريزي الذي كان اماما في النحو واللغة والادب. (٣)

وفي مجال البلاغة: عبدالقادر الجرجاني المتوفى سنة (٤١٥هـ) فقد وصل بعلمي البلاغة والنقد الى اكمل صورة في كتابيه المعروفين "اسرار البلاغة" و"دلائل الاعجاز". (٤)

وفي مجال الشعر: كان هناك عدد كبير من الشعراء ابرزهم: ابوالعلاء المعري الذي عاش بين الفترة (٣٦٣=٤٤٩هـ) (٥) والابيوردي المتوفى

---

(١) المرجع السابق.

(٢) مريزن سعيد مريزن، مرجع سابق، ص ٣٦٤.

(٣) الموسوعة العربية الميسرة: باشراف شفيق غبريال، ط٢. القاهرة، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، ١٩٦٥م، ص ٤٨٩.

(٤) المرجع السابق، ص ٦٢١.

(٥) نفس المرجع، ص ١٧٢٠

سنة (٤٨٦هـ) فقد مدح الخليفة المقتدى فى ديوانه وكذلك تحدث عن غزو الفرنجة الصليبيين لبيت المقدس.(١)

وفى مجال الشعر : ظهر ناقد معروف فى عصره وهو قدامه بن جعفر المتوفى سنة (٤٣٧هـ) وكتابه معروف "نقد الشعر".(٢)

وفى مجال التربية نجد أبرز من كتب فى هذا المجال هو:

ابو حامد الغزالى المتوفى عام (٥٠٥هـ) وأهم موءلفاته فى ذلك هى : فاتحة العلوم، أيها الولد، ميزان العمل، بداية الهداية، احياء علوم الدين، وكثيرا ما تطابقت نظرياته مع النظريات الحديثة فى التربية والتعليم.(٣)

أما الامام ابوالحسن الماوردى فقد برز كواحد من رجالات التربية والتعليم فى هذا القرن من خلال كتابه القيم أدب الدنيا والدين فقد عالج فيه كثير من القضايا التربوية وخصص الباب الثانى منه للحديث عن العلم وفضله والترغيب فيه. كما تحدث الماوردى عن الآداب التى يجب أن يتحلى بها المتعلم والعالم،(٤) وختم بالحديث عن أجر المعلم،(٥) وواجب عليه اسداء النصح للمتعلم.(٦)

وفى مجال العلوم البحته:

نجد ابوالحسن سعيد بن هبة الله بن الحسن المتوفى سنة (٤٩٤هـ) طبيبا للخليفة المقتدى بأمر الله وكذلك المستظهر

---

(١) المرجع السابق، ص ٤٣.

(٢) نفس المرجع، ص ١٣٧١

(٣) مريزن سعيد مريزن، مرجع سابق، ص ٤٦٢.

(٤) ابوالحسن الماوردى : أدب الدنيا والدين، بيروت، دار مكتبة الهلال، ١٩٨٥م، ص ٨٠

(٥) المرجع السابق، ص ٩٢

(٦) المرجع السابق، ص ٩٣

بالله ،وكان يقوم بعلاج المرضى فى البيمارستان العضدى . (١) وكذلك نجد الطبيب سعيد بن هبة الله البغدادى الذى برع فى الصيدلة حتى اطلق عليه لقب العشّاب وقد صنف فى الادوية مقالة فى صفات تراكيب الادوية . (٢)

وفى محال الفلك يقول ابن الاثير فى احداث عام ٤٦٧هـ.

" حمع نظام الملك والسلطان ملكشاه جماعة من اعيان المنجمين منهم عمر الخيام وابو المظفر الاسفزارى وميمون بن النجيب الواسطى . (٣)

وتوحى لنا كثرة هذه الاسماء والمصنفات ان النهضة العلمية كانت قوية ومستمرة فى القرن الخامس الهجرى .

---

(١) مريزن سعيد مريزن- مرجع سابق ، ص ٤٩٥

(٢) المرجع السابق ، ص ٥٠١

(٣) ابن الاثير، مرجع سابق ، جـ ١٠ ،ص ٩٨

الفصل الثالث

نظام التعليم فى المشرق الاسلامى فى القرن الخامس الهجرى

أولا : الدولة ودورها فى التعليم.

ثانيا : أهداف التعليم.

ثالثا : المعلمون.

رابعا : مراحل التعليم.

خامسا : تعليم الخاصة.

سادسا : تعليم المرأة.

اولا : الدولة ودورها في التعليم :

إنّ الاسلام دين ودولة فما مدى دور الدولة الاسلامية فى التعليم فى القرن الخامس الهجرى .

ثم ان اهداف التعليم كانت نابعة من المذاهب الدينية أو العقلية التى يعتنقها المربون المسلمون . وما أن حل القرن الخامس الهجرى الا وقد وضحت هذه الاهداف من خلال دراسة فكر الماوردى ، والغزالى

ولقد عنيت التربية الاسلامية بوجود المعلم فى العملية الرتبوية منذ صدر الاسلام ولا يزال المعلم يلقى الاهمية القصوى من العناية لدى مفكرى التربية بشتى انواعها .

ويرى بعض الباحثين المعاصرين ان المسلمين قد التقوا بمراحل التعليم المعهودة فى وقتنا الحاضر ولكن دون وجود الحدود الفاصلة بين مرحلة وأخرى ، بينما يرى البعض الآخر أن التعليم كان على مرحلتين : احداهما تمتد من المرحلة الابتدائية الى الثانوية وتسمى بالتعليم الابتدائى ، ثم بعد ذلك مرحلة التعليم العالى .

وكان تعليم الخاصة يشمل فى الغالب ابناء الخلفاء والأمراء .

ثم انّ المرأة كان يتم تعليمها فى القصور والمنازل .

وكان المعلمون فى العصر العباسى طوائف ممثلة فى معلمى الكتاتيب والمؤدبين ، والمعلمين فى المساجد ، أو المدارس أى المعلمون العلماء ، ولخطورة عملهم فلابد من أن يتحلى هؤلاء بقيم واخلاق تؤهلهم لذلك العمل ، فهؤلاء عليهم واجبات نحو الله . ونحو أنفسهم وتلاميذهم واقرانهم ومجتمعهم الاسلامى .

ثانيا : أهداف التعليم :

لاتستخدم المصادر العربية القديمة مصطلح التربية بمعناه الحديث ولكنها تستخدم كلمات التعليم والتأديب والتهذيب وهى لا تفصل مطلقا بين هذه الكلمات الثلاث التى يمكن أن نجعلها مرادفة لمصطلح التربية، فالحديث عن أهداف التعليم كان منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم الى عهد الصحابة والتابعين مرتبطا بمعرفة الدين علما وعملا ، وكان الهدف الدينى غايته دائما منذ بدء التعليم فى المساجد وفى الكتاتيب، وقد كان التعليم يقوم أساسا على تعلم القرآن الكريم وحفظه وتجويده، وترتيله. وكذلك معرفة العبادات المفروضة ، وكان الوالد يدفع ابنه الى المسجد أوالكتاب ليتعلم القرآن والصلاة والقراءة والكتابة.

وقد أدرك المسلمون منذ عهد النبى صلى الله عليه وسلم اهمية التعليم فى معرفة الدين معرفة صحيحة،وأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم فى العلم كثيرة ومعروفة، وظل التعليم ضروريا فى عهد الفتوحات الاسلامية لتفقيه أبناء الشعوب والتى اعتنقت الاسلام شئون دينهم المفروضة عليهم.

ولكن أهداف التعليم تطورت مع تطور المجتمع الاسلامى ،فاذا كان الهدف الدينى هو الاساس فى ذلك التعليم الا ان اتساع رقعة الاسلام وتطور المجتمع الاسلامى، واستاع الأفق الفكرى ،ووفرة المحصول العلمى ،واختلاف المذاهب والاراء جعل للتعليم أهدافا أخرى تنضم الى الهدف الدينى ،فبتعدد المذاهب الفكرية والدينية أصبح لكل اتجاه

هدف يرمى اليه ويتوخاه من التعليم. (١)

ولذلك يؤكد احمد فؤاد الأهوانى :

" انه لايوجد اغراض للتربية عند العرب تعمهم على وجه الاطلاق، وانما الصواب ان نذكر صاحب المذهب ثم نذكر الغرض من التعليم الذى يلائم هذا المذهب. فطريقة التعليم مستمدة من صاحبها" (٢)

وقد نقل لنا الاهوانى رأى الخليل طوطح فى أغراض التعليم:

" ان التعليم عند المسلمين كان يرمى الى اربعة أغراض: غرض دينى ، وغرض اجتماعى ، والتلذذ الفكرى وغرض مادى" (٣)

كما نقل لنا رأى اسماء فهمى : (اغراض التعليم ثلاثة اقسام: غرض دينى ،وغرض عقلى وثقافى ، وغرض نفسى). (٤)

ويمكن القول : ان اهداف أو اغراض التربية الاسلامية لم تكن واحدة فى كل العصور الاسلامية، فقد كانت فى القرن الاول الهجرى تختلف عنها فى القرن الرابع الهجرى، ولكن هذه الأهداف أو الاغراض كانت تنبع دائما من المذاهب الدينية أو العقلية التى كان يعتنقها المربون الاسلاميون ،فآراؤهم واغراضهم من التعليم والتهذيب تنعكس عليها دائما صور مذاهبهم المختلفة.

---

(١) على خليل ابوالعينين : قراءة تربوية فى فكر الماوردى ،الكويت: دار الكتاب الحديث، ١٤٠٥هـ، ص ٢٩١ .

(٢) احمد فؤاد الاهوانى : التربية فى الاسلام. القاهرة: دار المعارف بمصر، د.ت، ص ١٠٦ .

(٣) نفس المرجع .

(٤) نفس المرجع.

فمحمد ابن سحنون المتوفى سنة ٢٥٦ هـ يعكس وجهة نظر الفقهاء المالكيه فى المغرب ويصور الحياة التربوية السائدة فى تعليم الاطفال هناك . (١)

لقد نظر ابن سحنون إلى التربية على أنها عقد تفرغ تام بين المعلم وطلابه ، ومنهج التعليم يتضمن الحساب واعراب القرآن الكريم والهجاء ، والخط الحسن ، والقراءة ، والترتيل ، والشعر البعيد عن الفحش ، يضاف الى ذلك تعليم الاطفال الصلاة والوضوء والدعاء وليس للمعلم أن يعلم تلاميذه الألحان أو الأنغام فى قراءة القرآن لأن مالكا لم يجز القراءة بالحان . (٢) .

وعندما ظهرت المدرسة الصوفية كجماعة متميزة فى نهاية القرن الثانى وأوائل القرن الثالث الهجريين كان عليها أن تتخذ موقفا محددا فظهرت مصنفات كثيره دونت فيها مفاهيمها المتداوله وبرز الحارث المحاسبي المتوفى عام ٢٤٣ هـ الذى وصف بأنه أستاذ اكثر البغداديين . (٣) .

وقد وضع المحاسبى منهجا خاصا لاتباعه ومريديه وكتب كتابه "العقل" ليرد به على المعتزله وتصوراتهم ، والعلم عند المحاسبى لتصحيح عمل العقل ، وألف كتاب الرعاية الذى هو تحليل للنفس وقواها وعملها وأساليب معالجتها فى الاتجاه الايمانى الصحيح ، وبذلك وضع

---

(١) ماجد عرسان الكيلاني : تطور مفهوم النظرية التربوية الاسلامية ط ٢ المدينة المنورة : دار التراث ، ١٤٠٥ هـ ، ص ١١٢ — ١١٣ .

(٢) نفس المرجع . ص ١١٣ .

(٣) نفس المرجع ، ص : ١٢٠ .

المحاسبى اسس التحليل النفسى الاسلامى . (١)

"والتعليم عند المحاسبى عمل جليل
لا يمارسه الا من استخلصته العنايه
الالهيه لذلك . (٢) .

وكان منهاج التعليم عند المحاسبى يستند أساسا على دراسة التوحيد وعلاقة الانسان بخالقه ،أما أهداف التعليم عند محمد الفارابى "٣٩٩"هـ فهى تتحدد حسب وظائف كل علم وحسب مساهمته فى تربية الانسان ،فالمنطق لتقويم العقل ،والعلم الطبيعى ينظر فى الاجسام الطبيعية وفى نشأتها وأسباب قوتها ،والعلم الالهى غايته ابطال الظنون الفاسده ،والعلم المدنى يفحص عن أصناف الافعال والسنن الاراديه (٣)

أما احمد بن مسكويه المتوفى سنة ٤٢١هـ والذى كان من علماء القرن الرابع الهجرى البارزين فقد كان يرى ان الغرض من التربية هو الوصول الى الخير والحق والجمال . (٤) .

وتقوم فلسفة التربيه عند ابن مسكويه على اسس ثلاثه : علم نفس تربوى يعتمد على تحليل النفس وأساس اجتماعى يبلور معنى الخير والسعاده ،واساس فلسفى يحدد ما هو فاضل أو رزيل . (٥) .

---

(١) نفس المرجع ، ص: ١٢١ .

(٢) نفس المرجع ،ص : ١٢٢ .

(٣) نفس المرجع ،ص: ١٢٤ — ١٢٥ .

(٤) على الجمبلاطي وابو الفتوح التونسي : دراسات مقارنة فى التربية الاسلامية ،القاهره : مكتبة الانجلو المصريه ،١٩٧٣م ،ص ٢٨ .

(٥) ماجد عرسان الكيلانى ،مرجع سابق ،ص : ١٢٥ .

أما مدرسة الاصوليين وعلماء الكلام فيمثلها ابو الحسن الاشعرى مؤسس مذهب الأشاعره ت ٣٣٠هـ ومع ان الاشعرى لم يتطرق للمفاهيم التربوية مباشرة لكنه وضع بعض الخطوط العريضه التى وجهت انطلاقات الاشاعره التربويه فيما بعد ،وأبرز تلك الخطوط وجوب تفاعل الدارس مع تيارات الفكر المعاصر ،ثم الوقوف على موازين هذه التيارات فى القرآن الكريم والسنه الشريفه ،ومن تلك الخطوط البارزه تحديد دور العقل والنقل من ميادين التفكير باسلوب يتناسب مع الأصول الكامنه فى القرآن الكريم والسنه النبويه ،ويخالف الاشعرى منهج المحدثين والحنابله الذين قالوا بالتزام النص . (١)

أما أبرز علماء القرن الرابع الهجرى فهو على بن محمد القابسى "٣٢٤ — ٤٠٣هـ" الذى يرى ان الغرض من التعليم هو معرفة الدين علما وعملا . (٢)

والقابسى يعكس أيضا ،وجهة نظر الفقهاء المالكيه فى المغرب العربى ،وفى رسالته المفصله عن أحوال المعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين يبحث القابسى بكل ما يتعلق بشئون التعليم فى عصره والأساس الذى يقوم عليه التعليم كما وصفه القابسى يتركب من اربعة عمد هى : الكتاب ،والمعلم ، والصبى ،والقرآن ،فاذا اتم الصبى مرحلة التعليم فى الكتاب أجتاز امتحانا فيما حفظ من القرآن وامتحانا آخر فى الكتابه ،وما يتعلمه الصبى فى الكتاب ـ القرآن

---

(١) نفس المرجع ،ص : ١٣٠ — ١٣١ .

(٢) على الجمبلاطى ،المرجع السابق ،ص : ٢٨ .

والكتابه والنحو والعربيه ،وقد يتعلم الحساب والشعر وأخبار العرب على أن أهم ما يدرسه الصبى هو حفظ القرآن . (١)

"وتتلخص فلسفة التربية عند القابسي في وجوب تدرج المتعلم من مقام الاسلام حتى يصل مقام الاحسان ذلك ان المسلم يبدأ حياته مسلما فى ظاهره دون ان ينقاد لتعاليم الاسلام باطنه ،وهذا يستدعى اعادة النظر فى تربيته حتى يسلم باطنه وينقاد للاوامر الالهيه قلبا وقالبا" . (٢) .

وكان القابسى قد جعل التعليم الزاميا فالوالد ملزم بتعليم اولاده " فاذا كان الطفل يتيما انفق الوصى على تعليمه من ميراثه واذا لم يكن له وصى أو ميراث تكفل الحاكم بتعليمه" . (٣)

وذا كنا قد وصلنا الى القرن الخامس الهجرى فان اهداف التعليم وأغراض التربيه فيه تتوضح تماما من خلال دراستنا لعالمين بارزين ومفكرين ومربيين عظيمين هما : الماوردى والغزالى .

(أ) علي بن محمد الماوردى - ٣٦٤-٤٥٠هـ

أبو الحسن على بن محمد بن حبيب البصرى الشافعى الشهير بالماوردى من وجوه فقهاء الشافعيه يصفه السبكي فى طبقاته .

(كان اماما جليلا ،رفيع الشأن ،له اليد الباسطه فى المذهب ،والتفنن

---

(١) احمد فوءاد الاهوانى ،مرجع سابق ،ص : ٦٤ — ٦٥ -

(٢) ماجد عرسان كيلانى ،مرجع سابق ،ص: ١١٦ .

(٣) نفس المرجع .

التام فى سائر العلـــوم . (١)

ولد الماوردى بالبصره وتلقى أوائل علومه فى فترة الصـبا هناك ثم ارتحل الى بغداد ليتتلمذ على شيوخها واساتذتـهـا المشهورين عمل بالقضاء وقام بالتدريس فى بغداد لعدة سنيـــن كان موسوعيا فى معرفته جمع علوم عصره فهو اديب وسياسى وفقيه ومحدث وقاضى ومفسر ولغوى ونحوى ،ثم هو فى البداية والنهاية مرب من المربين المسلمين . (٢) . له موءلفات كثيره وعديـــــده وما يهمنا من هذه الموءلفات كتابه القيم أدب الدنيا والديـــن فهو يسعى الى اقامة التوازن بين الدين والدنيا ،يقول فـــــى مقدمـــة الكتاب :ـــــ

" واعظم الأمور خطرا ،وأهمها نفعا ورفدا ما استقام به الدين والدنيا وانتظم بـــه صلاح الآخرة والأولى ،لأن باستقامـــــة الدين تصح العباده ،وبصلاح الدنـــيا تتم الســـعادة " . (٣)

ـــــ : ـــــــــــــــ

(١) السبكى ،طبقات الشافعيه ،مرجع سابق ،حـ٣ ،ص: ٣٠٣ .

(٢) على خليل ابو العينين ،مرجع سابق ،ص : ٣٥ — ٣٨ .

(٣) الماوردى : ادب الدنيا والدين : ،ط ٣ ،بيــــــــروت دار مكتبة الهـلال ١٩٨٥م ،ص : ١٧ .

ويحتوى الكتاب — طبقا لما ذكر الماوردى — خمسة أبواب : —

الباب الاول : فى فضل العقل وذم الهوى .

الباب الثانى : فى أدب العلم ، وفيه كثير من الآراء التربوية الهامه فى مجال التعليم .

الباب الثالث: فى أدب الدين ، وفيه أفكار تربويه وقيم أخلاقية كثيره .

الباب الرابع: فى أدب الدنيا ، وفيه يعرض لأصول اجتماعية وأخلاقية

الباب الخامس: فى أدب النفس، وفيه أيضا آراء تربويه وقيم تربويه اصيلة تعتمد على الكتاب والسنة . (١) .

وهو فى كل هذه الابواب يستشهد بالآيات والأحاديث ويستند اليهما أصلا ، كما يستشهد بالأمثال والحكم والأشعار والاقوال

اهداف التربيه عند الماوردى : —

(١) اعداد الانسان وتنميته لقبول التكليف : —

ويأتى هذا الهدف فى المرتبة الأولى عنده ، فالانسان باعتباره هدف التكيف يجب أن يعد اعدادا قويا ليصل الى درجة التكليف فهو يقرر ان سبحانه وتعالى انما كلف الخلق لنفعهم تفضلا منه عليهم ، ولذلك وجب التكليف الى من كمل عقله . (٢) .

—————— : ——

(١) نفس المرجع ، ص : ١٨ .

(٢) نفس المرجع، ص : ٩٤ .

(٢) تربية العقل :—

يقرر الماوردى أهمية العقل ،وأهمية العلم ،ومن ثم يوجب ضرورة التعلم ،فالعلم باعث على فعل العبادة وقبول التكليف والعلم لازم للانسان ضرورى له .

ومع اقراره بتربية العقل فانه لا يهمل الدين بل يهتم به أكثر فأكثر ،فالعقل لا يستغنى عن الدين والدين لا يستغنى عن العقل . (١)

(٢) تربية النفس :—

يعود سبب اهتمام الماوردى بتربية النفس الى ان الانسان اذا عرف نفسه عرف ربه ،واذا عرف نفسه عرف منها ما يراعيه لصلاحها واستقامتها ،وهدف تربية النفس : ان تكون نفس الانسان مطيعة له لأنها اذا اطاعته ملكها ،واذا عصته ملكته ولم يملكها . (٢) .

(٣) صلاح أمر الانسان فى الدنيا والآخرة :—

يشير الماوردى الى هدف هام من أهداف التربية وهو صلاح أمر الانسان فى الدنيا لتستقيم له أمور الآخرة ،ان أهمية هذا الهدف تأتى لاقامته التوازن الدقيق بين أمور الآخرة والدنيا والدين والدنيا ،والعقل والوحى ،ولا يتحقق ذلك ،فى رأى الماوردى الا من خلال الاهداف التاليه :—

—:———————

(١) نفس المرجع ،ص : ٤٥ .

(٢) نفس المرجع ،ص : ٢٣٠ .

(أ) تربية الانسان فرديا للأخذ من الدنيا بنصيب. (١)

(ب) تربية الانسان اجتماعيا للعيش مع غيره بسلام

وهذه التربية تتم بما يلي : (٢)

(أ) التربية الدينيه : حتى يصير الدين قاهرا للسرائر وزاجرا للضمائر

(ب) التربية السياسية : والمشاركة مع الرئيس في تحسين احوال المجتمع

(ج) التربية القائمة على العدل : وتعني تدريب الانسان على ان يكون عادلا مع نفسه ومع غيره .

(د) التربية المهنيه : أى تدريب الانسان على مهنة يكسب منها عيشه وتسهم في استقرار المجتمع وتقلل من الحسد والتباغض.

(هـ) تربية الانسان على الألفة والمعاش مع غيره .

أهمية العلم عند الماوردى :—

يستشهد الماوردى بالآية الكريمة : " قُلْ هَلْ يَستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون" ويجعلها مدخلا للحديث عن شرف العلم وفضله فقد منع سبحانه وتعالى المساواة بين العالم والجاهل لما قد خص به العالم من فضيلة العلم ،ثم يروى لنا حديث الرسول صلى الله عليه وسلم (فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم رجلا) وبعد ذلك يورد أقوال الحكماء والبلغاء والادباء

(١) نفس المرجع ،ص: ١٣٣ .

(٢) على خليل ابو العينين ،مرجع سابق ،ص: ٢٩٨ .

والشعراء فى العلم ليبرهن على صحة رأيه .(١)

والماوردى يثير بعد ذلك قضية هامة جدا
عندما يقول :— " ولا يعرف فضل العلم
الا العالم ،وفضل العالم لا يعرف الا به
أما الجاهل فينكر فضل العلم ،ويعادى
العلماء " .(٢)

فالمجتمع العالم والمتعلم يحترم العلم والعلماء ويعطيهم حقهم ومكانتهم التى تليق بهم ،أما المجتمع الجاهل فلايمكن أن يكون اهتمامه الآ بما فى عالم الأشياء.(٣) وكان الماوردى يريد بذلك أن يقول :—

لابد من تحقيق المجتمع العالم المتعلم من خلال تكوين وبناء الانسان المسلم المؤمن ،المتمتع بالصحة العقلية والجسمية .

وبعد هذه الفكرة الهامة بقليل يجعل الماوردى علوم الدين أفضل العلوم ،(٤) . ويصل الى النتيجه الأهم :—

الدين ينظم المجتمع

ويرد على بعض المتهاونين بالدين الذين يميلون الى العلوم العقليه . (٥) .

ثم يبين ما يتعلق بالدين من العلوم فيذكر قول الامام الشافعى :
" من تعلم القرآن عظمت قيمته ،ومن تعلم الفقه نبل مقداره ومن كتب الحديث قويت حجته ،ومن تعلم الحساب

---

(١) الماوردى ،مرجع سابق ،ص: ٤١٠٠ .
(٢) نفس المرجع ،ص: ٤٢ .
(٣) على خليل ابو العينين ،مرجع سابق ،ص: ٣٠٣ .
(٤) الماوردى ،المرجع السابق ،ص : ٤٤ .
(٥) نفس المرجع ،ص: ٤٥ .

جزل رأيه ، ومن تعلم اللغة رق طبعه ، ومن لم يصن نفسه لم ينفعه علمه " (١) .

والماوردى يجعل كل هذه العلوم شريفة ولكل منها فضيلة وهى تتكامل لتحقيق السعادة للانسان ، وهذه صفة تستدعى من المتعلم أن يحيط احاطة عامة بجميع هذه العلوم ثم يتخصص بعد ذلك بجزء منها لأنه لا يحسن بالمرء أن يكون عدوا لأى نوع من العلوم . (٢) .

وينصح الماوردى بالتدرج فى طلب العلوم .

" ان للعلوم أوائل تؤدى الى أواخرها
ومداخل تقضى الى حقائقها ، فليبتدئ
طالب العلم بأوائلها لينتهى الى
أواخرها ." (٣) .

اسباب التقصير فى طلب العلم :—

يمكن أن نلخص اسباب التقصير فى طلب العلم كما يراها الماوردى فيما يلى :—

(١) تعلق الطالب بنوع من انواع العلم بعينه فيجعله ذلك يقصد حقائق هذا النوع دون النظر الى المقدمات والمتطلبات .
(٢) حب طالب العلم للشهرة .
(٣) تقصير الانسان فى طلب العلم فى الصغر واشتغاله به فى الكبر :—

---

(١) نفس المرجع ،ص: ٤٥ — ٤٦ .
(٢) نفس المرجع ،ص: ٨٠ — ٨٥ .
(٣) نفس المرجع ،ص: ٥٥ .
(٤) نفس المرجع ،ص: ٥٥ — ٥٩ .

(٤) وفرة شهوات المتعلم وتقسم افكاره .
(٥) كثرة الاشغال حتى تستوعب زمان ووقت المتعلم وتستنفذ أيامه

النيه فى طلب العلم :—(١)

يطلب الماوردى من طالب العلم أن يقصد النيه على طلب العلم واثقا بتيسير الله ،قاصدا وجه الله تعالى بنيه خالصة وعزيمة صادقة ،وهو يوجه طالب العلم الى جوانب يجب أن يأتى بها :—

(١) أن يقصد وجه الله تعالى بطلبه العلم .
(٢) أن يتحلى بالاخلاق الفاضلة الحميده .
(٣) أن يكون غرضه اصلاح الدين والدنيا .
(٤) أن يزيل عن نفسه الجهل ليتحلى دائما بالعلم .
(٥) أن يستكثر من العلم .
(٦) أن يعمل بالعلم .

والماوردى متجاوب تماما مع النظرة الاسلامية الصحيحة التى تطلب من الانسان أن يقصد من كل أعماله رضا الله تعالى وحبه " قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ،لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ" . (٢)

—:—

(١) نفس المرجع ،ص: ٥١ — ٥٣ .
(٢) الأنعام — الآية ١٦٢ — ، ١٦٣ .

والماوردى يطلب من الانسان ان يسعى فى طلب العلم

ويبذل من نفسه وجهده ووقته من أجل هذا ، فالعلم :—

" عوض من كل لذة ومغن عن كل شهوة

ومن كان صادق النيه فيه ،لم يكن له همة

فيما يجد بدا منه .

قال بعض البلغاء :—

من تفرد بالعلم لم توحشه خلوة ، ومن

تسلى بالكتب لم تفته سلوة ، ومن آنس

قراءة القرآن ،لم توحشه مفارقة الاخوان" (١)

ومن الظواهر التى ناقشها الماوردى ظاهرة التقليد التى

كانت شائعه فى عصره فهو يحذر منها ويبين أخطارها وينبه المتعلم

أن لا يبالغ باحترام المعلم العالم بحيث ينتهى الى تقليده ويسوق

الامثلة الحية فى هذا المجال ،من ذلك قوله :—

" ولقد رأيت من هذه الطبقة رجلا يناظر

فى مجلس حفل ،وقد استدل عليه الخصم

بدلالة صحيحة ،فكان جوابه عنها ان قال :

" ان هذه دلالة فاسدة ،ووجه فسادها

ان شيخى لم يذكرها ، ومالم يذكره

الشيخ لا خير فيه ."(٢) .

سعادة الطالب ونجاح المتعلم :—

ويقدم الماوردى تسعة شروط أساسية اذا تمت واكتملت عند

---

(١) الماوردى ،المرجع السابق ،ص : ٩٢ .

(٢) نفس المرجع ، ص : ٧٨ .

الطالب كان أسعد طالب وأنجح متعلم وهى :ـ (١)

(١) العقل الذى يدرك به حقائق الأمور .

(٢) الفطنه التى يتصور بها غوامض العلوم .

(٣) الذكاء الذى يستقر به حفظ ما تصوره ما عمله .

(٤) الشهوة التى يدوم بها الطلب ولا يسرع اليها الملل .

(٥) الاكتفاء بمادة تغنيه من كلف الطلب .

(٦) الفراغ الذى يكون معه التوفر ويحصل به الاستكثار .

(٧) عدم القواطع المذهله من هموم واشغال وأمراض .

(٨) طول العمر واتساع المدة لينتهى به الاستكثار الى مراتب الكمال

(٩) الظفر بعالم سمح بعلمه ،متأن بتعليمه .

أهداف التعليم عند الماوردى :

بعد كل هذا العرض لبعض ما جاء فى كتاب الماوردى أدب الدنيا والدين يمكن القول :ـ ان غرض التعليم عند الماوردى هو غرض دينى يخدمه الغرض الدنيوى ،فغاية التعليم عنده دينيه ،وقد كانت المادة المقدمة فى كتابه تخدم هذه الغاية ،فهى مادة مستمدة من القرآن الكريم والسنة النبوية ،وأقوال الحكماء والبلغاء والأدباء والشعراء انما هي لبيان فضل العلم وفوائده المعنوية وليست فوائده الماديه ،فالماوردى يأكد دائما على العائد المعنوى للعلم فهو يحقق السعاده .

" من لم يكسب بالعلم مالا ،كسب به جمالا" (٢)

ومن الامثلة الكثيره التى يوردها الماوردى لدعم فكرته

(١) نفس المرجع ،ص: ٧٤ — ٧٥ .

(٢) الماوردى مرجع سابق ص: ٤٢ .

"قيل لبزر جمهر: العلم أفضل أم المال؟.
فقال بل العلم، قيل: فما بالنا نرى العلماء
على أبواب الاغنياء، ولا نكاد نرى الاغنياء
على ابواب العلماء؟ فقال: ذلك لمعرفة
العلماء بمنفعة المال، وجهل الاغنياء
بفضل العلم". (١)

واكتساب العلم وحده ليس هو هدف الماوردى، ولكن هذا العلم لابد أن ينعكس على سلوك الانسان وعمله ولذلك ركز الماوردى على تبيان العيوب التى قد تشوب عملية التعليم وتبعدها عن الطريق الصحيح وهو يتحدث عن أخلاق العلماء ورثة الأنبياء مفصلا. (٢) وحين تخلص النية لله حقا فى طلب العلم فانه يجدر بالمتعلم ان يبتعد عن بعض الآفات الاخلاقية التى قد يندفع نحوها عن غير قصد أو دون ان ينتبه الى أنها من الامور المعيبة، وهنا يأخذنا الماوردى الى الساحة التى يدور الجهاد فيها من اجل العلم، الى جلسات المناظرة وجلسات النقاش والتعلم، فمما هو مشهور عن علماء المسلمين حرصهم على عمومية العلم أى وجوب ان تكون الجلسات علنيه والنقاش يدور فى اى مكان يصلح لان يتحلق فيه الناس حول المتحدثين وهنا يحذر الماوردى من ان يكون الباعث لطلب العلم هو الرياء أو المراءاة فقد تأخذ بالبعض من العلماء نزعات الرغبة فى جذب الأنظار أو الشهرة فيندفع لتحقيق ذلك بوعى أو بدون مما يعرضه للاخطاء. (٣).

---

(١) الماوردى، مرجع سابق، ص: ٤٢.

(٢) نفس المرجع، ص: ٨٠ — ٨٦.

(٣) نفس المرجع، ص: ٥٣ — ٥٦.

ويرى الماوردى ان من المستحب للمتعلم أن يتخذ من التواضع صفة له ،واذا كان الامر يتطلب أن يتصدى لمناظرة غيره فعليه أن يتقن ما يقول وعليه ألا يعمد الى جذب الانظار فقط ،فعند الامتحان يكرم المرء أو يهان وليس هناك أصعب على المرء من مناظرة يفحم فيها ولا يستطيع أن يجد جوابا . (١)

ومما يحذر منه الماوردى الاختلاف بين القول والعمل ،فلا بد أن يكون المتعلم حريصا على ان يستفيد مما تعلمه فينعكس هذا على سلوكه فان خير العلم ما نفع وخير القول ما ردع وقد لخص بعض البلغاء ما ينبغى ان يكون من علاقة بين القول والفعل حيث رأى ان :-

" من تمام العلم استعماله ومن تمام العمل استقلاله فمن استعمل علمه لم يخل من رشاد ومن استقل عمله لم يقصر عن مراد" (٢)

ومن المروى عن الرسول صلى الله عليه وسلم ان " حسن السوءال نصف العلم " ومع هذا فمما يروى عن الرسول صلى الله عليه وسلم ايضا نهيه عن كثرة السوءال ،ومن ثم فعلى طالب العلم ألا يكثر من الاسئلة الا اذا كان المقصود من سوءاله تعلم ما يجهل أو ازالة شبهة أو دفع شك ففى كثرة السوءال ارهاق للعالم وربما أيضا يفتح الطريق أمام الشكوك والحيرة لمن يتقدموا فى العلم بعد (٣) .

ومما يرويه الماوردى عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال :- " العلم خزائن ومفتاحه السوءال فاسألوا رحمكم الله فانما يوءجر

---

(١) نفس المرجع ،ص: ٥٦ .

(٢) نفس المرجع ،ص: ٨٥ .

(٣) نفس المرجع ،ص: ٧٨ — ٧٩ .

فى العلم ثلاثة ، القائل والمستمع والآخذ " (١) . فطالب العلم المستمع له والحافظ انما يؤجر على هذا ، وبالمثل حامل العلم وموصله الى غيره فان له على ما يفعله الأجر والثواب .

واذا كان طلب العلم فى ذاته فضيلة ونفعه المعنوى لا جدال فيه فان الماوردى يحرص على تأكيد ذلك عن طريق ايراد الأقوال المتعددة ليستشهد بها على مايريد ، ومما يورده فى هذا قولة عبد الملك بن مروان لبنيه :—

" يابنى تعلموا العلم فان كنتم سادة فقتم
وان كنتم وسطا سدتم وان كنتم سوقة
عشتم " (٢) .

وحقيقة الأمر ان الماوردى فى ايراده لفضائل العلم المعنويه وافاضته فى الحديث عنها انما يقدمها لنا كأقوال سائدة وأوصاف معروفه وكأن تداول هذه الاقوال والحكم فى ذاته انما هو دلالة على مايقول فهو حين يورد قول البلغاء .

" تعلم العلم فانه يقومك ويسددك صغيرا
ويقدمك ويسودك كبيرا ويصلح زيفك وفاسدك
ويرغم عدوك وحاسدك ويقوم عوجك وميلك
ويصحح همتك وأملك " . (٣) .

لا يشرح لنا كيف تتم كل تلك العمليات التربوية من خلال العلم انما هى الأقوال البليغة الموجزة التى ربما تحمل خلاصة تجارب كثيرة ولكنها لا تعدو عن أنها مجرد أقوال.

—:—

(١) الماوردى ، مرجع سابق ، ص: ٧٨ .

(٢) نفس المرجع ، ص: ٤١ .

(٣) نفس المرجع ، ص : ٤١ — ٤٢ .

أهـداف التعليم عند الغزالي :-

كانت حياة الغزالي أبي حامد محمد بن محمد الغزالي : قصيرة ولكنها كانت عاصفة ، فهو لم يعمر سوى خمس وخمسين سنة ، ولد في مدينة طوس سنة ٤٥٠ هـ ، فقد أباه صغيرا ، انقطع للعلم والتفقه في الدين متتلمذا على أيدي كبار علماء عصره كامام الحرمين ابي المعالي الجويني فقد لازمه في نيسابور من سنة ٤٧٠ هـ حتى وفاته سنة ٤٧٨ هـ وأخذ عنه الفقه وعلم الكلام والجدل والمنطق وشيئا من الفلسفة ، وبعد موت الجويني انطلق الغزالي في مضمار العلم واثقا من نفسه وقد لقي من الوزير السلجوقي نظام الملك كل حفاوة وتقدير واستعان به الوزير في الدفاع عن عقيدة أهل السنة والرد على الباطنية ، وقد ولاه منصب التدريس في المدرسة النظامية ببغداد سنة ٤٨٤ هـ فأقبل عليه الطلاب اقبالا عظيما واتسعت حلقاته وذاع صيته حتى لقب بامام أهل العراق غير ان استمتاعه بهذا المجد لم يدم اكثر من أربع سنوات فانتابته سنة ٤٨٨ هـ أزمة نفسية خطيرة أفسدت عليه حياته العاطفية واستقراره النفسي وقد كتب في هذه الفترة كتابه المنقذ من الضلال متجاوزا تلك الأزمة الحادة معترفا بأن اندفاعه في خدمة السلطة السياسية لم يكن مما يرضي الله أو يتفق مع ضميره الديني الحقيقي وأنه بعمله هذا انما صار طالب دنيا لا طالب دين .

خرج الغزالي من بغداد متوجها الى الشام فبيت المقدس فمدينة الخليل لزيارة قبر ابراهيم عليه السلام ثم الى الحجاز لتأدية فريضة الحج ثم الى مصر للسفر منها الى المغرب لملاقاة الامير يوسف بن تاشفين الذي توفي قبل توجه الغزالي اليه فرجع الى مدينة طوس

للتفرغ للعبادة والعلم ،وفى هذه الفترة استدعاه فخر الملك ابن نظام الملك عام ٤٩٩ هـ للتدريس فى نظامية نيسابور ولم يزد عمله فيها عن سنتين عاد الغزالى بعدها الى طوس وكرس بقية حياته لخدمة طلبة العلم ومخالطة الصوفيه وأهل الحديث ،وفى الرابع عشر من جمادى الآخرة سنة ٥٠٥ هـ انتقل الغزالى الى جوار ربه. (١)

لعل أهم كتابين سنتعرض لهما عند الحديث عن التربية والتعليم عند الغزالى هما : احياء علوم الدين ورسالته التربويةأيها الولد فهو فى هذين المؤلفين يتعامل تعاملا مباشرا مع التربية . (٢)

لقد وضع الغزالى نظريته التربوية فى رسالته أيها الولد قبل بعض المبادىء التربوية التى تعرض لها فى كتابه احياء علوم الدين . (٣)

وهدف التربية عند الغزالى تحقيق السعادة للانسان فى الحياة الآخرة ،ومن تضافر العلم والعمل ينتج تغيير فى السلوك الانسانى يحقق تلك السعادة ،وأن تغيير السلوك لا يتم الا بالتعليم ولهذه كانت مهنة التعليم أشرف المهن وهذا أمر يستدعى ان يكون التعليم وثيق الصلة بحاجات المجتمع ،والتعليم يقوم باعداد أفراد يجتهدون فى تحقيق حياة اجتماعية تتوفر فيها متطلبات الحياة الدنيويه ويراعون فيما يعملون أوامر الله وتوجيهاته . (٤)

---

(١) السبكي ، مرجع سابق ،جـ ٦ ،ص: ١٩١ — ٣٨٩ .

(٢) محمد جواد رضا ،الفكر التربوى الاسلامي ،الكويت : دار الفكر العربى ،١٩٨٠م ،ص: ١١٦ .

(٣) نفس المرجع .

(٤) ماجد عرسان الكيلاني ،مرجع سابق ص: ١٥٧ — ١٥٨ .

ويعتبر الغزالى العلم والعمل من أهم القيم التى تساعد على ترقية النفس الانسانيه لتتصل بخالقها وتنال سعادتها وتفوز بالجنة فى الآخرة ، ويؤكد الغزالى على التلازم بين العلم والعمل فالعلم بلا عمل جنون والعمل بغير علم لا يكون . (١)

والزهد ، عند الغزالى ، أسلوب تربوى لتنقية القلب وترقية النفس وهو ليس انقطاعا تاما عن الدنيا لكنه ترفع عن الشهوات . (٢) .

منهاج وأساليب التربية عند الامام الغزالى :—

يستمد الامام الغزالى نظرته الى التربية من التصور الاسلامى الشامل ، ويستند الامام الغزالى فى كل توجيهاته الى القرآن الكريم والاحاديث النبوية واقوال السلف الصالح .

والمنهاج عند الغزالى صرح متكامل تتكامل فيه العلوم الدينيه والمهن الدنيوية ، فهو لا يريد من العالم أن يقتصر فى علمه على العلوم الشرعية فحسب ، ولا يريد من المتعلم بالعلوم الماديه والنظريه أن يضيع عمره فيما لا ينفعه فى الآخرة ، فلا تدرك العلوم الشرعيةالا بالعلوم العقلية فالاولى غذاء والثانية دواء . (٣) .

—:

(١) عبد الحفيظ البريزات: نظرية التربية الخلقية عند الغزالي عمان : دار الفرقان د.ت ، ص: ٨٣ .

(٢) نفس المرجع ، ص: ٨٣ — ٨٤ .

(٣) ماجد عرسان الكيلاني ، المرجع السابق ، ص: ١٥٩ .

ولذلك يقسم الغزالى العلوم الى قسمين :—

العلم الذى هو فرض عين ، والعلم المفروض فرض كفاية .

" ويشمل القسم الاول وهو المباحث الاجبارية على علم التوحيد وعلم تهذيب النفس ، وعلم الشريعة " .

" ويشمل القسم الثانى وهو المباحث الاختيارية على الطب والحساب والمهن الصناعية والسياسة والنحو ، والتفسير والفقه" (١) -

وهو بذلك يؤكد على الجانب الدينى من المنهج ويجعل العلوم العقلية والعملية فى خدمة هذا الجانب ،فالعلوم التى ليست بشرعية تنقسم الى ما هو محمود والى ما هو مذموم والى ما هو مباح .

فالمحمود ،من العلوم العقلية ما يرتبط به مصالح أمور الدنيا كالطب والحساب ،فالطب ضرورى فى حاجة بقاء الأبدان ،والحساب ضرورى فى المعاملات والوصايا والمواريث .

وأما المذموم منها فعلم السحر والطلاسم و الشعبذة والتلبيسات .

وأما المباح منها فالعلم بالاشعار التى لا سخف فيها وتواريخ الاخبار وما يجرى مجراه . (٢) .

وأما العلوم الشرعية فهى محمودة كلها ولكن قد يلتبس بها ما يظن أنها شرعية فتكون مذمومة ،وهذه العلوم أربعة أضرب :

—:—————

(١) نفس المرجع ،ص: ١٦٠ .

(٢) محمود جواد رضا ، مرجع سابق ،ص: ١٢١ — ١٢٢ .

الضرب الاول : الاصول : كتاب الله عز وجل ، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، واجماع الأمة ، وآثار الصحابة .

الضرب الثاني: الفروع: وهو ما فهم من هذه الأصول لا بموجب ألفاظها بل بمعان تنبه لها العقول .

الضرب الثالث: المقدمات: وهى التى تجرى مجرى الآلات كعلم اللغة والنحو فانهما آلة لعلم كتاب الله وسنة نبيه ، وفيها علم كتابة الخط .

الضرب الرابع : المتممات: وذلك فى علم القرآن كتعلم القراءات ومخارج الحروف وما يتعلق باحكامه كمعرفة الناسخ والمنسوخ "ومن المتممات أيضا العلم بالرجال واسمائهم وأنسابهم واسماء الصحابة وصفاتهم" (١) .

ميادين المنهاج عند الغزالى :—

تكاد الميادين التى حددها الغزالى تتطابق مع الميادين التى حددتها الأصول التربوية الاولى فى القرآن الكريم والسنة الشريفة (٢)

وأهم هذه الميادين : بناء العقيدة الاسلامية ويمثل هذا الميدان محتويات عدد من الكتب التى ألفها الغزالى والتى درسها لطلابه ، ولعل أبرز هذه الكتب كتاب الحكمة من مخلوقات الله عز وجل وقد اشتمل الكتاب على ابواب كثيرة منها : التفكر فى خلق السماء وفى هذا

—:—

(١) نفس المرجع ، ص: ١٢٢ — ١٢٣ .

(٢) ماجد عرسان الكيلانى ، مرجع سابق ، ص: ١٦٠ — ١٦١ .

العالم — فى حكمةالشمس — حكمة القمر والكواكب — حكمة خلق الأرض وقد عرض هذه الموضوعات باسلوبه القائم على تشريح الاجسام وتحليل عمل الأجرام وبيان وتناسق وظائف كل عضو بغية ابراز دقة الخليقة وحكمتها . (١) .

أما الميدان الثانى فهو ميدان التزكية واشهر كتاب يمثل هذا الميدان هو كتابه احياء علوم الدين .

"والتزكية عند الغزالى عملية تربوية تهدف الى الارتقاء بالانسان من مستوىالخضوع للشهوات الى مقام العبودية لله عندما يتحرر الانسان من كل الاهواء ويتصرف طبقا لما يريده الله سبحانهوتعالى" . (٢)

"وتزكية النفس تكون بأمرين : الابتعاد عن المعاصى وممارسة الطاعات . ولما كانت مداخل النفس صعبة ومعقدة فقد احتاجت التزكية الى مربين مختصين وشيوخ عارفين أحوال النفس ومدارجها" . (٣) .

وبوسائل التزكية التى يذكرها الغزالى ترتقى النفس الى مقام العبودية لله . (٤) .

وتزكية النفس اجبارية لكل متعلم ، ولقد طبق الغزالى هذا المنهج على نفسه عندما هجر التدريس فى المدارس النظامية وهجرالاهل والناس والوطن حوالى أحد عشر عاما قضاها فى الدراسة والعبادةوالخلوة —:

---

(١) نفس المرجع ، ص: ١٦١ — ١٦٢ .

(٢) نفس المرجع ، ص: ١٦٢ .

(٣) نفس المرجع ، ص: ١٦٣ .

(٤) نفس المرجع ، ص: ١٦٤ .

حتى وصل الى العبودية ،فعاد الى بلده طوس ليدرس منهجه المستقل كما يراه . (١) .

أما الميدان الثالث من ميادين التربية عند الغزالى فهو دراسة القرآن الكريم وما اشتمل عليه من انظمة ،ومبادىء تربوية عظيمة وهامة . (٢) .

" والميدان الرابع هو ميدان الاعداد الوظيفى أو ميدان - الحكمة : ويتدرج تحت هذا الميدان حسن التدبير ،وجودة الذهن ونقاية الرأى ،وصواب الظن ." .

وحسن التدبير ،كما يعرفه " هو جودة الروية فى استنباط ما هو الاصلح والافضل فى تحصيل الخيرات العظيمة والغايات الشريفة مما يتعلق بالفرد فى تدبير منزل أو مدينة أو مقاومة عدو ودفع شر" .

وأما جودة الذهن فهو القدرة على صواب الحكم عند اشتباه الآراء .

" وأما نقاية الرأى فهى سرعة الوقوف على الاسباب الموصلة فى الامور الى العواقب المحمودة " .

" وأما صواب الذهن فهو موافقة الحق لما تقتضيه المشاهدات

---

(١) نفس المرجع .

(٢) نفس المرجع .

" والى جانب هذه الميادين الاربعة فقد انتبه الغزالى الـــى المهارات الدراسية مثل :—

مهارة اللفظ وحسن الخط وجمال المظهر" .(١)

<u>وخلاصـــة الأمــر</u> :—

ان هدف التعليم عند الغزالى هو تحقيق العبوديـــة لله فى حياة الانسان الفردية والاجتماعية .

---

(١) نفس المرجع ص : ١٦٥-١٦٦

رابعا : مراحـل التعليم :-

يحاول احمد شلبى أن يجعل مراحل التعليم عند المسلمين فى القرن الرابع والخامس الهجريين قريبه جدا من المراحل الاربعـه المعروفه فى العصر الحالى وهى :—
التعليم الابتدائى — التعليم الثانوى — التعليم الجامعى — الدراسات العليا ، ويقول فى محور حديثه عن هذا الموضوع :-

"صحيح أنهم لم يضعوا الحدود الفاصلة بين كل مرحلة وأخرى كما هو متبع فى العهد الحاضر ولكنهم التقوا بهذا التطور الطبيعى فاتبعـوه فى معاهدهم ". (١)

ويحاول احمد شلبى ان يربط بين مراحل التعليم هذه وبين المراحل التى يمر بها طالب العلم بدءا من الكتاب فيقول :-

" فقد وجد التعليم الابتدائى فى الكتاب حيث كان التلاميذ يتلقون مبادىء عامة فى الموضوعات أما التعليم الذى يشبه التعليم فى المرحلة الجامعية فى العهد الحديث فقد وجد فى دكاكين الوراقين ومنازل العلماء والصالونات الادبيه ". (٢)

—:—

(١) احمد شلبى ، مرجع سابق ،ص: ٣٧٨ .

(٢) نفس المرجع ،ص: ٣٨٠ .

وهو لا يصل الى الرأى الشائع الذى يجعل التعليم فى المسجد فى مستوى التعليم الجامعي فقط ،فالمسجد وجدت فيه المرحلتان الثانية والثالثة فالمسجد فى حلقاته اتسع للنوعين معا :- التعليم الثانوى والتعليم الجامعى فليست كل الحلقات المعقودة فى المسجد فى مستوى واحد ،ويذكر المؤلف هنا كلام ابن جبير عن مسجد دمشق الذى يفيد بأن المراحل الثلاث وجدت فى هذا المسجد اذ ينص أن الصبيان كان لهم موضع فيه يقرأون القرآن ويتلقون مبادئ العلوم ،وعند الحديث عن الكتاتيب ذكرنا ان بعض معلمى الكتاتيب كانوا يتخذون من المسجد مكانا لتعليم الصبيان . (١) .

"وعلى هذا فان الصبى المسلم يتلقى تعليمه الابتدائى فى الكتاب ،ثم يلتحق فى المسجد بحلقة من الحلقات التى تدرس بها كتب سهلة التناول فاذا قطع فى هذه المرحلة شوطا بعيدا يلتحق بحلقات أخرى فى المسجد نفسه أو غيره حيث يجلس الى الشيوخ المشاهير الذين يدرسون كتبا عالية المستوى كثيرة التفاصيل والعمق" . (٢) .

ويرى أحمد شلبى انه بظهور المدارس فى العالم الاسلامى ،تحدد المستوى الدراسي فيها بمرحلتين وذلك يتوقف على مستوى المدرسين فى

---------------- :-

(١) نفس المرجع السابق .

(٢) نفس المرجع ،ص: ٣٨١ .

كل مدرسة فاذا تركت المدرسة للمعيدين أو اذا عين فيها مدرس غير متبحر في العلوم فهي ،في رأيه في مستوى التعليم الثانوى واذ اتيح لهذه المدرسة نفسها ان يعين فيها مدرس فذ من المعروفين بسعة الاطلاع فان مستوى المدرسة يرتفع الى مستوى التعليم الجامعى . (١) .

كما انه يرى ان المدارس النظامية كانت جامعية المستوى ذلك لأنها ما كان يعين بها الاخيرة الشيوخ ومشاهير العلماء . (٢)

أما المرحلة الرابعة في عصور الازدهار ، وهي مرحلة الابحاث والدرسات العليا ،فقد عرفها العالم الاسلامى أيضا ، ويروى لنا ما ذكره ابن الانبارى فى طبقات الأدباء .

"من أن امير الموءمنين المأمون أمر الفراء أن يوءلف ما يجمع به أصول النحو وما سمع من العرب ، وأمر أن تفرد له حجرة من حجر الدار وصير له الوراقين وألزمه الأمناء والمنفقين ليمدوه بما يحتاجه من كتب ، ووكل به خدما للقيام بما يحتاج اليه ،فجعل الوراقين يكتبون عنه حتى صنف كتاب المعانى ،وأمر المأمون به فكتب فى الخزائن ،ثم خرج الفراء الى الناس ليملى عليهم ذلك النتاج " . (٣) .

انها اذن مرحلة للتفرغ العلمى عرفها العرب المسلمون الاوائل تشبه التفرغ للتأليف او الدراسة العليا للحصول على أعلى الدرجات العلمية -:

---

(١) احمد شلبى مرجع سابق ، ص: ٣٨١ .

(٢) نفس المرجع السابق .

(٣) نفس المرجع ،ص: ٣٨٢ .

ولكن معظم الدارسين المعاصرين يرون أن للتربية الاسلامية فى القرون الماضية منهجان : منهج خاص بالتعليم الابتدائى ،ومنهج للتعليم العالى ،وهم يرون ان التعليم الابتدائى يمتد الى نهاية مرحلة التعليم الثانوى . (١)

خامسا : تعليم الخاصة :-

كان من عادة الخلفاء أو الملوك تعليم ابنائهم فى قصورهم وتحت اشرافهم ورعايتهم ،فقد وجد نوع من التعليم الابتدائى بقصور الخلفاء والعظماء ،ولم يكن يطلق على من يقوم بهذه المهمة التربوية الخاصة أسم المعلم وانما يطلق عليه لفظ مؤدب ،ويبقى المتعلم يتلقى العلم على يدى مؤدبه الذى يختاره له والده حتى يجاوز عهد الصبى وينتقل الى مستوى الطالب فى حلقات المساجد أو المدارس . (٢) .

ويختلف هذا التعليم عن غيره بأن المؤدب قد يخصص له جناح فى القصر يعيش فيه ليكون اشرافه على تلميذه الأمير أحكم وأشمل كما أن المؤدب يربى عقل الولد وقلبه وجسمه ،وقد يكون منهج التعليم لهذه الطبقة مرتبتطا فى أسسه العامة بمنهاج التعليم الذى وضع اساسا لجميع الصبيان مع ملاحظة ما يطلبه الوالد من حذف أو اضافة يتمشى مع الأهداف والمسئوليات التى ستواجه هذا الصبى فى مستقبل حياته ،كان ذلك يأتى على لسان الوالد الذى يحدد للمؤدب بعض ما يريد (٣)

—:————————

(١) على الجمبلاطى ،مرجع سابق ،ص: ٤٣ .

(٢) احمد شلبى ، مرجع سابق ،ص: ٥٨ .

(٣) نفس المرجع ،ص: ٥٩ — ٦٠ .

وكانت وظيفة المؤدب تخلع على صاحبها حلة الجلال والاحترام وتضع من يشتغل بها في مكانه مرموقة في المجتمع، ومع ذلك فان بعض العلماء قد يرفض العمل في هذا المنصب، فقد رفض الخليل ابن احمد طلب الوزير سليمان بن على لتأديب ولده. (١) ولكن كل الدلائل والنصوص تفيد ان تأديب اولاد الخاصة صبيانا أو كبارا كان عملا عظيما ويبرز احمد شلبي رفض الخليل بن احمد للعمل كمؤدب بأن ذلك لم يكن تهاونا بالعمل وانما كان بدافع الزهد والورع. (٢).

ويورد احمد شلبي قائمة باسماء المؤدبين المعروفين مع اسماء التلاميذ الذين تفرغوا لتعليمهم. (٣).

ومن أبرز هؤلاء المؤدبين :- (٤).

الكسائي مؤدب الرشيد وولديه، وعبد الله بن المقفع مؤدب اولاد اسماعيل بن على، والفراء مؤدب العباس بن المأمون وابن السكيت مؤدب ابناء الخليفة المتوكل، وثعلب مؤدب بن المعتز والمبرد مؤدب عبد الله بن المعتز، والزجاج مؤدب أولاد المعتضد.

سادسا : تعليم المرأة :-

يقرر شلبي حقيقة لم يشأ أن يعترف بها كثير من الكتاب المسلمين وهى :—

---

(١) نفس المرجع، ص: ٦١ .

(٢) نفس المرجع، ص: ٢٢٥ — ٢٢٦ .

(٣) نفس المرجع، ص: ٢٢٧ .

(٤) نفس المرجع .

" ان التعليم بين النساء لم يكن منتشرا انتشاره
بين الرجال وكانت نسبة المتعلمات بين
النساء أقل بكثير جدا من نسبة المتعلمين
بين الرجال " . (١) .

ويعتمد المؤلف :-

"ان الذى عاق النساء المسلمات عن مجاراة
الرجال فى التعلم انما هو الصعوبات التى
كان يستهدف لها طلاب العلم فقد كانت
الرحلات والحرمان والتقشف شارات الطالب
المسلم " . (٢) .

ولكن من المسلم به ان الدين الاسلامى كان يحث على تعليم المرأة كما كان يحث على تعليم الرجل ،فهو يسوى بين الرجل والمرأة فى الامور الروحية والواجبات الدينيه ،وقد جعل الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمه ،من غير تفرقة بينهما ،وعندما ظهر الاسلام فى الجزيرة العربية كانت هناك نساء يعرفن القراءة والكتابة كالسيدة حفصة زوج النبى صلى الله عليه وسلم وكانت السيدة عائشة رضى الله عنها تقرأ المصحف ،وهى التى قال :- عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم :" خذوا نصف دينكم عن هذه الحميراء" . وهى التى قال عنها عروة بن الزبير : ما رأيت احدا اعلم بفقه ولا بطب ولا بشعر من عائشة ،وهى التى روت عن النبى صلى الله عليه وسلم الف حديث .

ويروى البلاذرى أنه عند مجيء الاسلام كان هناك خمسة من نساء العرب يقرأن ويكتبن ،وهن : حفصة بنت عمر ،وأم كلثوم بنت عقبة وعائشة بنت سعد ،وكريمة بنت المقداد ،والشفاء بنت عبد الله العدوى :-

---

(١) احمد شلبى ،مرجع سابق ،ص: ٣٢٩ .
(٢) نفس المرجع ،ص: ٣٣٠ .

التى كانت تعلم حفصة وقد طلب الرسول صلى الله عليه وسلم منها أن تستمر فى تعليمها لحفصة حتى بعد زواج الرسول صلى الله عليه وسلم منها ـ (١)

ويروى البخارى فى صحيحه ان النساء قلن للنبى صلى الله عليه وسلم " غلبنا عليك الرجال فاجعل لنا يوما من نفسك ،فعين لهن يوما يلقاهن فيه ويعلمهن " .

أين كانت تتعلم الفتاة المسلمة فى القرن الخامس الهجرى .؟ .

يقول الأهوانى :-

"ان البنات كن يتعلمن فى الكتاتيب" . (١) .

وفى مكان آخر من الكتاب نفسه يقول أيضا ان العادة قد جرت على تعليم البنات داخل الدور. (٣)

ويؤكد احمد شلبى ان البنت لم تلتحق بالكتاب وكان الغالب ان تتعلم فى المنزل عن طريق احد اقاربها أو بمؤدب خاص يدعى لها . (٤)

ويذهب احمد شلبى الى ان البنت الحرة لم تتردد على الكتاب وقد تكون بعض الجوارى قد تعلمن بالكتاب ولم يكن المراد بتعليم الجوارى هو الثقافة بقدر ما كان يراد به رفع اثمانهن بتعليمهن الكتابة . (٥) .

-:

(١) البلاذرى ، مرجع سابق ،ص: ٤٥٨ .

(٢) احمد فؤاد الأهوانى ،مرجع سابق ،ص: ١٠٥ .

(٣) نفس المرجع .

(٤) احمد شلبى ، المرجع السابق ،ص: ٣٣٢ .

(٥) احمد شلبى ،مرجع سابق ،ص: ٣٣١ — ٣٣٢ .

ويبدو أن خطر فساد البنات لاختلاطهن بالذكور جعل الكثيرين يفضلن تعليمهن على حدة ، ورغم ان الفقهاء ومنهم القابسى قرروا تعليم البنات للضرورة الدينية فان البنات كن يتعلمن اما فى قصور الاغنياء وهم القادرون على استحضار المؤدبين ، واما فى الكتاتيب لعامة الشعب(١)

فالقابسى ، وهو من علماء القرن الرابع الهجرى ، يعبر عن روح عصره عندما ينصح بعدم تعليم البنت الكتابة والخط خشية فسادها وقبل ذلك كان الجاحظ يرى ذلك أيضا فقد ذكر فى البيان والتبيين :-

"لاتعلموا بناتكم الكتابة ، ولاترووهن الشعر وعلموهن القرآن ، ومن القرآن سورة النور." .

ويرجح محمد عطية الابراشى ان هناك رأيين متناقضين فى تعليم المرأة فى الاسلام فى عصور الازدهار . (٢) .

الاول ينادى بتعليم المرأة دونما تفرقة بين الرجل والمرأة .

الثانى يقول بتعليم المرأة القرآن وعلوم الدين وينهى عن تعليمها الكتابة والشعر .

ويبدو ان الرأى الاول هو الذى انتصر فى نهاية الامر فنالت المرأة قسطا عظيما من التربية والتعليم فكانت هناك : الكاتبة والشاعرة والطبيبة والمعلمة ، وقد ساهمت المرأة المسلمة وشاركت

---

(١) احمد فؤاد الأهوانى ، مرجع سابق ، ص: ١٠٥ .

(٢) محمد عطية الابراشى ، مرجع سابق ص: ١٢٦ .

في الحياة الدينية والاجتماعية والسياسية .

لقد حاول بعض المستشرقين في العصر الحديث نشر فكرة خاطئة أساسا وهي ان جهل المرأة المسلمة يرجع الى اسباب دينيه وتقاليد اجتماعية ،رغم ان كتب التاريخ تحفل باسماء العديدات من النساء المسلمات اللواتي يحق للمرأة المسلمة في هذا العصر أن تفخر بهن .

ونحن نرى ان تعليم المرأة في العصور الاسلامية الأولى وفي أيام الرسول صلى الله عليه وسلم كان في أوج ازدهاره وعندما ظهرت آراء الفقهاء وتبلورت في القرنين الرابع والخامس الهجريين انحسرت موجة الحماس لتعليم المرأة ، وعندما نستعرض كتب التاريخ وكتب الأدب في القرون الثلاثة الاولى نجد ان للمرأة المسلمة دورا عظيما في الحياة الاجتماعية والأدبية والعلمية وحتى في الحياة السياسية .

ثالثا : المعلـــــــمون :-

يقف المعلم دائما فى مقدمة العمل التربوى من حيـث قيادته له ،ولعل من أخطر المسئوليات تلك التى تناط بعهــدة المربى حيث توكل اليه مهمة تربية مجموعة من الأطفال تربية اسلاميــة صحيحة ،فهى مسوءولية يتحمل المعلم نتائجها أمام الله تعالـــى فهو يسعى الى رضى الله وذلك بأداء الواجب الملقى علىكاهله على أحسن وأكمل وجه ،وانها أمانه ومسوءولية ثقيلة حقا ،لذلك كانت عناية مفكرى التربية بدور المعلم ووظائفه ومسئولياته فهم يبرزون دور المعلم ومكانته وواجباته فى بناء الانسان المسلم.

" وقد عنى المسلمون منذ العصر الاول بتلقى العلم عن المدرسين عناية ملحوظة وكرهـوا كراهة شديدة ان يتلقى الطالب العلـــم عن الكتب وحدها ."(١) .

وقد قسم الباحثون المعاصرون طوائف المعلمين الـــــى ثلاث فئات هى :ـ (٢) .

(١) معلموا الكتاتيب .

(٢) المؤدبون .

(٣) المعلمون بالمساجد والمدارس أو المعلمون العلماء . (٣)

—:

(١) احمد شلبى ،مرجع سابق ،ص: ٢٠٩ .

(٢) نفس المرجـــع ،ص: ٢١٩ .

(٣) حسن عبد العال ، مرجع سابق ،ص: ٢٥٥ .

ويكاد يتفق معظم هؤلاء الباحثين بأن المعلمين فى المدارس كانوا موضع تقدير واجلال واحترام، وكذلك المؤدبون لأولاد الخلفاء والعظماء والأمراء . (١)

ولكن النظرة الى معلمى الكتاتيب كانت لا تتسم بالتقدير والاحترام . (٢) حتى أن هؤلاء كان قد ضرب فيهم المثل بالحمق فى أمثال العامة أحمق من معلم كتاب. (٣) ويبدو أن لبعض معلمى الكتاتيب تصرفات مع تلاميذهم تدعوا الى الضحك أو السخرية وقد حفلت بعض كتب النوادر والطرائف مثل محاضرات الأدباء للاصفهانى ببعض هذه القصص التى قد تكون مختلفة أو مبالغا فيها لاثارة الضحك والحط من قدر هذه الفئة فى المجتمع. (٤)

وقد أراد بعض الباحثين أن يرد سبب ذلك الى نظرة العرب منذ العهد الأول لمعلمى القراءة والكتابة الذين كانوا من الذميين ، تلك النظرة التى كانت تتسم بالاحتقار والازدراء. (٥)

ولكن هذا الرأى يبدو لنا بعيدا عن الحقيقة والواقع فالمسلمون الأوائل لم يكونوا يحطون من شأن الذميين أو ينظرون اليهم نظرة احتقار تجعلهم يحتقرون من خلالها معلمى الكتاتيب على الاطلاق ،فالاسلام لا يقبل منهم ذلك ، وولاة الأمور أيضا لا يمكن أن يوافقوهم على هذه النظرة .

---

(١) احمد شلبى ،مرجع سابق ، ص: ٢٢٥ — ٢٢٨ .

(٢) حسن عبد العالى ،المرجع السابق ،ص : ٢٥٥ .

(٣) احمد شلبى ، مرجع سابق ، ص: ٢١٨ .

(٤) نفس المرجع ، ص : ٢٢٠ .

(٥) نفس المرجع ، ص: ٢٢٤ .

لكن تفسيرا آخر للباحث نفسه يبدو لنا أقرب الى العقل والمنطق ،فالارجح أن معظم هؤلاء المعلمين الذين احترفوا مهنة التعليم فى الكتاتيب كانوا ذوى ثقافة ضحلة على الغالب،فهم يحفظون القرآن ولكن ليست لهم معرفة بعلومه . (١) وهم يأخذون أجرا على تعليم القرآن وهذا يسقط المروءة ،فى رأى الكثيرين ،آنذاك . (٢) . وهم ينتهزون فرصة كونهم حملة القرآن ليحترفوا الشهادةوليأخذوا أجرا على تأديتها حتى أن البعض كان قد حذر من قبول شهادات هؤلاء . (٣)كل هذه الأمور مجتمعة كانت قد جلبت السمعة الرديئة الى هذه الطائفة عموما . (٤) .

واذا كان المعلم فى الصدر الأول للاسلام لم يكن يعمل بالتعليم حبا أو طمعا فى مال أو سمعة ، حيث كانت الروح الدينيه الصادقة لا زالت عميقة فى النفوس ،فان المعلم فى العصور التاليه كان يطلب المال ليعيش أو السمعة ليرتفع قدره . (٥) .

ويعزو أحد الباحثين المعاصرين ذلك الى ان :-

> شخصية المعلم الخلقية كانت متصلة اتصالا وثيقا بالحالة الاقتصادية السائده فى المجتمع واختلال الميزان الاقتصادى بين الطبقات الرفيعة والدنيا ، هو الذى أدى مع الزمن الى تحول المعلمين وغيرهم من أصحاب الصناعات الدينية والعقلية الى البحث عن المادة والانصراف عن العلم الصحيح والروح الدينى الحق . (٦) .

---

(١) احمد شلبى ،مرجع سابق ،ص: ٢٢٢ .
(٢) نفس المرجع .
(٣) نفس المرجع .
(٤) نفس المرجع .
(٥) احمد فؤاد الاهوانى ،مرجع سابق ،ص: ٢٠٤ .
(٦) نفس المرجع السابق ،ص: ٢٠٤ — ٢٠٥ .

والباحث هنا كان يتحدث عن حالة المعلم فى القرن الرابع الهجرى عندما أجاز القابسى للمعلم أن يأخذ أجرا مناسبا على عمله ،ولكنه حذر فى الوقت نفسه من انصراف المعلم الى عمل آخر يشغله عن تعليم الصبيان . (١) .

وقد كانت أجور المعلمين من القضايا التى دار حولها كثير من الجدل على العصور ،-فقد كان تعليم القرآن الكريم فى الصدر الأول من الاسلام تطوعا واختيارا ، وكان الصحابة يقرأون ، القرآن ويفسرونه للناس دونما مقابل مادى ،فهم لا يريدون الا الثواب عند الله ،بل كانوا يكرهون أن يأخذ المعلم على تعليم القرآن شيئا . (٢) .

وبعد أن انتشر الاسلام وأصبح من الصعب وجود من يعلم للمسلمين أولادهم كان لابد من الاستعانة بمن يكفيهم تعليم أولادهم بأجر مناسب يغنى المعلم عن عمل آخر يلتمس منه أسباب العيش . (٣) .

وقد اتفق فى العصور الماضية على جواز أخذ الأجر، وقد كان هذا الأجر منخفضا جدا وكان المعلمون أقل رجالات الدولة أجرا . (٤) . ويبدو أن هذه الأجور تختلف باختلاف منزلة المعلم العلمية والأدبية ، فمعلموا الكتاتيب كانت أجورهم بسيطة متواضعة على حين كانت أجور المؤدبين مرتفعة ومناسبة، وقد كان المؤدبون

---

(١) نفس المرجع ، ص: ٢٠٤ .

(٢) على الجمبلاطى ،مرجع سابق ، ص: ١٦ .

(٣) نفس المرجع

(٤) نفس المرجع .

في الاسلام على درجة من الرخاء وحسن الحال بسبب ما يـــــرد اليهم من العطايا والهبات من الأمراء والخلفاء . (١) .

واذا كان دفع المرتبات للمدرسين قد أصبح شيئا عاديـــا بعد ظهور المدارس في القرن الخامس الهجرى فان كثيرا مـــــن العلماء والزهاد ظلوا يبتغون من تعليمهم مرضاة الله وثوابه . (٢) .

وكانت أجور الدراسة في الكتاتيب متروكة لحالة الطفل نفســه وطاقة أهله المادية ، فهناك مبلغ زهيد من المال يقدم للمعلـــــم أسبوعيا أو شهريا وهناك مبلغ قليل آخر يدفع في مناسبات الأعـــياد والمواسم ، وكان الطفل يقدم لمعلمه شيئا لتكريمه وشكره كلما تقدم فـى حفظ سورة من القرآن الكريم وفى حال ختمه للقرآن يكرم معلـــــم الكتاب أجمل تكريم وقد يشمل العطاء شيئا من الكساء والمال . (٣) .

ويرى بعض الباحثين أنه في بعض الحالات الخاصة قـــــد يكون مستوى معلم الكتاب المالي جيدا . (٤) .

أما معلموا المدارس فيبدو أنهم كانوا يعيشون في بحبوحـــة ويسر وكان مستواهم المالي مرموقا ، وكانت مرتباتهم شهرية منتظمـــــة تدفع لهم من الخزينة العامة للدولة أو من واردات بعض الأوقـــاف التي توقف أحيانا لمدرســـة من المدارس لينفق ريعها علـــــى هذه المدرسة بكل تجهيزاتها ولوازمها ، وقد تختلف رواتب المدرسين

-:

(١) نفس المرجع السابق ،ص: ١٧ .

(٢) احمد شلبى ،مرجع سابق ،ص: ٢٣٤ — ٢٣٦ .

(٣) نفس المرجع ،ص: ٢٤٠ — ٢٤١ .

(٤) نفس المرجع . ص: ٢٤١ .

باختلاف مكانه المدرس العلمية والادبية . (١) .

ويشير احمد شلبي الى نوع آخر من المدرسين الذين كانوا يعلمون الثقافة العالية ويتقاضون على ذلك أجورهم من طلابهم ، وكأن موءسساتهم كانت مدارس خاصة لهم ، وقد نعم هوءلاء بمستوى مالى لائق . (٢) .

وقد أختلفت الآراء بين الموءرخين حول مسألة بدء ترتيب الأجور المنتظمة للمعلمين ، فهناك رأى يرى أن نظام الملك هو أول من رتب الآجور للعلماء والمدرسين فى مدارسه النظامية ورأى آخر ان ذلك بدأ قبل المدارس النظامية . (٣) .

وهناك رأى يقول ان الفاطميين اول من رتب اجورا منتظمة للعلماء والمعلمين ، والمعروف ان العباسين عندما شيدوا بيت الحكمة فى بغداد عينوا له العلماء والمترجمين والنساخ ورتبوا لهم المرتبات والأجور . (٤) .

اخلاق المدرسين وواجباتهم :—

اشترط المربون المسلمون الاوائل فى المعلم ان تكون لديه القدرة التى توءهله لهذه المهمة الصعبة والشاقة ، وأوجبوا على المعلم الا يتصدى للعمل بالتدريس الا اذا كان أهلا لذلك وقد كتب كثير من العلماء المسلمين الأوائل عن واجبات المعلم —:

---

(١) نفس المرجع السابق ،ص: ٢٤٣ — ٢٤٥ .

(٢) نفس المرجع ،ص: ٢٤٧ .

(٣) محمد منير مرسى ،مرجع سابق ،ص: ١٧٠ .

(٤) نفس المرجع .

ود وره وأخلاقه ومهامه ومن هوءلاء :-

- ابن سحنون من علماء القرن الثالث فى كتابه آداب المعلمين .
- والقابسى من علماء القرن الرابع فى رسالته المفصلة عن أحوال المعلمين والمتعلمين .
- والماوردى من علماء القرن الخامس فى كتابه أدب الدنيا والدين .
- والزرنوجي من علماء القرن السادس فى كتابه تعليم المتعلم طريق التعليم ،وغيرهم .

وينقل لنا أحمد شلبى من كتب هوءلاء وغيرهم نبذة موجزة عن أهم ما يجب أن يتصف به المدرسون يمكن لنا أيضا أن نوجزها فيما يأتى :- (١)

(١) أن يكون المعلم ذا سيرة حسنة وان يبدأ بتأديب نفسه أولا .
(٢) أن يكون مشفقا على تلاميذه وان يعاملهم معاملة بنيه .
(٣) أن يقدم لهم النصح دائما وان يهتم باخلاق تلاميذه اهتمامه بعقولهم .
(٤) أن يتدرج معهم فى العلم فيختار للمبتدىء منهم المسائل البسيطة القريبة الى الفهم .
(٥) أن يربى فى تلاميذه ملكة الاجتهاد والنظر لا مجرد التقليد .
(٦) أن لا يطيل الدرس تطويلا مملا ولا يقصره تقصيرا مخلا .
(٧) أن لا يجاوز صوته مجلسه وألا يقصر فى اسماع الآخرين .
(٨) أن ينظر الى تلاميذه نظرة مساواة وانصاف وعدل وألا يميز بحال من الأحوال بين اولاد الأغنياء وأولاد الفقراء .

---

(١) أحمد شلبى ،مرجع سابق ،ص: ٢٥٨ — ٢٦٠ .

أما عن واجبات المعلم نحو طلابه كما أوردها ابن سحنون . (١) .

(١) لا يجوز أن ينشغل المعلم عن طلابه أثناء تعليمهم الا فى أوقات الراحة
(٢) يجب أن يتفرغ لتلاميذه ولا يترك عمله الا فى حالات الضرورة القصوى
(٣) ينبغى أن يخصص المعلم لتلاميذه وقتا لتعليم القرآن الكريم كما يعلمهم اعراب القرآن والشكل والهجاء والخط والقراءة والترتيل أما تعليم الحساب والشعر والعربية والنحو فتعليمها ليس واجبا عليه .
(٤) لا يجوز للمعلم أن يوكل تعليم الصبية لغيره بل يجب أن يتولى ذلك بنفسه .
(٥) لا يجوز للمعلم أن يضرب الصبى على رأسه أو وجهه ولا يجوز أن يمنع من طعامه وشرابه .
(٦) على المعلم أن يختبر مدى تقدم صبيانه فى التعليم وأن يخصص وقتا معلوما لمراجعة حفظ القرآن الكريم كيوم الخميس مثلا وأن يعفيهم من الحضور للدراسة يوم الجمعة .
(٧) لا يجوز للمعلم أن يعلم صبيانه قراءة القرآن الكريم بالألحان والغناء لأنه مكروه .
(٨) يجوز للمعلم أن يجعل صبيانه يملى بعضهم بعضا لما فى ذلك من منفعة لهم .
(٩) لا يجوز للمعلم أن ينقل طلابه من سورة الى سورة الا اذا حفظها باعرابها وكتابتها .

---

(١) محمد منير مرسى ، التربية الاسلامية ، مرجع سابق ص: ٢٢٦ — ٢٢٨ ، وكذلك : احمد فؤاد الأهواني ، رسالة القابسى ملحق بكتابة التربية فى الاسلام : ص: ٣٠٧ — ٣١٥ .

(١٠) لايجوز للمعلم أن يرسل الصبيان فى قضاء حوائجه .

(١١) يجب على المعلم أن يأمر الصبى بالصلاة وان يعلمهم الوضوء والصلاة .

(١٢) لايجوز للمعلم تعليم الصبيان فى المسجد لأنهم لا يحتفظون من النجاسة .

كما حرص الغزالى على تحديد مجموعة من الصفات تعين المعلم على تأديه رسالته . (١) .

ومنها : أن يكون المعلم شفيقا على المتعلمين بحيث يعاملهم معاملة بنيه والشفقة عند الغزالى هى احسان معاملة الأطفال حتى تقوى العلاقة بين المعلم والمتعلم .

وأن لا يطالب المعلم أجرا على تعليمه مقتديا بالرسول صلى الله عليه وسلم ، ونظرة الغزالى حول هذا الموضوع تنبع من أن التعليم اسمى من أن يقدر بمال ، ويكفى المعلم فضلا أنه يهدى الناس الى الحق والخير والعلم .

وينبغى على المعلم أن ينصح المتعلم بأن يطلب العلوم النافعة المفيدة ويقصد بها العلوم الدينيه .

والمعلم مثال طيب ونموذج جميل يحتذى به الصبيان لذا كان من الواجب عليه أن يكون كريم النفس موصوفا بالتسامح والفضائل والمحامد .

وعلى المعلم أن يراعى استعدادات التلاميذ ودرجة نموهم ونضجهم الجسمى وضرورة مراعاة الفروق الفردية ، وان يكون المعلم عاملا بعمله فلا يكذب قوله فعله بل ينبغى أن تكون اقواله مطابقة لأفعاله كما ينصح

-:

(١) على الجمبلاطى ، مرجع سابق ، ص: ١١١ — ١١٧ .

الغزالى المعلم بأن يدرس نفسية تلاميذه وان يحسن الظن بهم دائما .

واذا نظرنا الى تلك الواجبات التى أشار اليها المربون المسلمون فى صدر الاسلام فانه يمكننا تقسيمها الى :—

واجبات المعلم نحو ربه ، وواجبات المعلم نحو نفسه ، وواجبات المعلم نحو طلابه ، وواجبات المعلم نحو العلم الذى يحمل رايته ، وواجبات المعلم نحو مجتمعه وأمته .

(١) واجبات المعلم نحو ربه :—

فالمعلم كأى فرد فى الاسلام ، وهو يقوم بواجباته عليه أن يستند على أوامر الدين ونواهيه وما تضمنه هذا الدين من ترغيب وترهيب يقول تعالى : " فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلاَ يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا " (١) . وكذلك قوله تعالى " وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ " (٢) . ثم قوله تعالى " إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ " (٣) .

وعلى المعلم أن يدعم ايمانه بالله بالعمل الصالح والاستقامه فى دينه . " وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ " (٤) —
وعلى المعلم التوكل على الله فى كل أموره " وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ " (٥)
وان يتمسك بتعاليم الدين التى أمره الله بها ويؤدى فرائضه

—:————————

(١) سورة الكهف — الآية ١١٠ .

(٢) سورة البقرة — آية ١٩٧ .

(٣) سورة الأنفال — آية ٢ .

(٤) سورة آل عمران — آية ١٠١ .

(٥) سورة المائده — آية ١١ .

وسننه ويتجنب محرماته ومكروهاته وفى هذا يقول سبحانه وتعالى : " كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ "(١) . وان يتقى الله ويخشاه ويخاف عقابه ويكثر من عبادته قال تعالى : " وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ "(٢) .

فهذه الواجبات المستمده من كتاب الله سبحانه وتعالى نجدها فى أقوال الرسول صلى الله عليه وسلم الذى " وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ " (٣) . ومن اقواله صلى الله عليه وسلم فى هذا المجال :-

" اعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك "(٤) . ،،

فهكذا تكون أفضل درجات الايمان ان تعلم أن الله معك حيثما كنت ، وكذلك من اقواله صلى الله عليه وسلم " أزهد فى الدنيا يحبك الله ، وأزهد فيما عند الناس يحبك الناس " (٥) .

(٢) واجبات المعلم نحو نفسه :-

قبل أن يبدأ المعلم باصلاح أحوال غيره عليه أن يصلح نفسه فيحافظ على صحته البدنيه والنفسيه والعقليه ، وعلى شرفه وسمعته وماله وعلى نظافة بدنه وثيابه وحسن هيئته ، كما يتحتم عليه أن يعرف نفسه :-

---

(١) سورة الصف - آية ٣ .

(٢) سورة النازعات - آية ٤٠ - ٤١ .

(٣) سورة النجم - آية ٣ - ٤ .

(٤) مسلم بن الحجاج بن مسلم : الجامع الصحيح المسمى صحيح مسلم ، ج ١ بيروت : دار المعرفه د.ت ، ص: ٢٩ .

(٥) يحيى بن شرف النووى : رياض الصالحين ، توضيح مصطفى محمد عماره . بيروت : دار الفكر ، ١٣٩٧هـ ، ص: ٢١٨ .

لأن من عرف نفسه فقد عرف ربه ، ومن جهل نفسه فهو بغيره أجهل (١) وعليه أن يتفهم نزعاته الفطرية وقدراته وميوله وامكانياته كلها على قدر ما يستطيع ، وأن يعنى بتنمية مواهبه وقدراته وجميع امكانياته الخيرة ويضبط نزعاته ودوافعه ويكبح شهواته ونزواته (٢) ، وان يقتصد في كل شيء ، وان يرفق بنفسه فلا يجهدها حتى لا تتضرر (٣) كما أن عليه أن يأخذ بأسباب الحياة ويدرك من الدنيا ما يصلح به شأنه وشأن من يعواه ولا ينسى نصيبه من الدنيا ولا يبالغ في زهده في الدنيا (٤)

وخلاصة القول :—

أنه من واجب المعلم وكل فرد مسلم أن يعمل على حفظ ذاته وتنمية نفسه واصلاح أمره وتحسين أحواله ، وسند المعلم المسلم في جميع الواجبات والآداب التي يؤديها نحو نفسه وذاته هي آيات القرآن الكريم والاحاديث النبوية المطهرة .

يقول تعالى : (وَكُلُوا وَاشْرَبُوا ولا تُسْرِفُوا . .) (٥) . ويقول أيضا سبحانه وتعالى . (يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُم عِندَ كُلِّ مَسجِدٍ) (٦) -- وأيضا قوله تعالى : (وَابْتَغِ فِيمَا آتاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ ، وَلاَ تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنيَا ، وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ) (٧) وقوله تعالى :-
(قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ التِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ) (٨) .
(لاَ يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا) (٩) (يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ ولاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ) (١٠)

---

(١) الماوردى ، مرجع سابق ، ص: ٣٣٤ — ٣٤٣ .
(٢) على خليل ابو العينين ، مرجع سابق ، ص: ١١١ — ١١٢ .
(٣) المرجع السابق ص: ١٣٩ — ١٤٠ .
(٤) الماوردى ، مرجع سابق ص: ١٣٣ .
(٥) سورة الاعراف آية (٣١) (٦) سورة الاعراف ، آيه (٣١)
(٧) سورة القصص ، آيه (٧٧) (٨) سورة الاعراف ، آية (٣٢)
(٩) سورة البقرة ، آيه (٢٨٦) (١٠) سورة البقرة ، آية (١٨٥) .

فلقد أراد الاسلام للمعلم أن يكون قويا عاملا غير عاجز عن انجاز اعماله بقدر ما يستطيع وأن يداوم على فعل الخيرات ولو بالقليل ان امكن وينهى عن الانقطاع عن فعل الخيرات، ففي هذا الانقطاع منقصه له لا يرتضيها له دينه . (١)

والى جانب ما تقدم يراعى أن تكون حياته في توازن يعمل فيها لدنياه وآخرته . (٢) . (اعمل لدنياك كأنك تعيش ابدا وأعمل لاخرتك كأنك تموت غدا) . وعلى المعلم أن يتبع اسلوب الرفق في العمل كله .

(٣) واجبات المعلم وآدابه نحو تلاميذه والمستفيدين منه :—

أقرب الناس الى المعلم بعد أولاده وأفراده أسرته هم تلاميذه فهو مسئول عن هؤلاء التلاميذ والمترددين عليه تلزمه نحوهم واجبات وآداب كثيرة تنبع في مجموعها من واجب الرعاية أو الولاية العامة التي له عليهم والتي يعبر عنها قول الرسول صلى الله عليه وسلم :— (ان الله سائل كل راع عما استرعاه، حفظ أم ضيع، حتى يسأل عن الرجل عن أهل بيته) (٣)

ولا شك أن هذه الواجبات هي تطبيق للقيم الفاضلة والاخلاق النبيلة التي رسمها الاسلام للمعاملات بين الناس، ولمخاطبة الناس وتوجيههم وارشادهم وتعليمهم، وهي تتفق تماما مع ما يقرره علماء التربية المحدثون واذا كان هناك فرق بين المعلم المسلم وغير المسلم في مثل هذه الواجبات فهي ان المعلم المسلم يستمد أصول هذه الواجبات من تعاليم دينه الاسلامي الخالد ومن تراثه الاسلامي العظيم .

---

(١) عبد الغنى عبود : الفكر التربوى عند الغزالي، ط ١ بيروت: دار الفكر العربي، ١٩٨٢م، ص: ١٢٨ .

(٢) محمد منير مرسى، مرجع سابق، ص: ٥٩ .

(٣) الامام احمد بن حنبل، المسند، باب الامارة، ص: ٣٧ .

وقد يكون الخليفة غير متعصب لمذهب دون آخر فيجعل لمدرسته حرية التدريس على المذاهب الفقهية الأربعة، فعندما أنشأ الخليفة المستنصر العباسي (ت سنة ٦٤٠ هـ) المدرسة المستنصريه جعل فيها أربعة أمنكة منفصلة لتعقد فيها حلقات على المذاهب الاربعة . (١)

ويخلص الباحث في أمر العلاقة بين الحكومة والتعليم الى ان تدخل الحكومة كان مقتصرا على المدرسين الذين تعينهم وتدفع لهم أجورهم ، أما المدرسون الذين كانوا يدرسون في المساجد أو الكتاتيب فان التدخل الحكومي لم يصل اليهم . (٢) .

—:—————————

(١) المرجع السابق ،ص: ٢١٥ .

(٢) نفس المرجع ، ص: ٢١٧ .

ومن أبز واجبات المعلم المسلم تجاه تلاميذه والمستفيدين منه أن يعاملهم بالحسنى واللين والرفق والشفقة والعطف، وان يعدل ويسوى بينهم، ويعتني بمصالحهم ويتعهد بأحوالهم وأن يعفو عن أخطائهم ويصبر على التعب معهم، ويرفق بمن سأله منهم، ويتجنب الغضب والحقد عليهم، وأن يجمع بين اللين والحزم معهم . (١) .

ومن واجباته أيضا : ان يشجعهم على الدراسة، ويدفعهم الى التعلم والاستفادة، ويثير فيهم الرغبة للدراسة، ويوجههم الى كل ما يوسع مداركهم وثقافتهم، ويخاطبهم على قدر عقولهم ومستوياتهم، ويتدرج معهم حسب ما يسمح به استعدادهم، كما عليه أيضا أن يعودهم على استخدام فكرهم وعقولهم فيما يعرض عليهم من أمور الدنيا والآخرة، ويعودهم على الأخذ بالأسلوب العلمي، (٢) كما عليه أن يأمرهم بأداء الفرائض والسنن ويربيهم على الخلق القويم، (٣) وأن يشاورهم فيما يتعلق بدراستهم ليشعرهم بمكانتهم عنده (٤) .

هذه بعض الواجبات والآداب التي ذكرها المربون المسلمون القدماء للمعلم تجاه تلاميذه والمستفيدين من علمه وقد استندوا في ذلك على نصوص القرآن الكريم والحديث الشريف، ومن الشواهد التي استندوا عليها في تقرير تلك الواجبات والآداب، قوله تعالى :— (ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ) (٥) .

وقوله تعالى : (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ، وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ ، لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ) . (٦) .

—:

(١) محمد منير مرسى، مرجع سابق، ص: ١٦٥ - ١٦٧ .
(٢) الماوردى، مرجع سابق، ص: ٨٧ — ٩٠ .
(٣) المرجع السابق، ص: ٩٦ — ٩٩ .
(٤) على الجمبلاطى، مرجع سابق، ص: ٣٧ .
(٥) سورة النحل، آية (١٢٥) .
(٦) سورة آل عمران، آية (١٥٩) .

وقوله تعالى :- (خُذِ العَفْوَ وأْمُرْ بِالْعُرْفِ وأَعرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ) . (١)
وقوله تعالى :- (لاَ يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نفساً إِلاَّ وُسْعَهَا) . (٢)
وأيضا قوله تعالى :- (وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلأَمْرِ) (٣) (وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ) (٤)
وكذلك قوله سبحانه وتعالى : (إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَٱلإِحْسَانِ وَإِيتَاىِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ) . (٥)

وهكذا نجد أن على المعلم واجبات نحو تلاميذه تتمثل فى الرفق بهم ،فعن عائشة رضى الله عنها قالت :- قال رسول الله صلى الله عليه وسلم" ان الله رفيق يجب الرفق فى الأمر كله " متفق عليه . (٦)
وأيضا يقول صلى الله عليه وسلم ،" يسروا ولا تعسروا ، وبشروا ولا تنفروا " متفق عليه . (٧) .

(٤) واجبات المعلم وآدابه نحو زملائه فى العمل :-

والمعلم الذى يعمل فى أى نوع من المؤسسات التعليمية سيكون له فيها زملاء فى العمل من المعلمين أو المشرفين يعملون معه فى حمل المسئولية التعليميه ،وللمعلم نحو هؤلاء واجبات وآداب وله عليهم حقوق بينتها التربية الاسلاميه والشريعة الاسلامية فى اطار واجبات الأفراد وحقوقهم :—

---

(١) سورة الاعراف ـ آية ١٩٩ .
(٢) سورة البقرة — آية ٢٨٦ .
(٣) سورة آل عمران — آية ١٥٩ .
(٤) سورة الشورى : آية ٣٨ .
(٥) سورة النحل — آية ٩٠ .
(٦) النووى ، مرجع سابق ، ص: ٢٨٢ .
(٧) نفس المرجع ،ص: ٢٨٣ .

ومن هـذه الواجبات :ـ

أن يتوجه الى زملائه بخالص حبه وعطفه وودده ، وصداقته وبشاشته ،(١) .

وأن يقدر مصالحهم ويدافع عنها كما يدافع عن مصالحة ويؤثرهم على نفسه ، ويساعدهم بكل ما يملك من وسائل المساعده ، ويقف بجانبهم فى أوقات الشدة ، ويتعاون معهم فى الخير ويدعوهم بالخير ، ويعفو عن اساءتهم وان يحترم آراءهم ويقدرها مهما كانت مخالفة لرأيه ويصون حقوقهم وأن يتجنب ظلمهم ومضايقتهم وايذاءهم واغتيابهم وحسدهم والحقد عليهم وسوء الظن بهم والسخرية بهم وافشاء أسرارهم. (٢)

وكل هذه الواجبات والآداب المترتبه على المعلم نحو زملائه فى العمل مستوحاة من تعاليم الدين الاسلامى الحنيف والاخلاقيات التى حث عليها فى المعاملة مع الناس والشواهد على ذلك كثيرة من القرآن الكريم والسنة المطهرة .

قوله تعالى : (مُحَمَّدٌ رَسُولُ ٱللهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ) (٣) (إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ، فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ) (٤) . (وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَانِ) (٥) . (وَٱجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ ٱلظَّنِ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِ إِثْمٌ) (٦) (لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ) (٧) (وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ) (٨) (فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ

(١) الماوردى ، مرجع سابق ، ص: ١٦٢ — ١٦٤ .

(٢) المرجع السابق ، ص: ١٦٥ — ٢٠٧ .

(٣) سورة الفتح ، آية (٢٩) .

(٤) سورة الحجرات ، آية (١٠) .

(٥) سورة المائدة ، آية (٢) .

(٦) سورة الحجرات ، آية (٢) .

(٧) سورة الحجرات ، اية (١١) .

(٨) سورة الحشر ، اية (٩) .

وأما مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ) (١) .

(٥) واجبات المعلم نحو العلم الذى يحمل رايته ونحو مهنته التعليمية التى ينتمى اليها :-

وعلى المعلم واجبات نحو العلم الذى يحمل رايته وينتسب اليه والى أهله ، ونحو مهنة التعليم التى ينتمى اليها ، ومن هذه الواجبات التى دعا اليها الاسلام وحث عليها فى هذا الخصوص: أن يقصد المعلم من دراسته العلمية المستمرة زيادة معرفته لله تعالى وزيادة معرفته لنفسه وللكون المحيط به والانتفاع بما تحصل عليه من علم فى اصلاح نفسه واصلاح مجتمعه وخدمته ونفعه (٢) وقد كان من بين الأمور التى استعاذ منها النبى صلى الله عليه وسلم (علم لا ينفع) فقال صلى الله عليه وسلم :- (نعوذ بالله من علم لا ينفع) (٣) -

ومن هذه الواجبات : أن يقصد المعلم من اشتغاله بالتعليم رضا الله فى المقام الأول ، فلا يركض وراء أجر دنيوى من مرتب وشهرة ومنصب وجاه ، يقول صلى الله عليه وسلم :- (من تعلم علما مما يبتغى به وجه الله ، لا يتعلمه الا ليصيب به غرضا من الدنيا ، فلم يجد عرف الجنة يوم القيامة) (٤) رواه ابو داود باسناد صحيح

---

(١) سورة الليل ، آية (٥ — ١٠) .

(٢) عبد الغنى عبود ، مرجع سابق ، ص: ٥٤ — ١١٨ .

(٣) مسلم : مرجع سابق ، حـ ٣ ، ص: ٢٠٨ .

(٤) النووى ، مرجع سابق ، ص: ٥٠٣ .

ولا يكتمل النفع بالعلم الا اذا تحلى صاحبه بالخلق والأدب، كما يتطلب منه أن يكون متواضعا معترفا بأنه مهما أوتي من علم فان علمه قليل يقول سبحانه وتعالى : (وما أوتيتم من العلم الا قليلا) . (١)

(٦) واجبات المعلم وآدابه نحو مجتمعه وأمته :ـ

والواجب الأخير من واجبات المعلم وآدابه هو المتمثل بواجباته نحو مجتمعه وأمته الاسلامية في مفهومها الواسع والشامل ومن هذه الواجبات أن يخدم مجتمعه وأمته مخلصا بجهده وعلمه وثقافته ، وأن يساهم بتطور مجتمعه ونموه وتحويله الى الأفضل ثقافيا وحضاريا واجتماعيا واقتصاديا وسياسيا، (٢) وأن يساهم في حل مشكلات مجتمعه وأمته وفي محاربة البدع الضارة، وأن يشارك في نشر العلم وبث الوعي ونصرة الحق ورفض الباطل ونشر العدل ورفع الظلم والشر والفساد . (٣) .

ومن الشواهد التي يعتمد عليها المعلم المسلم في التزامه بهذا النوع من الواجبات والآداب :

(قوله تعالى : (وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ) . (٤) وقاله تعالى :ـ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ، فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ) . (٥) .

وقوله صلى الله عليه وسلم: " ان الله وملائكته وأهل السموات والأرض حتى

---

(١) سورة الاسراء، آية (٨٥) .

(٢) عبد الغني عبود : مرجع سابق، ص: ٩٨ — ١١٦ .

(٣) ابن جماعة الكناني، تذكرة السامع والمتكلم في ادب العالم والمتعلم بيروت، دار الكتاب العلمية، د. ت، ص: ٢٣ .

(٤) سورة آل عمران، آية (١٠٤) .

(٥) سورة الحجرات، آية (١٠) .

النملة فى حجرها وحتى الحوت ليصلون على معلمى الناس الخير " رواه الترمزى . (١) فالله فى عون العبد ما دام العبد فى عون أخيه وخير الناس أنفعهم للناس .

ويقول صلى الله عليه وسلم :" من رأى منكرا فيغيره بيده فان لم يستطيع فبلسانه ،فان لم يستطع فبقلبه ، ذلك أضعف الايمان . (٢)

ويقول صلى الله عليه وسلم " ولينصر الرجل أخاه ظالما أو مظلوما ان كان ظالما فلينهه فانه له نصر وان كان مظلوما فلينصره" . (٣)

---

(١) النووى ، مرجع سابق ،ص: ٥٠٢ .

(٢) نفس المرجع ،ص: ١٠٣ .

(٣) مسلم بن الحجاج بن مسلم ،مرجع سابق ،حـ٨ ،ص: ١٩ .

أولا : الدولة ودورها في التعليم :ــ

الاسلام دين ودولة وهو يتميز بذلك عن الديانات السماوية الأخرى ،ومنذ العصور الأولى للاسلام كانت السلطتان الدينيــة والمدينة تتمثلان في شخص واحد هو أمير المؤمنين فهو امـام المسلمين وحاكمهم العادل ،وراعى الأمة والمسئول عن المصالـح الدينيه والدنيوية لجميع المسلمين .

ولقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم زعيما سياســيا ورائدا دينيا فى الوقت نفسه ،وبعده كان الخلفاء الراشدون قـد تحملوا هذه التبعات ،فكان الواحد منهم يدير أمور الحكم ،ويبعث بالجيوش ،وفى الوقت نفسه يفتى الناس ويعلمهم أمور الدين .(١) .

وبعد أن أتسعت رقعة الدولة الاسلامية أصبح من العسير على الخليفة أن يعلم الناس جميعا أمور دينهم فتحولت هــذه المسئولية الى العلماء ،وقد بدأ الرسول صلى الله عليه وسلم هـذه السنة حين ترك معاذا فى مكه بعد الفتح ليعلم المسلمين الجـدد أمور دينهـم .(٢) .

ولما انتشرت الفتوحات فى عهد عمر بن الخطاب ارسـل بعض الصحابة العلماء الى المدن المختلفة للغاية نفسها ،ومـن هؤلاءعبد الله بن مسـعود الذى توجـه الى الكوفـه وابـو موسى الاشـعرى الذى قصـد البصرة(٣) .

—:

(١) احمد شلبى ، مرجع سابق ،ص: ٢١٢ .

(٢) نفس المرجـع .

(٣) نفس المرجـع .

وعندما قامت الدولة الأموية فى دمشق أصبح كثير من خلفاء بنى أمية منشغلين بالسياسة وأمور الحكم ولم تكن لديهم الثقافة الدينية التى قد تسمح لهم بالافتاء وتعليم الناس،فانتقلت هذه المهمة،نهائيا ،الى العلماء وفى العاصمة نفسها كذلك .(١) .

وعندما اتخذ هؤلاء العلماء من المساجد أمنكة يجلسون فيها ويلتف الناس حولهم ليأخذوا العلم عنهم ويستفيدوا من ثقافتهم ،ولم يكن هؤلاء يأخذون به ،وكانوا يؤدون عملهم طلبا لثواب الله ،ولم تكن الدولة قد كلفتهم رسميا بهذا العمل .(٢) .

ولم تكن الدولة حتى ذلك الوقت تتدخل مطلقا فيما يقول به العالم المعلم ،فما دام المعلم غير معين من قبل الدولة ،وادام لا يأخذ أجر منها على عمله ،فقد ظل حرا فيما يدرس وفى الوقت الذى يشاء .(٣) .

وقد كانت بداية التدخل من الحكومة قد بدأت تظهر عندما أخذ بعض الخلفاء يقدم مساعدات مالية للعلماء والزهاد الذين حبسوا أنفسهم فى المساجد للعبادة ،وقد أثر عن عمر بن عبد العزيز أنه كتب الى والى حمص :—

"انظر الى القوم الذين نصبوا انفسهم للفقه
وحبسوها فى المسجد عن طلب الدين
فاعط كل رجل منهم مائة دينار يستعينون
بها على ما هم عليه من بيت المال حتى
يأتيك كتابى هذا فان خير الخير
أعجله والسلام" .(٤) .

—:———————

(١) نفس المرجع السابق ،ص: ٢١٣ .

(٢) نفس المرجع .

(٣) نفس المرجع .

(٤) حسن ابراهيم حسن ،مرجع سابق ،جـ ١ ،ص: ٥٢٣ .

يرى احمد شلبى ان تدخل الحكومات فى التعليم بدأ عندما اقترح القائمون بالأمر موضوعا معينا ليدرس أو عندما شهدت الحكومات معاهد تعليمية فعينت لها المدرسين وقطعت لهم الرواتب والأجور (١)

فعندما شيد العباسيون / دار الحكمة / فى بغداد عينوا لعدد من العلماء للترجمة والنسخ والاشراف ورتبوا لهم الأجور السخية عند ذلك أصبح للخلفاء الحق الكامل فى السيطرة على دار الحكمة وتوجيه أموره كما يريدون . (٢) .

يقول شلبى :—

" وعندما أنشأ نظام الملك مدرسة فى العالم الاسلامى سميت باسمه وعين المدرسين ودفع لهم الرواتب المنتظمه شهريا ، ورسم لهم أن يكافحوا المذهب الشيعى الذى كان قد انتشر فى العصر السابق وهو عهد البويهيين ، وأن يركزوا على تدريس مذهب أهل السنة ، وكان من تدخل الحكومة الواضح انها كانت تبعد كل مدرس يتعاطف مع الشيعة أو يعتنق مذهبهم " . (٣) .

وقد عمل كل حاكم فيما بعد على تحديد المذهب الفقهى الذى تسير عليه الدراسة فى المدارس التى يقوم بانشائها ، فقد فعل نور الدين زنكي فى الشام ، وصلاح الدين الأيوبى فى مصر ما فعله الوزير نظام الملك فى بغداد والمشرق الاسلامى . (٤)

—:————————

(١) احمد شلبى ، مرجع سابق ، ص: ٢١٣ .

(٢) نفس المرجع ، ص : ٢١٤ .

(٣) نفس المرجع ، ص: ٢١٥ .

(٤) نفس المرجع .

الفصل الرابع

مؤسسات التعليم فى المشرق الاسلامي

مؤسسات التعليم قبل انتشار المدارس النظامية

- الكتاتيب
- المساجد
- حوانيت الوراقين
- دور الكتب والمكتبات
- بيوت العلم والعلماء
- الزوايا والربط
- الدواوين
- البيمارستانات
- مؤسسات التعليم بعد انتشار المدارس
- نشأة المدارس
- المدارس النظامية وتخطيطها
- وظائف المدرسة النظامية
- أهم المدارس التى ظهرت فى القرن الخامس الهجرى

مؤسسات التعليم قبل انتشار المدارس النظاميه

لقد لازم التعليم فى الاسلام المؤسسات التربويه وذلك منذ نزول الوحي على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم حيث دار الأرقم بن أبي الارقم وهى أول مؤسسه تربويه عرفت فى الاسلام، وكان المعلم بها رسول الله صلى الله عليه وسلم، يعلمهم آيات القرآن الكريم ويثبت عقيدة الايمان فى نفوسهم ويوضح أصولها .

ثم توالت بعد ذلك مؤسسات التعليم فى الاسلام آخذة فى التطور والازدهار عاملة على تلبية حاجات الزمان والمكان فنجد الكتّاب مؤسسة تربويه تقوم بتحفيظ القرآن الكريم وتعليم القراءة والكتابه ومبادىء العلوم الأخرى .

كما كانت المساجد من أهم مراكز التعليم فوجدت بها الحلقات التعليميه وأقيمت بها المكتبات الأولى فى الاسلام وفى عصور الازدهار كانت قصور الخلفاء والامراء ومنازل العلماء بمثابة مؤسسات تربويه ومراكز تعليميه، حيث كان طلاب العلم يقصدون صالوناتها الادبيه ومكتباتها الخاصه الزاخرة بأنفس الكتب ، وما لبثت المكتبات أن أصبحت كذلك مركزا هاما من مراكز التعليم فى الاسلام ، وقبلها واثناءها كانت حوانيت الوراقين تساهم فى تقديم الكتب للقراء وتعقد حولها الندوات والمناظرات، وفى مرحلة آخرى متأخرة قليلا كانت الربط والزوايا والبيمارستانات تمثل مراكز تعليميه آخرى ساهمت بدورها فى العمليه التربويه فى صدر الاسلام .

وكان ظهور المدارس النظاميه فى القرن الخامس الهجرى ثمرة كل تلك الجهود التى بذلت خلال القرون الاربعة السابقه

وستوضح الباحثه فى هذا الفصل مؤسسات التعليم فى المشرق الاسلامى فى القرن الخامس الهجـــرى .

الكتاتيب :

معنى الكتاب :

(الكتاب بالضم والتشديد والمكتب واحد ، والجمع الكتاتيب والمكاتب ، أي موضع الكتابه) (١) والكتاب عند القابسي :

" هو المكان الذى يتلقى فيه الصبيان العلم" (٢) .

اذاً كتّاب ومكتب كلمتان لمعنى واحد هو مكان تعلم الاطفال القراءة والكتابة ومبادىء المواد الأخرى ، ويبدو أن الكتاتيب ظلت قليلة الانتشار حتى نهاية القرن الأول ومما يؤيد ذلك ما ورد عن كتّاب ابي القاسم البلخي حيث كان يتعلم به ثلاثة آلاف تلميذ وكان فسيحا جدا لدرجة أن البلخي كان يركب حمارا ليمر به على التلاميذ ويشرف على تعليمهم . (٣)

ويفرق أحمد شلبي بين نوعين من الكتّاب يعتقد أنهما كانا موجودين فى فترة زمنيه واحده هما : الكتّاب الذى يعلم الاطفال القراءة والكتابة والحساب والنحو ، والكتّاب الذى يجرى فيه تعليم القرآن الكريم ومبادىء الدين الجديد ويسوق بعض الأدلة ليؤكد ما ذهب اليه . (٤) .

---

(١) محمد بن أبي بكر الرازى ، مختار الصحاح بيروت : دار الكتاب العربى ، ١٩٦٧م ، ص ٥٦٢ .

(٢) احمد فؤاد الاهواني ، التربيه فى الاسلام ، القاهرة : دار المعارف ١٩٨٠ م ص : ٦٣ .

(٣) أحمد شلبي التربيه الاسلاميه ط ٧ القاهرة : مكتبة النهضة ، ١٩٨٧م . ص: ٥٣ — ٥٤ .

(٤) نفس المرجع ، ص : ٥٤ .

وقبل ذلك بسنوات لاحظ محمد اسعد طلسى ذلك فجعل الكتاتيب نوعين أولهما :

يتعلم فيه الاطفال القراءة والكتابة ويحفظون القرآن ومبادىء الدين وأوليات الحساب، وثانيهما كان لتعليم الاطفال والشبان علوم اللغة والآداب،(١)

أما أحمد امين فقد ظهر له أنه لم تكن هناك مراحل معينه للتعليم وانما هناك مرحلة واحدة تبتدىء بالكتاب أو المعلمين الخاصين وتنتهى فى حلقه له بالمسجد . (٢) .

فى ضوء ما تقدم يمكننا القول :

كانت الكتاتيب فى القرنيين الاول والثانى للهجره من النوع الذى يتعلم فيه الصبيان القرآن الكريم حفظا الى جانب تعليمهم مبادىء القراءة والكتابة ،أما فى القرون التاليه فقد اصبحت الدولة أشد اهتماما بأمور التعليم ،ومع توسع رقعة الدولة الاسلاميه ونماذج الثقافات العربية والفارسية واليونانية والهندية ونشاط حركة التأليف والترجمه فقد أصبحت الحاجة ملحة جدا بأن يتلقى الطالب فى تلك الكتاتيب شيئا من العلوم الدينيه كالفقه والتفسير وعلوم الحديث الى جانب الحساب والتاريخ فظهرت تلك الكتاتيب العمليه كظاهرة متطوره عن الكتاتيب القرآنيه التى سادت فى أول الأمر ولتكون تمهيدا لنشأة المدارس فيما بعد .

---

(١) محمد اسعد طلسى التربيه والتعليم فى الاسلام، الطبعة الاولى .بيروت دار العلم للملايين ، ١٩٥٧م ،ص : ٧٠ .

(٢) احمد امين ،ضحى الاسلام، ط ٨ ، ،الجزء الثانى ،القاهرة :مكتبة النهضة المصريه ، ١٩٧٤م ،ص : ٦٦ .

وقد انتشرت الكتاتيب بكثرة على أثر الفتوحات الاسلامية وذلك عن طريق المسلمين الاوائل من أهل الحجاز والشام والعراق ومصر والذين انتقلوا الى الديار المفتوحة فى خراسان والمشرق والمغرب حيث عن طريقها كان يتعلم ابناء هؤلاء المسلمين وكذلك أبناء تلك الديار المفتوحة القرآن الكريم فكانت بكثرة فى البصرة والكوفة والفسطاط والقيروان ودمشق وحلب والاسكندرية وغيرها من المواصم الاسلامية. (١)

"وقد ازداد عدد الكتاتيب وعدد المعلمين فى القرن الثانى الهجرى وماتلاه من قرون، وكانت زيادة سريعة وضخمة حتى أصبح بكل قرية كتاب بل ربما وجد فيها أكثر من كتاب، وقد يعمل فى الكتاب الواحد اكثر من معلم واحد". (٢)

ولايوجد هناك اختلافات كبيرة بين الكتاتيب فى المشرق الاسلامى من حيث مكان الكتاب واهدافه التربوية وطريقة التعليم فيه والشروط الواجب توافرها لدى معلمى الكتاتيب، ويشير الى هذا الصدد أحمد فؤاد الاهوانى بقوله :-

"فانك قد تدخل الكتاتيب فى القرن الرابع الهجرى فلا تجد فيها فارقا عن الكتاتيب فى القرن الرابع الهجرى الا فى أمور شكلية". (٣)

---

(١) محمد اسعد طلس، مرجع سابق، ص ٤٦-٤٨.

(٢) احمد شلبى، مرجع سابق، ص ٥٥.

(٣) احمد فؤاد الاهوانى، مرجع سابق، ص ٩٦.

مكان الكتاب :-

وجد الكتاب القرآني أول ما وجد فى المسجد فكان المعلمون يتخذون لهم زوايا فى المسجد نفسه لتعليم الصبيان ولكن الكتاتيب ما لبثت ان استقلت عن المساجد لان بعض الفقهاء منع تعليم الصبيان فى المسجد لانهم لايتحفظون من النجاسة، ومن أسباب المنع أيضا ما كان يحدثه الاطفال من عبث ببناء المساجد وربما اصواتهم مصدر ازعاج وقلق للمصلين، فلذلك افتى الفقهاء بأن يكون هناك مكان خاص بتعليم الصبيان . (١) .

أما أثاث الكتاب فكان يفرش بالحصر غالبا وكان يجلس عليها الصبيان متربعين حول معلمهم، وكانت أدوات الدراسة لاتتجاوز المصحف الشريف وعدة من الألواح يكتب عليها الصبيان وكذلك عدد من الدوى والاقلام . (٢) .

الاهداف التربوية للكتاب :-

يبدو أن الكتاتيب التى وجدت فى صدر الاسلام كانت يتعلم فيها الطفل أوليات القراءة، ويحفظ القرآن كله أو بعضه، فلما انتظمت شئون الدوله الاسلاميه فى عهد بنى اميه عني الناس عناية شديدة بهذه الكتاتيب لتخريج طبقة من الكتاب ومستخدمي الدوله وعمالها، ولم يكد يطل القرن الثانى حتى كانت هذه الكتاتيب قد انتظمت شئونها وصار لها برامج تطبق . (٣) .

---

(١) احمد شلبى، مرجع سابق، ص: ٥٣ .

(٢) حسن عبد العال، التربية الاسلاميه فى القرن الرابع، ط١، القاهره : دار الفكر العربى، د . ت، ص : ١٨٦ .

(٣) محمد اسعد طلس، مرجع سابق، ص: ٧٩ .

وقد اخذ الكتّاب منزلةهامة وكبيرة عند المسلمين فهـو المكان الاول لتعليم القرآن الكريم وحفظه ،فلا تخفى أهمية تحفيظه في الاسلام، فهو من الامور الهامة جدا فى الاسلام بل وفى مقدمتها . (١)وكان منهج الكتّاب مبنيا اساسا على القرآن الكريم فصار القرآن اساس التعليم ومحوره . (٢).

ويمكن تلخيص اغراض التعليم فى الكتاب فى غرضين اساسيين : غرض علمي ويرمى الى تزويد الصبي باستظهار القرآن الكريم وما يتبع ذلك من تعليم القراءة والكتابة ،وغرض خلقي أبرزه ما جـاء بالقرآن الكريم والسنة المطهرة من الحض على حسن الخلق . (٣).

والتربية الاسلاميه تهدف الى تربية العقل والنفس معا جنبا الى جنب ،وهذا ما كان يحققه الكتّاب ،فالطفل يحفظ القرآن ويؤدى صلاة الجماعة فى اوقاتها ،وتكون حصيلة ذلك تكوين الشخصية الدينية المطبوعة على ذكر الله ، وكان الصبي بعد ذهابه الى الكتاب يصلح لامامة الناس فى الصلاة بالاضافة الى ما تعلمه من الفروض والنوافل وذلك نتيجة الحريه التى أسنها له الكتاب والتى ساهمت فى تنمية مواهبه وقدراته وقوة شخصيته كمسلم يبدأ بالتعامل مع العامه فيتقدموا له ليكتب لهم الرسائل ،ثم يصل بعض الصبيان الى اعلى مراتب العلمـاء . (٤).

—:—————————

(١) محمد عطيه الابراشى ،التربيه الاسلاميه وفلاسفتها ، ط ٣ القاهرة مطابع عيسى البابى الحلبى ،ص: ٧٣ .

(٢) عبد الرحمن بن خلدون ، مرجع سابق ،ص: ٥٣٧ — ٥٣٩ .

(٣) سعيد اسماعيل على ،معاهد التعليم الاسلامى ،القاهرة: دار الثقافه ١٩٧٨م ،ص ٨١ .

(٤) أحمد فؤاد الاهوانى ،مرجع سابق ،ص: ١٩٥ .

طريقة التعليم فى الكتاب :

كان بدء اليوم الدراسى فى الكتاتيب هو شروق الشمس وذلك حسب الفصول وآذان العصر نهايته، فكان اليوم الدراسى يطول ويقصر .

ويعرض القابسي فى رسالته "أحوال المتعلمين واحكام المعلمين والمتعلمين" بشىء من التفصيل طريقة التدريس بالكتاب على النحو الآتى :ـ

يبدأ الصبى نهاره، وفى وقت مبكر من صباح ذلك النهار حتى الضحى بدراسة القرآن الكريم، ومن الضحى حتى الظهر يتعلم الكتابة، ثم ينصرف الى بيته لتناول غذاءه، ويعود بعد صلاة الظهر لدراسة بقية العلوم كالنحو والعربيه والشعر وأيام العرب من بعد الظهر الى آخر النهار، وكانت استراحة الاطفال نصف يوم الخميس وطوال يوم الجمعه هذا بالاضافة الى ايام عيد الفطر وأيام عيد الأضحى الخمسه . (١)

وكانت مدة بقاء الطفل فى الكتاب خمسة أعوام أو ستة على الاكثر وتكون غالبا ابتداء من السنة الخامسة أو السادسة من عمره الى السنه العاشرة أو الحادية عشرة، ويحفظ الطفل خلالها القرآن الكريم كله أو بعضه عن ظهر قلب رواية واتقانا، ويتقن الكتابة والخط، ويلم بمبادىء العربيه، ومبادىء الحساب الأوليه، فاذا أتم الطفل مدة الدراسة فى الكتاب وحفظ القرآن أو رواه أمتحنه المعلم لمعرفة ذلك والتأكد منه . (٢) .

---

(١) على الجمبلاطي وابو الفتوح التونسى دراسات مقارنة فى التربيه الاسلاميه ط ١، القاهرة : مكتبة الانجلو، د . ت، ص ٧٤ .

(٢) حسن عبد العال مرجع سابق ص ١١٥ — ١١٦ .

وقد تختلف طريقة التعليم ومنهج التعليم باختلاف الأمكنة وقد أوضح ابن خلدون ذلك فى فصل عقده بمقدمته بعنوان "تعليم الولدان واختلاف مذاهب الامصار الاسلاميه فى طرقه" يمكن تلخيصه فيما يلى :—

١ ـ القرآن الكريم اصل التعليم ومحوره.

٢ ـ يقتصر اهل المغرب فى تعليم أولادهم على تعليم القرآن فقط مع العناية برسمه .

٣ ـ لا يقتصر اهل الاندلس على القرآن بل يخلطون فى تعليمهم للولدان رواية الشعر والترسل والنحو والخط .

٤ ـ يخلط اهل افريقيا فى تعليم أولادهم القرآن ، بالحديث ويدرسون العلوم الدينية أيضا .

٥ ـ واهل المشرق يخلطون فى التعليم كذلك أى عنايتهم بدراسة القرآن وصحف العلم وقوانينه فى زمن الشبيبة . (١)

ونخلص مما تقدم أن الاصل فى التعليم فى كل العالم الاسلامى بداخل الكتاتيب واحد وهو تعليم القرآن الكريم ، وأن هناك اختلافات تتمثل فى المواد التى تدرس بجانب القرآن الكريم ، فهذه اختلافات شكلية وليس جوهرية فى طريقة التعليم ومنهج التعليم بالنسبة للامصار الاسلامية عامة .

---

(١) ابن خلدون ، مرجع سابق ، الفصل الواحد والثلاثون ، ص: ٥٣٧ — ٥٤٠ .

الشروط الواجب توافرها فى معلم الكتّاب :

لا يملك معلم الكتّاب ثقافة واسعة او تعليم راق ، فهو حافظ للقرآن ملما بالقراءة والكتابة ، واتخاذه مهنة التعليم بهدف التكسب وتحصيل القوت ، فلم يقم بذلك فى الغالب حبا للعلم ونشره أو ابتغاء مرضاة الله ، فنظر الناس اليه نظرة احتقار وضربوا حوله الامثال فقالوا أحمق من معلم كتّاب. (١) فشخصية معلم الكتاب لم تصل الى مرتبة الأدباء والشعراء والنحاة والفقهاء ولكن ذلك لم ينطبق على كل معلمي الكتّاب فلكل قاعدة شواذ فلقد ارتقى الحجاج بن يوسف الثقفى من معلم كتّاب الى حاكم من اشهر حكام عصره بحسن سياسته وتفهمه للأمور وبعد نظره (٢)

وكان من أهم الشروط الواجب توافرها فى معلم الكتّاب ان يكون حافظا للقرآن الكريم ، عالما بأمور دينه ، ملما بالقراءة والكتابه والنحو ، وان يكون عارفا شيئا من العلوم الأخرى كالحساب واللغة والادب كما يجب ان يكون المعلم تقيا ورعا ، قائما بفروض دينه ، مشهودا له بالخلق الكريم ، وان يكون رفيقا بالصبيان رحيما بهم وان يسوى فى المعاملة بينهم . (٣)

وقد قسم معظم الباحثين المعلمين الى ثلاث فئات :

١ - معلمي الكتاتيب .
٢ - المؤدبين .
٣ - المعلمين فى المساجد .

---

(١) سعيد اسماعيل على ، مرجع سابق ، ص: ٨٨ .
(٢) على الجمبلاطي وابو الفتوح التونسى ، مرجع سابق ، ص: ٨٢ .
(٣) محمد اسعد طلسي ، مرجع سابق ، ص ٧٠ — ٧٤ محمد عطيه الابراشي مرجع سابق ، ص ١٣٦ — ١٣٩ .

وجعلوا معلمى الكتاتيب فى المنزلة الدنيا معتمدين فى ذلك على بعض القصص التى أوردها بعض الكتاب والأدباء والتى تسىء الى معلمي الكتاتيب. (١)

وقد كتب القابسي من علماء القرن الرابع الهجرى (٣٢٤ — ٤٠٣ هـ) رسالة تبحث فى المعلمين والمتعلمين سبق فيها كثيرا من علماء التربيه المعاصرين فى الشرق وفى الغرب فقد قرر القابسي ان التعليم حق لكل صبي وواجب على الدولة وهى مكلفة — اذا لم يكن اهله قادرين على الانفاق عليه — ان تنفق عليه من بيت مال المسلمين ،وترجع أهمية رسالةالقابسي بأنها سجل دقيق وحافل لكل ما يتعلق بشئون تعليم الصبيان فى كتاتيب القرن الرابع ، وأهم ما فى هذه الرسالة قول القابسي بالزامية التعليم ،وحريته ،والمساواة والديمقراطية فيه ،ورأيه بأن يأخذ المعلم أجرا لانقطاعه الى مهنته،مخالفا بذلك رأى الغزالي الذى كان ينصح بالتعفف فى اخذ أجر على التعليم. (٢)

كما يشير القابسي فى رسالته الى أهمية منح التلاميذ مزيدا من الحريه العلميه والحريه الدينيه فقد أجاز أن يؤم الصبى الذى بلغ سن الاحتلام فى الصلاة غيره،وقد أراد من ذلك أن يتدرج الصبي على معرفة صلاة الجماعه .

فلقد احترم الكتاب شخصية الصبيان فى منحهم الحرية المقرونه بتحمل المسئولية فى سبيل الصالح العام فهذه هي الديمقراطية فى التعليم . (٣)

-:———————

(١) احمد شلبى ،مرجع سابق ،ص.ص: ٢٢٠ — ٢٢٣ .

(٢) على الجمبلاطي وابو الفتوح التونسي ،مرجع سابق ،ص: ٨٤-٨٧.

(٣) نفس المرجع ص ٨١ .

المســـــاجد :ـــ

لقد ارتبط تاريخ الأمة الاسلامية بالمسجد ارتباطـــــا وثيقا ذلك أن الاسلام لم يقصر رسالة المسجد على أداءالصلاة فحسب،بل أراد الرسول صلى الله عليه وسلم ان يكون للمســـجد دورا ايجابيا واهدافا سامية تخدم المجتمع الاسلامي فبالاضافـــة الى أداء الصلاة فهو مكان التلاوة ومعهد العلم ومجلس القضـاء وملتقى التعاون والتكامل ومكان الرأى والمشـــورة. (١)

ويكاد يجمع الباحثون على ان المسجد كان أعظم وأهـــم مركز من مراكز التربيه والتعليم فى الاسلام ،ولقد لعبت المساجـد دورا تربويا هاما فى أول الدعوة الاسلاميه،وكان المسجد مركـــزا للحياة السياسية والاجتماعية والثقافية والدينية وكانت المساجـــد تقوم بوظائف متعددة من أهمها ما يلى :ـــ

فضلا عن أنها أماكن للعباده فهي عبارة عن مراكـــز تربوية وثقافية هامة تعقد فيها الحلقات الدراسية لتدارس القـــرآن الكريم والفقه واللغة ،وكذلك اقيم فيها تعليم اصول الدين واللغـة والأدب للناشئة من الاطفال بالاضافة الى انها مكانا لفضالقضايـا من قبل القضاة الذين كانوا يجتمعون فيها لذلك،وكانت مراكـــز اداريه تدار من داخلها شئون الدولة ،ومنها تجهيز الجـــيوش للحروب والغزوات،علاوة على انها مركز اعلاميا يختص باذاعـــــة الاخبار الهامـه المتعلقه بمصالح الأمة الاسلامية. (٢)

---

(١) على محمد مختار : دور المسجد فى الاسلام ط ١ مكه : مطبوعـــات رابطة العالم الاسلامى ،١٤٠٢ هـ ،ص ٤٧ .

(٢) محمد منير مرسى: التربيه الاسلاميه،ط ٢ القاهرة: دار المعـــــارف ١٩٨٦م ،ص ١٩٩ — ٢٠٠ .

وكان بناء المسجد من أول الاعمال التى قام بها رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هجرته الى المدينه، وقد حث الله تعالى رسوله على بناء المساجد بقوله تعالى :—

"إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ". (١)

وعندما هاجر الرسول صلوات الله عليه وسلامه الى المدينة المنورة أقام وهو فى طريقه اليها بقباء ليؤسس أول مسجد فى الاسلام، وقد نزلت فيه الآية الكريمة :—

" لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ، فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا " (٢)

ويروى البلاذرى ان هذا المسجد اسسه الذين هاجروا الى المدينه قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم. (٣)

ثم أنه صلى الله عليه وسلم لما دخل المدينة المنورة بنى مسجده بالمربد، وعمل فيه بنفسه، ليشجع المهاجرين والأنصار على النشاط والسرعة فى العمل. (٤)

لقد أصبح المسجد النبوى فى المدينة المنورة المكان الذى يجلس فيه الرسول صلى الله عليه وسلم ليعلم ويوجه ويحدث صحابته رضوان الله عليهم.

—:—

(١) سورة التوبة، آية (١٨).

(٢) سورة التوبة آية (١٠٨).

(٣) ابو الحسن البلاذرى، مرجع سابق ص ١٧ .

(٤) عبد السلام هارون : تهذيب سيرة ابن هشام بيروت: المجمع العربى الاسلامى . د. ت، ص: ١١٤ — ١١٥ .

"وكان هذا المسجد أعظم معاهد الثقافة لدراسة القرآن والحديث والفقه واللغة، وانصرف بعض فقراء المسلمين لطلب العلم فيه حيث بنى الرسول صلى الله عليه وسلم الصفة فيه وهى مكان مظلل شمالى المسجد يأوى اليه الفقراء من المسلمين الذين حبسوا أنفسهم لطلب العلم". (١)

وكثرت بعد ذلك المساجد وزاد انتشارها بتوسع الاسلام، واصبح من المتبع أن يبنى مسجدا وأكثر فى كل مكان فتحه المسلمون أو فى كل قرية أو مدينة اسسوها، وبمرور الزمن زاد عدد المساجد زيادة كبيرة مطردة، وبخاصة فى العاصمة العباسية بغداد، فما ان جاء القرن الثالث الهجرى حتى كانت بغداد تغص بالمساجد، ولم يختلف الحال عنه فى مصر، كان أول مسجد فى القاهرة وهو جامع عمرو بن العاص الذى بناه عقب فتح مصر وعام ٢٦٥ هـ أسس احمد بن طولون جامعه بالقطاع، وفى سنة ٣٦٠هـ بنى جوهر الصقلى الجامع الازهر ليكون جامعة من الجامعات الاولى فى العالم الاسلامى. (٢)

طريقة التعليم فى المساجد

كان النظام المتبع فى حلقات العلم التى كانت تعقد فى المساجد ان يجلس المعلم على خشبة صغيرة أو كرسى من

---

(١) حسن ابراهيم حسن، مرجع سابق، ص ٤٢١.

(٢) احمد شلبى، مرجع سابق، ص ١٠٤-١٠٥.

جـريد أو خشب والطلبة حوله على شكل حلقه بترتيب معـين وكان الطلاب يحرصون كل الحرص على الجلوس قريبا من المعلم ولكنهم لا يتعدون المكان الذى هم أهل له ،ويبدأ المعلم درسه بالبسملة وبحمد الله تعالى والصلاة والسلام على رسول اللـه وصحبه الكرام ،ثم يتلو بعض آيات الذكر الحكيم أو بعض احاديث الرسول صلى الله عليه وسلم التى تحث على طلب العلم والتواضع فى طلبه ،ويبدأ بعد هذا التقديم بدرسـه .

وكان من حق الطالب ان يسأل عما خفي عليه،ولكـن الاسئلة كانت تخضع لآداب خاصة متعارف عليها كأن يختار الوقت المناسب للسؤال وألا يقاطع معلمه وهو يتكلم أو زميله وهـو يسـأل .(١)

وعلى ذلك فان تاريخ التربية الاسلامية ارتبط ارتباطـا وثيقا بالمسجد منذ فجر الاسلام ،وقد يرى ان سبب ذلك يرجـع الى عهد الدراسات فى سنوات الاسلام الاولى القائمة على كونهـا دراسات دينيه تنشر تعاليم الدين الجديد وتوضح أحكامـه مما جعل المسجد مركزا ثقافيا ، والمسجد يكفل لكل فرد الاستماع لأى درس من الدروس ما دامت لديه رغبة فى العلم دون قـيد أو شرط ،فيوازى فى ذلك الدخول لأداء الصلاة سواء بسـواء ولم تكن هناك شروط خاصة بالسن أو الجنس أو المؤهلات،ورغـم التطورات التى وجدت فى بنية المجتمع الاسلامى الا ان المسجـد ظل يحتفظ بخصائصه المميزه له كالحريه فى اختيار المواد الدراسيه

—:————————

(١) محمد منير مرسي ،ص ٢٠٣ — ٢٠٤ .

وفى اختيار المدارس والتحرير من المؤثرات الماديه.(١)

---

(١) سعد اسماعيل على ،دراسات فى التربية الاسلامية، ط ١

القاهرة ،عالم الكتب، ١٩٨٢م ،ص ٢٦٨ - ٢٦٩.

مكتبـــــات المســـــاجد .

ولقد عني المسلمون بتكوين المكتبات ويظهر ان عنايتهم بمكتبات المساجد كان منذ القرن الاول الاسلامى حيث جرت العادة فى العصور الاسلاميه ان يقوم الناس بأيداع نسخ من القرآن الكريم وكتب التفسير والحديث والفقه والعقيدة فى المساجد بهدف الاستفادة منها كل من يرود المساجد للصلاة او الدرس أو الاطلاع وقد تكون هذه المكتبات ملحقة بالمسجد او فى مكان مستقل قريب منه ،ثم انتشرت هذه المكتبات فى مساجد بغداد والشام والأندلس ومصر . (١)

الحلقات العلميه فى بعض المساجد الاسلاميه

— المسجد الحرام :

بعد فتح مكه خلف الرسول صلى الله عليه وسلم معاذا يفقه أهلها ويعلمهم الحلال والحرام ويقرئهم القرآن وكان كل ذلك يتم بطبيعة الحال بالمسجد الحرام .

---

(١) عبد اللطيف بن دهيش ،نشئة المكتبة وتطورها ،مجلة العرب الرياض ،العدد ٧ — ٨ ، ١٤٠٧هـ ،ص: ٤٨٧ .

وفى اواخر العهد الاموي جاء عبد الله بن عباس الى مكه فاتخذ مقعده فى دار زمزم على يسار الداخل اليها يذيع معارفه وينشر علومه ، وما لبثت حلقة ابن العباس فى المسجد الحرام ان اتسعت وهرع اليها الظامئون الى مناهل العلم يرتشوون منها .

فكانت حركة قوية تركت اثرها فى جموع الدارسين الموزعين فى افناء المسجد ،واشهر من تخرج من هذه المدرسه مجاهد بن جبير وعطاء بن رباح . (١)

وفى العهد العباسى نجد ان كلا من عمر بن دينار وعبد الله ابن نجيح وعبد الملك بن عبد العزيز قد اتخذ لنفسه مجلسا فى المسجد الحرام وأحاطه طلبته فى حلقة العلم ولا يلبث أن تزدحم أفنيه المسجد الحرام بأقران هذه الطبقة من الفقهاء والمحدثين . (٢)

وكان الاتصال قائما بين طلاب المعرفة فى المسجد الحرام وبين الامام مالك بن أنس فى المدينه المنورة الذين آخذوا يروون عنه مما أكسب حلقات العلم ثراء وغنى فى المعرفة ،ويبدوا ان حلقات العلم كانت تغص بالطلاب فى الفرق الاسلامية الثلاث الاولى من تلاميذ الجيل السابق بالاضافة الى اصحاب مالك والشافعى ثم اصحاب احمد ابن حنبل ثم بدأ اعلام الحرم يتوزعوا فى الامصار وكانت نتيجة ذلك ان ضعف النشاط العلمى وقد وضح ذلك الضعف جليا فى بداية القرن الرابع الهجرى . (٣)

———————— :—

(١) احمد السباعي ،مرجع سابق ص: ١٠٢ — ١٠٣ .

(٢) المرجع السابق ص: ١٣٣ .

(٣) نفس المرجع ص: ١٦٤ — ١٦٥ .

المسجد النبوى بالمدينه المنوره .

اذا كان من الممكن القول بأن المساجد هي رموز الجماعات الاسلاميه ومراكزها فان هذا يتجلى بكل وضوح فى انشاء مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم فى المدينه المنوره الذى كان بالفعل مركز ادارة شئون الامة الاسلامية من مختلف الجوانب .

" فمن فوق منبر هذا المسجد أعلن عمر تقهقر جيوش المسلمين فى البداية فى العراق واستحث قومه على السير الى هذه البلاد، ومن على المنبر نفسه وقف عثمان ابن عفان يدافع عن نفسه كخليفة يلقى بعد بيعته من فوق هذا المنبر خطبته الاولى هى بمثابة بيان لسياسة حكومتة ." (١) .

ولا شك فى أن المنزلة الكبيرة التى احتلتها المدينه المنورة فى صدر الاسلام كانت من العوامل المساعدة التى جعلت العديد من العلماء يقيمون فيها ويعقدون مجالس العلم فى مسجدها ، وكان ربيعه الرأى يجلس فى المسجد وحوله اشراف المدينه يأخذون عنه الليث بن سعد ويحى بن سعيد القطان ، واشهر تلاميذه مالك بن أنس. (٢)

جامع المنصور ببغداد :

" بناه الخليفة العباسي ابو جعفر المنصور عندما بدأ عام

---

(١) حسن ابراهيم حسن مرجع سابق جـ١ ص: ٥٢٤ .

(٢) سعيد اسماعيل على معاهد التعليم الاسلامي ، مرجع سابق ص: ١١٢ — ١١٣ .

١٤٥ هـ بانشاء العاصمة الجديدة بغداد.وقد كان جامع المنصور علما بارزا يكتظ بالأساتذه والطلاب ويحتل مكانه سامية فى نفوسهم بدليل انّ الخطيب البغدادى عندما حج شرب من ماء زمزم ودعى الله ان يحقق له ثلاث حاجات من بينها ان يملي الحديث بجامع المنصور،وقد تحقق له ذلك ،وقد عرّض هذا الشيخ للأيذاء من قبل الحنابله فى النصف الثاني للقرن الخامس الهجرى حيث كانت لهم السيطرة على هذا الجامع . (١)

الجامع الأموى فى دمشق

ويسمى كذلك مسجد دمشق ويضرب به المثل فى جماله وحسن نظامه ،وقد زاره ابن جبير سنة ٥٨٠ هـ ووصف هذا المسجد وصفا مستفيضا (٢) . وقد كان ذلك المسجد مركزا هاما من مراكز الثقافة الاسلامية فيه حلقات للتدريس للطلبه وللمدرسين فيها اجراء واسع. وفى الجامع عدة زوايا يتخذها الطلبه للنسخ والدرس والانفراد عن ازدحام الناس . (٣)

---

(١) احمد شلبي ،مرجع سابق ص: ١٠٦ .

(٢) ابن جبير ،الرحلـه ،ص ٢١١ .

(٣) نفس المرجع ،ص : ٢٢٠ .

مسـجد الجامـع الأزهـر :-

بعد ان دخل الجيش الفاطمي مصر بقيادة جوهر الصقلي عام ٣٥٨ هـ واقيمت مدينة القاهرة العاصمة الجديدة للدوله الفاطمية بدئ في انشاء جامع بها سنة ٣٥٩ هـ وانتهى العمل به وانفتح للصلاة في يوم الجمعة السابع من رمضان سنة ٣٦١هـ (١).

وفي أواخر عهد المعز لدين الله الفاطمي جلس قاضي القضاة ابو الحسن علي بن النعمان في شهر صفر سنة ٣٦٥هـ بالجامع الازهر وقرأ مختصر ابيه في فقه آل البيت في جمع حافل من العلماء فكانت هذه أول حلقه للدرس تعقد في الجامع الازهر لتتوالى بعد ذلك الحلقات العلمية، لكن وزيرا من وزراء الدولة الفاطمية هو ابن كلس كان اول من فكر في اتخاذ الجامع معهدا للدراسة المنتظمة المستقرة ففي سنة ٣٧٨ هـ استأذن ابن كلس الخليفة العزيز بالله في ان يعين بالازهر جماعة من الفقهاء للقراءة والدرس يحضرون مجلسه ويلازمونه ويعقدون مجالسهم بالازهر في كل جمعة من بعد الصلاة حتى العصر، وكان عددهم سبعة وثلاثين فقيها.

ولم يقف النشاط العلمي في هذا المسجد او المعهد عند هذا الحد بل اطرد تقدمه وتنوعت موضوعاته وكثرت فنونه وعلومه حتى أصبح الازهر جامعة بكل معنى الكلمة . (٢)

---

(١) سعيد اسماعيل على معاهد التعليم الاسلامي مرجع سابق ص: ١١٣

(٢) المرجع السابق ، ص: ١١٥ – ١١٦.

حوانيت الوراقين :-

ظهرت دكاكين بيع الكتب منذ مطلع الدولة العباسية ثم انتشرت بسرعة انتشارا ملحوظا فى العواصم والبلدان المختلفة بالعالم الاسلامي ، (١) وباتساع الحركة العلمية ونشاط الترجمة وتشجيع الخلفاء العباسيين للتأليف والكتابة ونقل العلوم والآداب عن الامم المغلوبة قويت رغبة الناس فى القراءة ،فكان لابد من توافر الكتب لهم فنشأت صناعة الوراقه ،وقامت اسواق الوراقين واصبحت فى بغداد اسواق للوراقين يفد اليها الناس للاطلاع ،وكانت تعقد فى دكاكين الوراقين أو حولها المناظرات والمناقشات يشترك فيها الوراقون انفسهم ،فقد كانوا على حظ من الثقافة والاطلاع وكانوا يحرصون على اجتذاب العلماء الى حوانيتهم (٢) ، وقد كان لدكاكين الوراقين اثر عظيم فى التكوين العلمي لعدد غير قليل من مفكرى الاسلام وعلمائه ،ومما يرفع شأنها ويبرز أثرها التربوى بُعدها عن شوائب التعصب التى شابت عديدا من المؤسسات التعليميه الأخرى ،ومن أهم ما يمكن ذكره لدكاكين الوراقين تمثيلها الصادق للحياة الاجتماعية فى دول الاسلام فهي فى بعض جهاتها

-: ________________

(١) احمد شلبي ،مرجع سابق ،ص : ٦٣ .

(٢) نفس المرجع .

صورة من حركاتها العلميه والأدبية ، وفى جهة اخرى منها صورة من نزعاتها الدينيه ،ومن جهة ثالثة صورة من حياتها العلميه اليوميه . (١)

ولم تكن مهنة الوراقة في عهد الدولة العباسية تقف عند بيع الكتب وانما كانت تتعدى ذلك الى مهام ثقافية عظيمة، فقد كان الوراقون الذين ينسخون الكتب الهامة ويعرضونها للراغبين فيها ويتقاضون على ذلك أجرا متواضعا متوسطه دينارا على كل كتاب وكان الجاحظ يستأجر بعض دكاكين الوراقين ويبيت فيها للاطلاع على بعض الكتب ،كما كان ياقوت الحموى يتاجر فى الكتب ويزور اسواق الوراقين ليعرفهم تجارته . (٢)

ويبدو لنا ان الفقراء من المثقفين كانوا يترددون على دكاكين الوراقين للمطالعة والاستفادة العلميه مقابل مبلغ بسيط من المال يدفعونه نظير ذلك ،فاذا كانت المكتبات الخاصة قد بدأت تظهر فى القصور وبيوت العلماء فان دكاكين الوراقين كانت تمثل نوعا من المكتبات العامه التى تفتح أبوابها لكل الناس ،وقد كان لهذه الحوانيت المتواضعة التى انتشرت فى بغداد ودمشق والقاهرة وحلب ،دور عظيم وبارز فى تنشيط الثقافة الاسلامية وازدهارها على مر العصور .

———————— :—

(١) سعيد اسماعيل على ،معاهد التعليم الاسلامى ،مرجع سابق ص : ٢٦٦ — ٢٧٠ .

(٢) احمد شلبى ،مرجع سابق ،ص : ٦٥ .

دور الكتب والمكتبات :ـــ

وللمكتبة فى الاسلام مهمة جليلة وغاية دينية كبيرة وعظيمة فهى مرجعا للتراث الاسلامي الفكري والعلمي . فقد كانت مكتبات المساجد أول المكتبات التى نشأت وذلك منذ أن اتخذ المسلمون المسجد مكانا للدراسة فى البلدان الاسلامية حيث درست فيه العلوم الاسلاميه وللمكتبات فى الاسلام ميزات متعدده منها :ـــ

ميزتها التعليميه التربويه ،فقد كانت المكتبة مركزا مهما للتربية والتعليم وقد اعتبرت احدى مؤسسات التعليم التى ظهرت فى الاسلام وقد الحقت بكل مدرسة بنيت فى الاسلام مكتبة خاصة بها . وكذلك للمكتبة ميزتها العلمية الممثلة فى أنها مركزا للبحث والدرس والتمحيص ودليلنا على ذلك ما كانت عليه دار الحكمة فى بغداد والتى اختصت بالبحث والدراسة .

واما عن ميزتها الاجتماعية فنجدها ميزة بارزه ممثلة فى اجتماع اهل البلدة لممارسة حياة اجتماعية راقية كما حدث فى مكتبة البصرة التى وضعها الحريري فى مقاماته فكانت منتدى المتأدبين ومجمع الفائبين والقادمين (١)

———————— :ـــ

(١) محمد ماهر حماده : المكتبات فى الاسلام، ط ١ بيروت، مؤسسة الرسالة ، ١٣٩٠ هـ ، ص ٢٠٨ — ٢٠٩ .

والى جانب مكتبات المساجد والمكتبات العامة الملحقة في المدارس وجد نوع آخر من المكتبات وهو نوع المكتبة الخاصة وقد وجدت في بيوت الصحابة والتابعين ثم الخلفاء والامراء والوزراء والعلماء ،كما تنافس هوءلاء على انشاء المكتبات في المساجد والقصور والبيوت وفي المدارس والأربطة وتم تعين العلماء للاشراف عليها والمحافظة على كتبها وتزويدها بكل جديد مفيد وقد رصدت لذلك الاموال الطائلة ومن هذه المكتبات خزانة المدرسة النظامية ببغداد وقبل ذلك بكثير اسس الخليفة المنصور حيث وضع نواة اكبر مكتبة عامة اطلق عليها اسم دار الحكمة والتي تتطور فيما بعد لتصبح مكتبة اسلامية عامة في تلك الفترة . (١)

وقد بلغت المكتبات الاسلامية في العصر العباسي درجة عالية من الرقي في تنظيمها وترتيبها ودقة فهارسها فلم تخل مكتبة ذات شأن، سواء كانت عامة أو خاصة من فهرس يرجع اليه لسهولة استعمال الكتب وكان للمكتبات العامة موظفون متفرغون للعمل بها وعلى رأسهم الخازن امين المكتبة الذي يشرف على المكتبة من الناحية العلمية والناحية الادارية ،والمترجمون الذين يقومون

---

(١) عبداللطيف بن دهيش ،المرجع السابق ،ص٤٩٣-٤٩٤ .

بترجمة الكتب المنقولة عن الأمم المجاورة، والنساخ الذين يكتبون مايصل الى المكتبة من كتب حديدة ويمدون المكتبة بكل جديد وطريف، والمجلدون الذين يعنون بتجليد الكتب، والمناولون الذين يرشدون القراء الى مواضع الكتب على الرفوف. (١)

ونستطيع أن نقول :

ان التوجيه الاسلامي الصحيح قد وجه الأمة الاسلامية الى النور والحضارة التى يحث عليها ذلك الدين الحنيف تلك الحضارة التى غرست بذور القوة والوحدة التى ثم اثناءها التفاعل الحضارى. فعندما حدث التمزق والانقسام السياسى فى ديار الاسلام لم يرافقه ضعف حضارى بل حدث العكس فقد بلغت الامة الاسلامية أوج حضارتها وعزها عندما ضعفت سياسيا. فقد بقى التبادل الثقافى والاقتصادى - حرا دون قيد أو شرط - وذلك فى المشرق والاندلس وشمال افريقيا. بل كانت هناك كبرى مراكز الحضارة الاسلامية كبخارى وشيراز والرى وبغداد وحلب ودمشق وقرطبة، هذا بالاضافة لوجود حكام أنار الله بصيرتهم فشجعوا فعلا الحركة الثقافية العلمية لوجه الله والثقافة والعلم (٢).

---

(١) احمد شلبى ، مرجع سابق، ص ١٥٢ - ١٥٤.

(٢) محمد ماهر حماه، مرجع سابق، ص ١٠٨ - ١٠٩.

بيوت العلم والعلماء :—

ان العلماء والمفكرين الذين فضلوا القاء دروسهم في منازلهم انما كانوا يفعلون ذلك لسبب أو لآخر لاحبا في العزلة عن الناس ولاتعاليا ولا تكبرا ولا غرورا فاستقبالهم طلاب العلم في بيوتهم وفي أوقات راحتهم يؤكد تواضعهم وحبهم للعلم وحرصهم على ان يسود درسهم السكينة والوقار .

وكان أول بيت من هذا النوع هو دار الارقم التي جلس فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلتقي المسلمين الأوائل يعلمهم مبادئ الدين الجديد ،وكان يستقبل اصحابه في بيته ايضا . (١)

وهكذا حبا في العلم وحرصا عليه قامت حلقات العلم تتوالى على العصور في بعض بيوت العلماء استجابة لالحاح الضرورة بعد أن يكون العالم منهم قد اعتزل مكان تدريسه الاولي لسبب أو لآخر . (٢)

من أهم هذه البيوت بيت الامام الغزالي الذى قام بالتدريس فيه بطوس بعد ان اعتزل التدريس في نظامية نيسابور بعد أن أدى فريضة الحج وكتب كتابه احياء علوم الدين (٣)

—:—

(١) احمد شلبي ،مرجع سابق ، ص : ٦٧ — ٦٨ .
(٢) نفس المرجع .
(٣) ابن خلكان ،مرجع سابق ،المجلد الرابع ،ص : ٢١٨ .

وكذلك مجلس الرئيس ابن سينا في منزله حيث كان يتم التدريس بالليل لعدم فراغه بالنهار لانشقاله في خدمة الأمير شمس الدوله . (١)

ثم توالت نشاطات ذلك المكان من امكنة التعليم على ايدي اصحاب تلك البيوت من العلماء ،فيحدثنا ابن جبير عن مجلس الشيخ الفقيه الامام الاوحد ،جمال الدين ابي الفضائل ابن علي الجوزي في داره حديثا مسهبا مفصلا فيقول :" ثم شاهدنا صبيحة السبت بعده مجلس الشيخ الفقيه ،الامام الاوحد جمال الدين ابي الفضائل ابن علي الجوزي بازاء داره على الشط بالجانب الشرقي ،وهو يجلس به كل سبت فشاهدنا مجلس رجل ليس من عمر ولا زيد وفي جوف الفر اكل الصيد ،آية الزمان وقرة عين الأعيان رئيس الحنبلية والمخصوص في العلوم بالرتب العلية ،امام الجماعة وفارس حلبة هذه الصناعة". (٢)

الى ان يشير الى كثرة الاسئلة التي كانت توجه اليه : " وفي اثناء مجلسه ذلك يبتدرون المسائل وتطير اليه الرقاع ،فيجاوب اسرع من طرفة عين" (٣)

———————— :—

(١) احمد شلبي ،المرجع السابق ،ص :٦٨ .

(٢) ابن جبير ،مرجع سابق ،ص : ١٧٦ .

(٣) ابن جبير المرجع السابق ،ص : ١٧٧ .

* وأما عن منزل ابو سليمان السجستاني محمد بن طاهر ابن بهرام المتوفى فى العقد الاخير من القرن الرابع فلقد كان منزله مقيلا لأهل العلوم القديمة فيجتمع عنده العلماء فيأخذون فى المذاكرة والمناظرة فى موضوعات شتى ، وكان لابى سليمان الكلمة الفاصلة .(١)

---

(١) احمد شلبي ،مرجع سابق ، ص : ٦٨ - ٦٩ .

الزوايـــا والأربطـــة :ـ

" الزوايا جمع زاوية وهى المكان الذى ينزوي فيه المعتكف فى ركن من اركان المسجد للعبادة ،وقد قام خلفاء المسلمين الاوائل بانشاء المساكن الملحقة بالمسجد لكى يأوى اليها المعتكفين فهم فى حاجة الى ذلك الانزواء بحكم اعتكافهم.ولم يقف بها الوضع على هذه الشاكلة بل تطورت الى مساكن صغيرة وموزعة فى اطـــراف المدينة وجهاتها المختلفة تمثل دورا ومساجد صغيرة تؤدى فيهـا الصلاة المفروضة والعبادات ،هذا بالاضافة الى تكوين الحلقـــات الدراسية القائمة على علوم الدين وما يتصل به من علوم نقليـــة أو عقليـة " . (١)

أما فى المغرب العربي فقد أطلقت كلمة زاوية على مسجد خاص بطائفة من الصوفية او ضريح لاحد الأولياء ،وقد يظهر أن الزوايا اكثر انتشارها كان فى شمال افريقيا وبلاد المغرب العربى . (٢)

وهناك اختلاف فى المعنى لكلمة اربطة بين المشرق والمغرب فالمقصود بها فى المشرق تلك المساكن التى يأوى اليها الفقـــراء

---

(١) حسن ابراهيم ،مرجع سابق ،المجلد الرابع ص : ٤٢٣ .

(٢) نفس المرجـــع الســابق .

والمحتاجون لمأوى سكني ،ومن ثم يقومون بالعبادة والتعلم فيهـا، اما فى المغرب فهو عبارة عن مكان تجمع الجنود ويكون محمي بسور منيع واسع تحيط به غرف كثيرة وكان المرابطون فى هـذا المكان يقومون باعمال مختلفة تتمثل فى صنع الحبر والورق ونسخ الكتب وتوزيعها على طلاب العلم ،فكان الرباط فى الوقت نفسه عبارة عن مدرسة يقصدها العلماء وكذلك الطلبة وهؤلاء قد يمكثون بها لمدة قد تصل للشهر بهدف الدراسة والاطلاع والاستفادة العلمية .(١)

" وقد يكون للرباط فى المشرق او المغرب شأن فى العملية التعليمية ليس بقليل ،فالرباط لا يقل أهمية عن المسجد من حيث كونه مكانا تشع منه الدعوة الى الاسلام ". (٢)

لقد كانت الصفة السائده لتلك الزوايا وتلك الاربطة صفة التعليم الديني ، وكان طابع الدراسة هو الذى يخيم على اجوائها سواء فى المشرق والمغرب .

---:

(١) محمد منير مرسى ،مرجع سابق ،ص : ٢١٩ .

(٢) نفس المرجع .

الدواويـــــــــن :-

كان الرسول صلى الله عليه وسلم يستعين بصحابته ممـــن يعرف منهم القراءة والكتابة لتدوين آيات القرآن الكريم ، فكـــان عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب وزيد بـــن ثابت ومعاوية بن أبي سفيـان والمغيرة بن شعبة وسعيد بن العـــاص يكتبون القرآن ويحررون الكتب التى كان الرسول صلى الله علـيه وسلم يرسلها الى الملوك والأمـــراء . (١)

وكان عثمان بن عفان رضى الله عنه كاتبا لأبى بكر الصديق ثم اتخذ الخلفاء الراشدون كتابا (٢) وفى عهد الدولة الامويـــة أصبح الكتاب خمسة : كاتب الرسائل ،وكاتب الخراج ،وكاتــــــب الجند ،وكاتب الشرطة، وكاتب القاضي . (٣)

وتشير المصادر الى ان ظهور الكاتب بمفهومه كان فـــى عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه وقد قيل فى العام الخامس عشر للهجرة على حد قول الطبرى ، وقيل فى العـــام العشرين كما يذكر الماوردى (٤).

—————————— :-

(١) حسن ابراهيم حسن ،المرجع سابق ،ح ١ ،ص : ٤٤١ .

(٢) نفس المرجــــع .

(٣) نفس المرجــــع ص : ٤٤٢ .

(٤) فتحيه النبراوى : تاريخ النظم والحضارة الاسلاميه ،ط ٣ جـــدة: الدار السعوديه للنشر والتوزيع ،١٤٠٥ هـ ص : ١٢ .

والديوان كلمة فارسية معناها سجل أو دفتر ،واطلق اسم الديوان من باب المجاز على المكان الذى يحفظ فيه الديوان يقول الماوردى : " الديوان موضوع لحفظ ما يتعلق بحقوق السلطنة من الاعمال والاموال ومن يقوم بها من الجيوش والعمال " . (١)

وقيل كلمة فارسية معربة ،وقيل انه عربي ومعناه الأصل الذى يرجع اليه ويعمل بما فيه ومنه قول ابن عباس "اذا سألتمونى عن شئ من غريب القرآن فالتمسوه فى الشعر ،فان الشعر ديوان العرب" . (٢)

وكان فى العصر الاموي يتولى ديوان الانشاء كاتب يقوم بترتيب أموره فالخليفة يصدر الاحكام ويقوم بالتوقيع والكاتب ينفذ ولقي هذا الديوان اهتماما اكبر فى عهد الدولة العباسية فكانت تسند اموره الى الوزارة فيشرف الوزير بنفسه على تصريف اموره . (٣)

وكان العصر العباسي الاول حافلا باسماء كتاب اعتبرهم التاريخ فرسان قلم ،وكان العباسيون بصورة عامه يولون هذا المنصب لاقربائهم أو لمن ينتمى لنسب رفيع ومستوى مرموق من الثقافة وسعة العلم . (٤)

—:—

(١) حسن ابراهيم حسن المرجع السابق ،ح ١ ص : ٤٤٤ .

(٢) ابو زيد شلبى ،تاريخ الحضارة الاسلاميه والفكر الاسلامي ،ط ٣ القاهرة : مكتبة وهبه ،١٣٨٣هـ ،ص : ١٠٧ .

(٣) فتحيه النبراوى ،المرجع السابق ،ص : ١٠٧ .

(٤) اكرم رسلان ديرانيه : الحكم الاداره فى الاسلام ،جده : دار الشروق ،د. ت ص : ١٤٨ .

ولما استقر الأمر للدولة الاسلامية فى العصر الاموي كانت هناك سته دواوين رئيسية مقرها دمشق عاصمة الخلافة وهي ديوان الخاتم ،وديوان البريد ،وديوان الرسائل ،وديوان الجند وديوان بيت المال . (١)

وفى العصر العباسي أستحدث الخلفاء العباسيون الكثير من الدواوين التى استدعتها حاجة الدول وتطورها ،وأهم هذه الدواوين المستحدثه هى :-

ديوان الزمام : وفيه تجمع جميع الدواوين لرجل يضبطها وهو يشبه ديوان المحاسبه اليوم ،ثم ديوان الاحداث والشرطة حيث يقومباعمال وزارة الداخلية بالمفهوم الحديث ،وديوان الاكرية الذى يشرف على شئون الري فى الدولة ،كما ان الدولة العباسية توسعت فى ديوان البريد ايضا واهتمت به اهتماما بالغا . (٢)

وما يهمنا نحن من هذه الدواوين ديوان واحد له علاقة بتاريخ الثقافة الاسلامية وهو ديوان الانشاء أو ديوان الرسائل .

وهو أول ديوان عرفته الدولة الاسلامية وكان هذا الديوان يحتاج دائما الى كتاب متمكنين من اللغة العربية على مقدرة

---

(١) فتحيه النبراوى ،مرجع سابق ،ص : ١٠٠ .

(٢) ابو زيد شلبي ،المرجع السابق ،ص : ١١٤ .

بلاغية عالية ،علماء بالنحو ،مدركين اسرار العربية ، ومن هنا أصبح على من يطمح الى منصب الكاتب ان يكون على قدر من الثقافة ،وبذلك ساهم هذا الديوان بطريقة مباشرة ،فى تطور النثر العربي وبطريقة غير مباشرة ،فى اثراء التراث العربي الاسلامي باساليب جديدة من الكلام ،فكان هذا الديوان مركزا مجهولا من مراكز التعليم الاسلامي لانه كان محصورا بفئة معينة محدودة من الأدباء والكتاب ولكنه لا شك أوجد مئات من فرسان القلم على الأرض الاسلامية .

البيمارستانات :-

" البيمارستان بفتح الراء وسكون السين كلمه فارسية مركبة من كلمتين بيمار بمعنى مريض أو عليل أو مصاب وستان بمعنى مكان أو دار فهى اذاً دار المرضى ثم اختصرت فى الاستعمال فصارت مارستان كما ذكرها الجوهري فى صحاحه" (١)

" وكانت البيمارستانات من أول عهدها الى زمن طويل مستشفيات عامة تعالج فيها جميع الأمراض والعلل من باطنية وجراحية ورمدية وعقلية الى ان اصابتها الكوارث فأقفرت إلاّ من المجانين حيث لا مكان لهم سواها فصارت كلمة

---

(١) احمد عيسى ،تاريخ البيمارستانات فى الاسلام ،ط ٢ ،بيروت دار الرائد العربى ، ١٤٠١ هـ ،ص : ٤ .

مارستان اذا سمعت لاتنصرف الا الى مأوى المجانين". (١)

وكان الرسول صلى الله عليه وسلم أول من أمر بمثل هذه المستشفيات عندما أصيب سعد بن معاذ يوم الخندق فجعله في خيمة لامرأة من أسلم يقال لها رفيدة في مسجده صلى الله عليه وسلم ،وكانت رفيدة هذه تداوى الجرحى وتحتسب بنفسها على خدمة المصابين من المسلمين ،وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قال حين اصابت سعد بن معاذ السهم ،اجعلوه في خمية رفيدة حتى أعوده من قريب . (٢)

ولم تكن البيمارستانات مكان لعلاج المرضى والشفاء من أمراضهم فقط بل كانت بمثابة دور لتعليم الطلبة والأطباء مهنة الطب عمليًا ،فهم يقومون بدراسة الحالات التى تعرض عليهم دراسة عملية من واقع المشاهدة التى أمامهم للحالة ـ أى كاحدث ما وصل له علم الطب من الحاق مستشفى بكليات الطب ـ وكان يلحق بكل مستشفى من ذلك النوع قاعة محاضرات تلقى فيها المحاضرات وبها الآلات والكتب ويجتمع فيها كبير الاطباء بسائر الأطباء والطلبة ويتم التدريس والمناقشات بينهم جميعا ،وفيها تقرأ كتب الطب. (٣)

ـــــــــــــــــ :-

(١) احمد عيسى ،مرجع سابق ،ص : ٤ .

(٢) المرجع السابق ،ص : ٩ .

(٣) سعيد اسماعيل على معاهد التعليم الاسلامي ،مرجعسابقص ٢٢١

" ففى العصر العباسي كان طلبة الطب
يتلقون علومهم على ايدي اساتذتهم فى
هذه البيمارستانات اذ كانت تهيأ لهم
الايوانات الخاصة المعدة والمجهزة
بالآلات والكتب احسن تجهيز، فيقعدون
بين يدى معلمهم بعد ان يتفقدوا المرضى
وينتهوا من العلاج ." (١)

وكان فى بيمارستان احمد بن طولون فى القاهرة خزانة كتب كانت فى احد مجالس البيمارستان وكان فيها مايزيد على مائة الف مجلد فى سائر العلوم . (٢)

ومن البيمارستانات الاسلامية :—

بيمارستان جند يسابور الذى كان موجودا قبل ظهور الاسلام وكان العرب يستمدون اطباءهم من خريجي جند يسابور واستطب النبى صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدون من بعده أطباء تخرجوا منه كالحارث بن كلدة وابنه النضر . (٣)

أما بيمارستانات الجزيرة العربية فتشير المصادر الى أن انشاءها بدء فى القرن السابع الهجري ، وذلك فى مكة المكرمة والمدينة المنورة ، وهما : بيمارستان المستنصري العباسي بمكة المكرمة وبيمارستان الظاهر بيبرس بالمدينة المنورة . (٤) أى بعد انتهاء القرن الخامس الهجرى والسادس أيضا

-:

(١) احمد عيسى ، المرجع السابق ، ص : ٣٨ .

(٢) نفس المرجع ، ص : ٣٩ .

(٣) نفس المرجع ، ص : ٦٢ — ٦٣ .

(٤) نفس المرجع ص : ٢٦١ — ٢٦٥ .

البيمارستان العتيق الذى انشأه احمد بن طولون سنة ٢٥٩هـ ، وبيماستان صلاح الدين الايوبي وقد أسهب في الحديث عنه ابن جبير عند زيارته للقاهره ، والبيمارستان الكبير المنصورى أودار الشفاء وقد أنشأه الملك المنصورقلاوون .(١)

وهناك عشرات البيماستانات في انحاء الدولة الاسلامية تشهد كلها بمدى التقدم العلمى في مجال الطب الذى وصلت اليه الامة الاسلامية في عصور الازدهار.

والسؤال الذى قد يتبادر الى الأذهان ، مادور هذه البيمارستانات في تطور التعليم الاسلامي ؟

لاشك أن هذه المراكز الطبية والعلمية التى كان طلاب العلم يتدربون بها تدريبا عمليا ونظريا وواقعيا كانت اشبه ماتكون بكليات الطب العصريه التى تدرب طلابها بالمستشفيات الملحقة بها ، لقد كانت هذه البيمارستانات مركزا علميا متطورا من مراكز التعليم المتقدمة والمتطوره والعاليه ساعدت على تطور علم الطب عند المسلمين وخرجت مئات الأطباء وضمت مكتباتها مئات الكتب العلميه والمجلدات النفسيه.

أنها صورة مشرقه من صور تاريخنا الاسلامي التى يحق لنا ان نفخر بها دائما وأبدا.

---

(١) احمد عيسى ، المرجع السابق ص ٦٧ - ٨٩

ومن بيمارستانات العراق :-

بيمارستان الرشيد ،وقد أمر الرشيد جبريل بن بختيشوع بانشائه بعد توليه الخلافة ،وبيمارستان البرامكة (١) ،والبيمارستان العضدى الذى أنشأه عضد الدولة بن بويه فى الجانب الغربي من بغداد (٢) ،وبيمارستان الموصل ،وبيمارستان الرقة وبيمارستان حران وبيمارستان نصيبين (٣).

وأهم بيمارستانات الشام :-

البيمارستان الذى انشأه الوليد بن عبد الملك الاموي عام ٨٨ هـ وكان اول بيمارستان فى الدولة الاسلامية ،فقد اهتم ببناءه وخصص الاماكن للمرضى حسب حالاتهم ثم اجرى الجرايات عليه (٤).

وبيمارستان انطاكية ،والبيمارستان الكبير النوري وقد أنشأه الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي فى القرن السادس الهجري ،والبيمارستان النوري بحلب ،وبيمارستان حماة ،وبيمارستان القدس (٥).

وفى مصر عشرات البيمارستان التى ظهرت فى القرن الثالث الهجري وما بعده منها :—

---

(١) احمد عيسى ،مرجع سابق ،ص : ١٧٨ .

(٢) ابن خلكان مرجع سابق ،المجلد الرابع ص : ٥٤ .

(٣) احمد عيسى المرجع السابق ، ص : ٢٠١ — ٢٠٢ .

(٤) سعيد اسماعيل على ،معاهد التعليم الاسلامى مرجع سابق ص : ٢٢٢ . وكذلك احمد عيسى ،مرجع سابق ،ص : ٢٠٣ .

(٥) احمد عيسى ،المرجع السابق ،ص : ٢٠٤ — ٢٣٣

نشــأة المدارس :-

شهد النصف الثاني من القرن الخامس الهجري ظهـــور اول مدرسة رسمية تلقى الاهتمام والرعاية من قبل الدولة بطريقـــة مباشرة وذلك بتأسيس المدرسة النظامية الاولى ببغداد عام ٤٥٩هـ بأمر من الوزير السلجوقي الحسن بن على اسحاق بن العباس الطوسي الشافعي الملقب بنظام الملك (٤٠٨ — ٤٨٥هـ) وقد بدا العمـــل فيها سنة ٤٥٧ هـ وكانت على شاطئ دجلة وانتهى العمل فيهـــا عام ٤٥٩ هـ . (١)

ويوصف العصر السلجوقي بأنه عصر انتشار المدارس وشيوعهـــا فى العراق والمشرق خاصة وفى العالم الاسلامي عامة ،وقد نشـــأ خلاف كبير بين المؤرخين القدماء والباحثين المعاصرين حول أول مدرسة تأسست فى العالم الاسلامي . (٢) فبعد ان يتحدث السبكي فى طبقاته عن المدارس التى بناها وافتتحها الوزير نظام الملك عاد مستدركا لما ذهب اليه الذهبي (ت ٧٤٨) ليقول :-

" وشيخنا الذهبي زعم أنه — أى الوزير نظام الملك - أول من بنى المدارس ،وليس كذلك ،فقد كانت المدرسة البيهقـــــية بنيسابور أيضا بناها الامير نصـــر بن سبكتكين ،أخو السلطـــان

---

(١) احمد شلبي ، مرجع سابق ، ص : ١١٩ .

(٢) ستحاول الباحثه عرض آراء أبرز الباحثين المتأخــــرين والمعاصرين حول هـــذا الموضـــوع .

محمود لما كان واليا بنيسابور ،ومدرسة ثالثة بناها بنيسابور ابو سعد اسماعيل بن علي بن المثنى الاسترابادي الواعظ،الصوفي شيخ الخطيب ،ومدرسة رابعة بنيسابور ايضا بنيت للاستاذ ابي اسحاق الاسفراييني " (١)

فالسبكي يشير وبشكل واضح وصريح ان مدرسة بغداد النظامية لم تكن المدرسه الاولى فى الاسلام ويعدد اسماء بعض المدارس التى كانت قد ظهرت قبل نظامية بغداد وذلك فيما وراء النهر أما بين الباحثين المعاصرين فان احمد شلبي فى كتابه تاريخ التربية الاسلاميه يأخذ بآراء الذهبي ولكنه لا يتحدث مطلقا عن اى مدرسة من مدارس خراسان او ماوراء النهر ،بل انه يقول معتمدا على كلام الذهبي " ان العراق وسوريه ومصر كانت قبل نشأة المدارس يحكمها البوهيون والفاطميون ،وكلا الاسرتين ذات مذهب شيعي بل انهما بذلا وسعهما لنشر المذهب بين رعاياهما ،أما بطريق الدعاية ،او بطريق القهر فى بعض الأحيان "(٢).

وهذه العبارة التى اوردها احمد شلبي توحى بأنه يؤيد الذهبي فى رأيه وهو يشير بطرف خفي الى ان الشيعة لم يلجأوا الى احداث المدارس لنشر مذهبهم وربما يريد الاشارة ايضا الى ان السلاجقة والايوبيين أرادا من تأسيس المدارس نشر مذهبهم

—:—————

(١) تاج الدين السبكي : طبقات الشافعيه الكبرى ،حـ ٤ ،طـ ١ القاهرة : مطبعة البابي الحلبي ،١٣٨٥ هـ ص : ٣١٣ .

(٢) أحمد شلبي ،مرجع سابق ،ص : ١١٥ .

السني فهو يقول بعد العبارة السابقـة .

" وقد انشأت هاتان الأسرتان ــ يعنى السلاجقلا والأيوبيين ـ المدارس لتقاوما بها ما غرسه الشيعة فى نفوس الناس مـــن عقائد يراها أهل السنة زائغة باطلة ثـــم لينشروا بمساعدة هذه المدارس عند أهـــل السنة التى يرونها تطبيقا للدين الصحيح " (١).

ويؤيد احمد امين فى كتابه ضحى الاسلام ويورد عبارة المقريزي فى خططه حيث قال :ــ

" ان المدارس مما حدث فى الاسلام ، لـــم تكن تعرف فى زمن الصحابة والتابعين وانما حدث عملها بعد الاربعمائة من ســـني الهجرة وأول من حفظ عنه انه بنى مدرســة فى الاسلام أهل نيسابور فبنيت المدرســة البيهقية (٢) ثم يقرر النتيجة التالية :ـ

"على كل حال لم تكن فى العصر العباسى الاول مدارس وانما كانت هناك معاهـــد أخـــرى ." (٣)

—:

(١) احمد شلبي ، مرجع سابق ، ص : ١١٥ .
(٢) احمد امين ، مرجع سابق ، حـ ٢ ، ص : ٤٩ .
(٣) نفس المرجـــع ، ص : ٥٠ .

وهو يقصد بالعصر العباسي الاول (١٣٢ — ٢٣٢ هـ) الى عهد المتوكل . (١) وقد ذهب حسن ابراهيم حسن المذهب نفسه :-

" ولم تنشأ المدرسة قبل القرن الرابع الهجري ، وكانت المدرسة الاولى هي المدرسة البيهقية في نيسابور . (٢)

أما محمد اسعد طلس فيعتقد على ما أحصاه المستشرق وستنفلد في كتاب عن الامام الشافعي فيجعل أن مدرسة ورد ذكرها في النصوص التاريخية القديمة مدرسة الامام أبي حاتم البستي الاديب المشهور والمتوفى عام ٣٤٥ هـ . (٣)

ويعارض سعيد اسماعيل في كتابه معاهد التعليم الاسلامي الفكرة التي روج لها بعض المؤرخين وهي ان نظام الملك هو أول من بنى المدارس الاسلامية . (٤) وبعد أن يستقرئ عددا من الكتابات التاريخية ويقارنها بعضها ببعض يصل الى النتيجة التالية :

" ومن هنا نستطيع أن نرجع نشأة المدارس الاسلامية في الربع الأخير من القرن الرابع على أساس المؤسسة التي أختصت باسم المدرسة ، أما أقدم ماعرف من نشأة المدارس المحددة فهو المدرسة الصادرية عام ٣٩١ هـ في دمشق وان كانت جمهرة من المؤرخين تؤكد أنها مدرسة ابن فورك ٤٠٦ هـ واذا كان البعض الآخر يؤكد أنها

---

(١) نفس المرجع .

(٢) حسن ابراهيم حسن ، مرجع سابق ، حـ ٤ ، ص : ٤٢٥ .

(٣) محمد اسعد طلس ، مرجع سابق ، ص : ١٢٢ .

(٤) سعيد اسماعيل على ، مرجع سابق ، ص : ١٣٥ .

المدرسه البيهقية الا أن تاريخها ليس محددا " (١)

والمدرسة الصادرية التى يشير اليها أنشأها الأمير شجاع الدولة صادر بن عبد الله فى دمشق عام ٣٩١هـ، أما المدرسة التى بنيت لابن فورك فى نيسابور فابن فورك كان اشعريا متحمسا . (٢)—

ويؤكد حسن عبد العال فى كتابه التربية الاسلامية فى القرن الرابع الهجري أن المدرسة قد ظهرت فى القرن الرابع الهجري وأنها لم تكن وليدة القرن الخامس الهجرى . (٣) معتمدا فى ذلك على ما ذهب اليه آدم متز فى كتابه الحضارة الاسلامية فى القرن الرابع الهجري ، وأسماء فهمي فى كتابها مبادىء التربية الاسلامية وكذلك بعض الروايات التاريخية القديمة والمصادر المعتمدة . (٤)

أما حسام الدين السامرائي فانه يعيد تاريخ المدرسة الاولى فى الاسلام الى أواخر القرن الثاني وأوائل القرن الثالث الهجرى ، معتمدا على أهم المصادر التاريخيه ، فيجعل مدرسة الامام أبي حفص الفقيه البخاري (١٥٠ — ٢١٧)هـ أول مدرسة فى المشرق الاسلامي ، لكنه لايستطيع تحديد تاريخها التأسيسي تماما (٥)

———————— :-

(١) سعيد اسماعيل على ، مرجع سابق ، ص : ١٣٨ .

(٢) نفس المرجع ، ص : ١٣٧ .

(٣) حسن عبد العال ، مرجع سابق ، ص : ٢١١ .

(٤) نفس المرجع ، ص : ٢١١ — ٢١٢ .

(٥) حسام الدين السامرائي : المدرسه مع التركيز على النظاميات بحيث مخطوط مقدم للمجمع الملكي لبحوث الحضارة ، (عمان ١٤٠٦ هـ) ص : ١٢ .

أما ناجي معروف فقد كان كتابه مدارس قبل النظامية دراسة علمية تاريخية موثقة تعد أهم دراسة عالجت بدقة وبتفصيل هذا الموضوع الذى أختلف حوله الباحثون فهو يؤكد ان المدرسة النظامية ومدرسة أبي حنيفة لم تكونا أول المدارس الاسلامية ، وانما انشئ قبلهما فيما وراء النهر وخراسان مدارس عديدة. (١)

وبعد أن يناقش كل آراء المؤرخين القدماء والباحثين المتأخرين منهم والمعاصرين حول هذا الموضوع (٢) يذكر لنا ثلاثا وثلاثين مدرسة بنيت فى المشرق الاسلامي قبل نظامية بغداد وقد ظل أكثرها يؤدى خدمات علمية مدة طويلة من الزمن

وحيث ان الباحثة وجدت ان هذه الدراسة هى أفضل ما كتب فى نشأة المدارس قبل النظاميات فقد ترى ان من الافضل التحدث عن هذه المدارس بايجاز معتمدة فى ذلك على كتاب الباحث المذكور .

١ - مدرسة حسان القرشي الأموى بنيسابور . (٣)

انشئت قبل سنة ٣٤٩ هـ ، وأنشأها حسان بن محمد القرشي المتوفي سنة ٣٤٩ هـ بنيسابور ، كان أحد أئمه الدنيا

---

(١) ناجي معروف : مدارس قبل النظاميه ، بغداد : مطبعة المجمع العلمي العراقي ، ١٣٩٣هـ ص : ٨ .

(٢) نفس المرجع السابق ، ص : ١٤ .

(٣) سعيد اسماعيل على ، مرجع سابق ، ص : ١٣٨ .

درس ببغداد ونيسابور ،حدث وحدث عنه ،وكانت ولادته بعد سنة ٢٧٠هـ ووفاته فى شهر ربيع الأول سنة ٣٤٩ هـ وكان القرشي امام أهل الحديث بخرسان وعالما زاهدا متعبدا متقشفا ملازما لمدرسته وبيته .

٢ - مدرسة ابن حبان التميمي بنيسابور. (١)

انشئت قبل سنة ٣٥٤هـ ،وأنشأها ابو حاتم محمدبن حبان البستي التميمي بنيسابور قبل سنة ٣٥٤ هـ ،قال ياقوت الحموي ، فى معجم البلدان : وكان ابو حاتم بن حبان سبل كتبه ووقفها وجمعها فى دار رسمها لها ،وقال الحافظ ابو عبد الله الحاكم الضبي : ابو حاتم ابن حبان داره التى هى اليوم مدرسة لاصحابه ومسكن للغرباء الذين يقيمون بها من أهل الحديث والمتفقهة وفيها خزانة كتبه .

٣ - مدرسة أبى حفص ببخارى . (٢)

انشئت قبل سنة ٣٦١ هـ وذكرها تاج الدين السبكي وهو يترجم فى طبقاته لمحمد بن أحمد بن على بن شاهويه وهو ابو بكر القاضى ،الفارسي ، ونقل السبكي عن الحاكم قوله : انه كان امام نيسابور زمانا ثم خرج الى بخارى وكان يدرس فى مدرسة

---

(١) ناجي معروف ،المرجع السابق ،ص : ٢٥ .

(٢) نفس المرجع ،ص : ٢٦ .

أبى حفص الفقيه ،واذا كان ابن شاهويه قد مات سنة ٣٦١ هـ فهذا يعنى ان المدرسة كانت موجودة ببخارى قبل خروج ابن شاهويه الى بخارى .

٤ ـ مدرسة مرست ببنج ديه .(١)

انشئت قبل سنة ٣٦٥ هـ ،حيث بنيت فى قرية مرست احدى القرى الخمس ببنج ديه بمرد وقد ذكرها السبكي فى طبقاته وهو يترجم لأبي بكر محمد بن على بن اسماعيل القفال الكبير الشاشي المولود سنة ٢٩١ هـ المتوفي بالشاش فى ذى الحجه سنة ٣٦٥ هـ فى السند وكان امام المسلمين فى التفسير والحديث والكلام والأصول واللغة والشعر وامام عصره بما وراء النهر للشافعيين .

٥ ـ مدرسة باب بستيان بغزنه .(٢)

انشئت قبل سنة ٣٨٥ هـ وقد درس فيها ابو صالح الذى عينه السلطان محمود اماما فى غزنه على مذهب أبي حنيفه فى سنة ٣٨٥ واشتغل بالتدريس فى هذه المدرسة فترة طويلة وقد تخرج على يده وأخذ العلم عنه قاضي القضاة ابو سليمان داود بن يونس وكانت لأبي صالح هذا منزلة كبيرة عند السلطان محمود فلما توفى عام ٤٠٠ هـ امر السلطان وزيره أبا العباس الاسفرايينى

-:

(١) ناجي معروف ،المرجع السابق ،ص : ٢٦ .

(٢) نفس المرجع ،ص : ٢٧ .

ان يذهب الى مدرسة هذا الامام ويقيم فيها مأتمه .

٦ - مدرسة محمد الحمشادي . (١)

انشئت قبل سنة ٣٨٨هـ لابى محمد بن عبد الله بن حمشاد ابو منصور بن ابي محمد الحمشادي النيسابوري الفقيه الأديب الزاهد كان زاهدا فى الدنيا ،عابدا ،مجانبا للسلاطين، ملازما لمدرسته ومسجده مكتفيا من أوقات السلف بقوت يومه ،تخرج على يديه جماعة من العلماء الواعظين ،كانت ولادته سنة ٣١٦هـ ووفاته فى رجب سنة ٣٨٨ هـ .

٧ - مدرسة ابن رضوان . (٢)

أنشئت سنة ٣٩٠ هـ انشأها بنيسابور الحسن بن داود بن رضوان ابو على الفقيه السمرقندي ،وكان قد تفقه بخرسان والعراق وسمع بالبصرة سنن ابى داود من ابن داسه ثم عاد الى نيسابور وأقام بها وبنى المدرسة ودرس فيها خمس سنين روى السنن، وقرئ عليه ،ونشر العلم وكانت وفاته عام ٣٩٠ هـ

٨ - المدرسة السعيدية بنيسابور . (٣)

انشئت سنة ٣٩٠ وأنشأها بنيسابور الأمير العالم ابو المظفر

---

(١) ناجي معروف ، المرجع السابق ،ص : ٢٨ .

(٢) نفس المرجع .

(٣) نفس المرجع ،ص : ٢٨ — ٢٩ .

نصر بن ناصر واستفاد منهم ،وبني المدرسة السعيدية ووقف عليها الأوقاف ثم عاد الى غزنه وتوفى بها .

٩ _ المدرسة الدقاقية بنيسابور . (١)

وقد بنيت فى سنة ٣٩١ هـ ،وقد ورد ذكر المدرسة فى ترجمة ابى اسحاق الطوسي المتوفي سنة ٤١١ هـ ،وكان من كبار أصحاب الشافعي ومناظريهم ومن ذوى الثروة والعلم والجاه وكان من جيران المدرسة فى سكة ابى علي الدقاق ،وكان لابى علي الدقاق بنت عالمة مشهورة يقال لها فاطمة ٣٩١ — ٤٨٠ هـ نشأت فى تربية أبيها وتعليمه وتأديبه وتهذيبه ،وكانت حافظة لكتاب الله عارفة بالكتابة وقد ولدت فى السنة التى بنى فيها المدرسة .

١٠ _ المدرسة الصاعدية بنيسابور . (٢)

وهذه انشئت قبل سنة ٤٠٢ هـ ومن مدرسيها : عبد الله بن محمد بن عمرو الزيادي القاضي ابو القاسم من وجوه علماء وفقهاء الحنفية بنيسابور استخلفه القاضي الامام ابو العلا للتدريس فى مدرسته سنة ٤٠٤ هـ .

ومن مدرسيها ايضا : ابو القاسم الصاعدي ابن قاضي

—:———————

(١) ناجي معروف ، مرجع سابق ،ص : ٢٩ .

(٢) نفس المرجع ،ص : ٣٠ — ٣١ .

القضاه وكان رجلا كبيرا فاضلا مشهورا من الدوحة الصاعدية وكان متعصبا للسنة ،تولى القضاء مدة غيابه عن أبيه ثم اشتغل بنيسابور وصار قاضي القضاة بها ودرس بالمدرسة الصاعدية سنين وقد توفي عام ٤٧٠ هـ .

ومن سكان المدرسة الصاعدية ابو الحسن الفقيه المفتي على ابن ابى نصر الجرجاني من اصحاب ابي حنيفة وكان عليه مدار الفتوى فى زمانه فى مجلس القضاء ،وقد توفي سنة ٤٨٧ هـ .

ومن مدرسيها أيضا : أبو العلاء صاعد بن منصور بن اسماعيل القاضي الامام أبو العلاء الذى ورد ذكره قبل قليل وقد كان يحضر المجالس والمحافل والمجامع مع أبيه وينوب عن والده فى الخطابة وأقعده فى المدرسة ،ودرس وحضر درسه فى مواضع مات سنة ٤٩٤ هـ .

١١ - مدرسة ابى سعد الزاهد بنيسابور .(١)

وهى أيضا انشئت قبل عام ٤٠٤ هـ وموءسسها : عبد الله ابن ابي عثمان محمد بن ابراهيم النيسابوري الشافعي أبو سعد الزاهد الخركوشي الواعظ الاستاذ العالم الورع الزاهد ، بذل نفسه وجاهه وماله للفقراء والمستورين والغرباء وقام فى القحط المعروف سنة ٤٠١ هـ ينفق على الفقراء ويجهز الموتي ،وبني فى سكنه مدرسة ومارستانا ،وصف عددا من الكتب فى دلائل

---

(١) ناجي معروف ، مرجع سابق ،ص : ٣٢ — ٣٣ .

النبوة وعلوم الشريعة ،توفي سنة ٤٠٤ هـ ودفن فى الخانكاه المنسوب اليه فى سكه خركوشي ،وممن لهم علاقة بمدرسة ابي سعد الزاهد ابو بكر بن فنجويه الاصبهاني المتوفى سنة ٤٢٨ هـ ،أحد حفاظ زمانه وفرسان أهل الحديث ،دخل نيسابور تاجرا وكتب لأهل بلده الامالي عن علمائها ثم عاد الى اصبهان ونشط فى طلب الحديث ورجع الى نيسابور وعقد له مجلس الاملاء فى مدرسة ابى سعد الزاهد فأملى سنين وقرئ عليه الكثير وتخرج على يديه جماعة من الطلاب توفي سنة ٤٢٨ هـ .

١٢ - مدرسة سهل الصعلوكي العجلي بنيسابور . (١)

وهذه ايضا انشئت قبل سنة ٤٠٤هـ ،وكان سهل الصعلوكي هذا مفتي نيسابور ،وقد وصف بأنه جمع بين رياستي الدنيا والدين وكان يلقب شمس الاسلام ،درس على عدد من العلماء وروى عنه الحاكم الضبي ،وأبو بكر البيهقي ،وغيرهما من فقهاء نيسابور وقد توفى سنة ٤٠٤ هـ ،وقد ورد ذكر مدرسته فى ترجمة أبي بكر بن أبي زكريا المزكي الذى عقد له مجلس الاملاء فى مدينة السلام وكانت وفاته سنة ٤٧٤هـ ،وصلى عليه الامام ابو سعيد القشيري فى مدرسه سهل الصعلوكي ودفن خلف المدرسة بجانب والده

١٣ - مدرسة الاسفراييني بنيسابور . (٢)

انشئت قبل سنة ٤٠٥ هـ حيث انصرف الاستاذ ابواسحاق

---

(١) ناجي معروف ،المرجع السابق ،ص : ٣٣ — ٣٤ .

(٢) نفس المرجع ،ص : ٣٤ .

الاسفراييني من العراق بعد المقام فيها وقد أقر له أهل العلم بالعراق وخرسان بالتقدم والفضل فعاد الى موطنه نيسابور وبنيت له المدرسة التي لم يبن قبلها بنيسابور مثلها ، ودرس فيها وحدث وترجم له السبكي في طبقاته : أحد أئمة الدين كلاما واصولا وفروعا وكان يلقب بركن الدين وكان ثقة ثبتا في الحديث عقد له أول ، مجلس املاء في مسجد عقيل بنيسابور بعد صلاة العصر يوم الخميس في المحرم سنة ٤١١هـ ، وكانت وفاته بنيسابور سنة ٤١٨هـ ،وحمل منها الى اسفرايين فدفن بها .

١٤- مدرسة الصابوني بنيسابور. (١)

وهذه انشئت قبل سنة ٤٠٥هـ، وترجم السبكي في طبقاته لشيخ الاسلام ابى عثمان الصابوني المتوفى سنة ٤٤٩هـ وذلك أنه لما حضرته الوفاة طلب الى اخوانه وأحبائه ان يجلسوا في المدرسة ويساعدوا الاصحاب في قراءة القرآن ، وكانت حياة الصابوني حافلة بالاعمال الجليلة ، وقد لقبه السنة في بلاه خرسان بلقب شيخ الاسلام وممن عقد له مجلس الاملاء في مدرسة الصابوني ابنه عبدالرحمن ابوبكر الصابوني ، وقد لقي الوزير نظام الملك فأكرمه ووصله بصلات ،وأقام عنده وولي قضاء اذربيجان فسمي قاضي القضاة ثم عاد الى نيسابور وعقد لنفسه مجلس الاملاء في مدرسة الصابوني

---

(١) ناجي معروف ،المرجع السابق ،ص : ٣٥-٣٦ .

١٥ - مدرسة القطان بنيسابور . (١)

وهذه انشئت قبل سنة ٤٠٥هـ ذكرها الحاكم الضبي في تاريخ نيسابور في ترجمة ابى اسحاق القطان فقال : هو ابراهيم ابن محمود بن حمزة الفقيه ابو اسحاق المالكي المعروف بالقطان ومسجده ومدرسته معروف ، ولم يكن بعده للمالكية بنيسابور مدرس. واذا كان الحاكم الضبي قد توفي سنة ٤٠٥ هـ ،فلابد ان تكون مدرسه القطان قد انشئت قبل ذلك .

١٦ - المدرسة البسطامية بنيسابور . (٢)

وهذه انشئت قبل سنة ٤٠٥ هـ وقد ورد ذكرها أيضا بتاريخ نيسابور فقد ترجم الحاكم الضبي ترجمة قصيرة لابراهيم بن محمد وهو ابو اسحاق الرئيس البسطامي وقال : "كان يسكن نيسابور بباغ الدارين وبها مدرسته وداره التى بناها لأهل الحديث وبذلك تكون المدرسه البسطامية قد انشئت قبل وفاة الحاكم سنة ٤٠٥ هـ" .

١٧ - مدرسة ابن فورك الأنصارى بنيسابور . (٣)

وهذه انشئت قبل سنة ٤٥٦ هـ وكانت لابي بكر محمد ابن الحسن بن فورك الانصاري الاصفهاني المتوفى سنة ٤٠٦ هـ وكان قد أقام أولا بالعراق يدرس العلم على علماء بغداد ثم توجه الى الري وبعدها

---

(١) ناجي معروف ،مرجع سابق ،ص : ٣٦ — ٣٧ .

(٢) نفس المرجع ،ص : ٣٧ .

(٣) نفس المرجع ،ص : ٣٨ .

الى نيسابور فبنى له الأمير ناصر الدولة دارا ومدرسة وأحيا الله به هناك أنواعا من العلوم وتخرجت على يديه جماعة من المتفقهة وكان فقيها متكلما ،وأماما جليلا ،وله تصانيف تبلغ المائة ودعى الى غزنه وجرت له بها مناظرات ،ولما عاد منها توفى سنة ٤٠٦ هـ ونقل الى نيسابور ودفن بالحيرة ،درس مذهب الأشعرى على ابى الحسن الباهلي ،وروى عنه الحافظ ابو بكر البيهقي والاستاذ ابو القاسم القشيري .

١٨ - المدرسة الناصحية بنيسابور . (١)

وهذه أنشئت قبل سنة ٤٠٨هـ ذكرها السبكي فى طبقاته الكبرى ،وهو يترجم لاثنين من مدرسيها ،الأول هو الواحد بن اسماعيل ابن البوشنجي ابو القاسم الفقيه الفاضل الورع من وجوه الفقهاء والمدرسين والمناظرين ،وقد عمل بهذه المدرسه التى أسسها الفقيه ناصح الدولة ،وقد توفى ابو القاسم كهلا سنة ٤٠٨ هـ وأما مدرسها الاخر فهو ابو عبد الله الفراوي محمد ابن الفضل بن احمد بن محمد بن أبي العباس ابو عبد الله الصاعدى النيسابوري الملقب بفقيه الحرم توفى سنة ٥٣٠هـ ، درس الأصول والتفسير على زين الاسلام القشيرى وتفقه على امام الحرمين وحج وعقد المجلس ببغداد وسائر البلاد وأظهر العلم بالحرمين ونشر العلم هناك ثم عاد الى نيسابور ليدرسه بالمدرسة الناصحيه وأم بمسجد الطراز ،وعقد الاملاء ايام الأحد ويروى أنه

-:-

(١) ناجي معروف ،مرجع سابق ،ص : ٣٨ — ٣٩ .

أنه أملي اكثر من ألف مجلس .

١٩ ـ المدرسة البيهقية بنيسابور . (١)

وهذه انشئت قبل سنة ٤٠٨ هـ وقد ذكر تاج الدين السبكي ان المدرسة البيهقية أنشئت قبل ان يولد نظام الملك أى قبل سنة ٤٠٨ هـ وهى السنة التى ولد بها الوزير السلجوقي ومؤسسها على بن الحسين بن على بن الشيخ الموفق البيهقي وكان كاتبا أديبا من وجوه اصحاب الشافعي ،بنى المدرسة من خالص ماله ،وأنفق على عمارتها ومصالحها آلاف مؤلفه توفي فى شوال سنة ٤١٤ هـ ،ومن العلماء الذين جاء ذكرهم فى المدرسة البيهقية .

أبو بكر التميمي ٣٤٩ — ٤٣٠ هـ المقرئ والأديب الفقيه المحدث وابو صالح المؤذن ٣٧٠-٣٨٨ هـ وكان عليه الاعتماد فى الودائع وكتب الحديث ، فكانت موضوعه عنده فى المدرسة البيهقية فكان يصونها ويتعهد حفظها .

وامام الحرمين الجويني ٤١٩ هـ — ٤٧٨ هـ : عبد الملك بن عبد الله ابن يوسف بن محمد بن عبد الله بن حيوية ، أبو المعالي أبن ركن الاسلام ابي محمد الجويني النيسابوري ،وصف بأنه شيخ الاسلام وامام الأئمة ،لما توفي والده أقعده فى التدريس كان يواظب على مجلس استاذه ابي القاسم الاسفراييني رحل الى بغداد فألتقى بكبار العلماء

---

(١) ناجي معروف سابق ،ص : ٤٠ — ٤٥ .

ثم توجه حاجا الى مكة وجاور بها اربع سنين يدرس ويفتي ويجتهد في العبادة ونشر العلم ثم عاد الى نيسابور بعد ولاية السلطان ألب أرسلان السلجوقي ،فبنيت له المدرسة النظامية بنيسابور .

٢٠ - مدرسة ابي الطيب النيسابوري في اسفرايين . (١)

أنشئت سنة ٤١٠ هـ ،وأنشأها ابو القاسم علي بن محمد ابن الحسين بن عمر ،وهو أحد الدهاقين في شهر رمضان سنة ٤١٠ هـ وكان ابو القاسم قد انشأها ليدرس بها علي بن عبد الله ابن احمد النيسابوري المعروف بأبي الطيب وجعلها بأسمه .

٢١ - مدرسة الخفاف بنيسابور . (٢)

" وأنشئت قبل سنة ٤٢٨ هـ ،وأنشأها ابن أبي الوفاء الخفاف من علماء الحديث ،وهو من أصحاب ابي حنيفة ،وقد توفي سنة ٤٢٨ هـ ومن المدرسين الذين ورد ذكرهم في مدرسة الخفاف ابو العباس الصوفي الذي كانت وفاته سنة ٤٧٨ هـ " .

٢٢ - مدرسة أبي بكر البستي بنيسابور . (٣)

وهذه انشئت قبل سنة ٤٢٩ هـ وأسسها : احمد بن محمد ابن عبيد الله بن محمد بن جعفر بن احمد بن موسي ابو بكر البستي الفقيه من كبار فقهاء أصحاب الشافعي والمدرسين والمناظرين بنيسابور ، بنى لأهل

—:—

(١) ناجي معروف ، مرجع سابق ،ص : ٤٥ — ٤٦ .

(٢) نفس المرجع ،ص : ٤٧ .

(٣) نفس المرجع ،ص : ٤٧ — ٤٨ .

العلم مدرسة على باب داره ،ووقف عليها جملة من ماله ، سمع الكثير بنيسابور والعراق وحدث عن الدار قطني وطبقته ،وعقد له مجلس الاملاء فأملى مدة في دار السنه ،مدرسة الصبغي بباب الجامع القديم ، وكانت وفاته سنة ٤٢٩ هـ .

٢٣ ـ مدرسة أبي سعيد الاستراباذي بنيسابور . (١)

وقد بنيت قبل سنة ٤٤٠ هـ أنشأها اسماعيل بن علي بن المثنى ابو سعيد الاستراباذي ،العنبري الصوفي الواعظ، قدم نيسابور قديما وبنى بها مدرسة لاصحاب الشافعي وكانت وفاته في حدود سنة ٤٤٠ هـ .

٢٤ ـ مدرسة أبي الحسن المتوي بنيسابور . (٢)

وهذه انشئت قبل سنة ٤٤٤ هـ وهي لعلي بن احمد المتوي الاستاذ الامام ابو الحسن صاحب اللسان في المناظرة وقد استوطن بنيسابور ،ودرس بالمدرسة ،وكان من اركان ،العلماء بنيسابور توفي سنة ٤٤٤ هـ .

٢٥ مدرسة ابن غاضرة الاسدي ببوشنج . (٣)

وهذه انشئت قبل سنة ٤٥٠ هـ وذكرها ابو الحسن الباخرزي المتوفي سنة ٤٦٧ هـ في ترجمة ابن غاضرة الاسدي فقال :"ابو طالب حمزه بن غاضره الاسدي البغدادي ،ترامت به الأسفار الى بوشنج"

—:—

(١) ناجي معروف ،نفس المرجع ،ص : ٤٨ .

(٢) نفس المرجع السابق ،ص : ٤٨ .

(٣) نفس المرجع.

٢٦ - نظامية نيسابور . (١)

وهذه انشئت سنة ٤٥٠ هـ أنشأها الوزير السلجوقي نظام الملك قبل نظامية بغداد بنحو عشر سنوات وقد درس فيها عبد الملك الجويني المعروف بامام الحرمين المتوفي سنة ٤٨٧ هـ حوالي ثلاثين سنة ،فعلى هذا يكون انشائها فى حدود سنة ٤٨٨هـ، وتعد نظامية نيسابور من أشهر المدارس الاسلامية بنيسابور وقد درس فيها عدد كبير من العلماء .

٢٧ - مدرسة المشطي بنيسابور . (٢)

وهذه انشئت قبل سنة ٤٥٤ هـ ،وذكرها السبكي في طبقاته باسم المدرسه المشطبية ،وذكرها الصير يفنى فى كتاب منتخب السياق أربع مرات باسم مدرسة المشطي ،ومن أشهر مدرسيها والذين عقد مجالس العلماء فيها أو نزلوا بها :ابوسعد الشاماتي سنة ٤٥٤ هـ . ومحمد بن محمد العلوى ،وعلى بن الحسين المروزى ،نزل مدرسة المشطي سنة ٤٥٧ هـ وتوفى سنة ٤٦٤ هـ ،والمبارك الواسطي تفقه ببلده واسط والبصرة وبغداد ومصر وقدم نيسابور وسكن مدرسة أبي العباس المشطي ٤٩٢ هـ

---

(١) ناجى معروف ، مرجع سابق، ص: ٤٩ — ٥٠ .

(٢)نفس المرجع ،ص ٥٠ — ٥٢ .

٢٨ - مدرسة السيوري بنيسابور . (١)

وهذه انشئت قبل سنة ٤٥٨ هـ ،وجاء في منتخب السياق ذكر اثنين من العلماء كانا يسكنان في مدرسة السيوري بباب عزره بنيسابور هما .

أبو العباس الشقاني ت ٤٥٨ هـ ،ومحمد بن اسحق البحاثي أحد الفضلاء المعروفين والشعراء المغلقين توفي بغزنه سنة ٤٦٣هـ

٢٩ - مدرسة العراقي في طوسى : (٢)

وهذه أنشئت قبل سنة ٤٥٩ هـ ،وأنشأ هذه المدرسه القاضي ابو علي محمد بن اسماعيل بن محمد الطوسي المعروف بالعراقي سنة ٤٥٩هـ ،بناها على جامع طابران وهي مدينة طوس

٣٠ - مدرسة الصندلي بنيسابور . (٣)

وهي نشئت قبل سنة ٤٦١هـ ،وهي من المدارس الحنفيه المعروفه بنيسابور وتنسب الى موءسسها على بن الحسن الصندلي المتوفى سنة ٤٨٤هـ ودفن في مدرسته ،ومن المدرسين بها :-
ابو اسحاق الفقيه الدهستاني .

---

(١) نفس المرجع ،ص : ٥٢ — ٥٣ .
(٢) نفس المرجع ص : ٥٤ .
(٣) ناجي معروف ،مرجع سابق ص : ٥٤ .

٣١ - مدرسة السراجين بنيسابور . (١)

وهى قبل سنة ٤٦٥ ،وقد استوطن بها أبو الفرج محمد ابن على بن الخفر الفندجاني سنة ٤٦٣ هـ ،وكان مريضا وسكن بها طويلا .

٣٢ - المدرسه القشيريه . (٢)

وانشئت قبل سنة ٤٦٥ هـ ،ويستدل مما كتب عن المدرسه القشيريه فى طبقات الشافعيه الكبرى أنها كانت موجوده قبل النظاميه فان محمد الغازى المولود سنة ٤٠٥ هـ تفقه فى صباه فيها .

وهى منسوبه الى الاستاذ أبى القاسم القشيرى المولود سنة ٣٧٦هـ والمتوفي سنة ٤٦٥هـ ،ومؤسسها هوعبد الكريم ابن هوزان بن عبد الملك بن طلحه بن محمد النيسابورى ، القشيرى الملقب زين الاسلام كان فقيها بارعا ،وحافظا مفسرا ونحويا لغويا ،أديبا كاتبا شاعرا حدث ببغداد وكان ثقه عقدت له المجالس فى المنازل كمنزل الخليفه القائم بأمر الله العباسي ،ثم عاد الى نيسابور وتزوج من فاطمه بنت أستاذ ، أبي على الرقاق ،فخلف منها ستة بنين ،واليه تنسب الرساله القشيريه المشهوره فى الأدب .

---

(١) نفس المرجع ،ص : ٥٥ .

(٢) نفس المرجع ،ص : ٥٥ — ٥٦ .

٣٣ - مدرسة الشحامي بنيسابور . (١)

وهذه انشئت قبل سنة ٤٧٠هـ ،ولعل هذه المدرسه منسوبه الى طاهر الشحامي وهو أبو عبد الرحمن بن محمد ابن أبي بكر محمد بن أحمد ،وقد ورد ذكر مدرسة الشحامي في ترجمة مسعود بن ابن ابي بكر الانصارى الذى توفى كهلا في مدرسة الشحامي سنة ٤٧٠ هـ .

ولا ينسى ان يعدد لنا ناجي معروف في ختام بحثه عن مدارس المشرق الاسلامي قبل النظاميات اسماء بعض المدارس التي ظهرت في تلك الفترة ،ولكنه لا يريد أن يجزم جزما قاطعا بأن ظهورها أو تأسيسها كان قبل تأسيس النظاميات فما اعتمد عليه الباحث من المصادر التاريخيه وكتب التراجم المعتمده والموثوق بها أشارت الى ان المدرسين أو العلماء الذين نزلوا بتلك المدارس كانت سني وفاتهم بعد تأسيس نظامية بغداد وقد لاحظنا أن ناجي معروف اعتمد على تواريخ الوفيات في تحديده لفترة ظهور كل مدرسه من تلك المدارس أقصد طبعا تواريخ وفيات من عمل بتلك المدارس أو نزل بها .

وقد أراد الباحث ان يصل الى بعض الحقائق التاريخيه والعلميه حول نشأة المدرسه في المشرق الاسلامي ، وأهم تلك الحقائق ما يلي :—

---

(١) نفس المرجع ،ص : ٥٩ .

(٢) نفس المرجع .

١ - ان الاعاجم لم يكونوا هم الذين أسسوا تلك المدارس المستقله عن المساجد بل كان للعرب نصيب وافر في تأسيسها ،فان اول مدرستين انشئتا في نيسابور كانتا على يدى رجلين عربيين لم يكونا من رجال السياسه أو الاداره ،بل كانا من اعلام الفقهاء وكبار العلماء أولهما حسان بن محمد القرشي الاموى من قريش وثانيهما محمد ابن حبان البستي التميمي من تميم . (١)

٢ - أن المدارس الاسلاميه ظهرت في بلاد خرسان وما وراء النهر قبل سنة ٢٩٥هـ ،بينما ظهرت في العراق سنة ٤٥٧هـ ،وفي الشام سنة ٤٩١هـ ،وفي مصر سنة ٥٣٢هـ وفي الحجاز سنة ٥٧٩هـ ،وفي تونس سنة ٦٤٧هـ ،وفي المغرب قبل سنة ٦٨٥هـ ،وفي الاندلس سنة ٧٥٠هـ . (٢)

٣ - أن المدارس التى بنيت قبل نظامية بغداد في خرسان وما وراء النهر كانت كلها أحادية المذهب أى أنها بنيت لمذهب واحد من المذاهب الفقهيه الاربعه وكان أغلبها للشافعيه والحنفيه . (٣)

ويبدوا أن التنافس كان شديدا بين المذهبين لذلك كثيرا ما كانت الخصومه تقع بين الشوافع

—:———————

(١) نفس المرجع ص : ٨ — ٩ .

(٢) نفس المرجع ص : ١٣ .

(٣) نفس المرجع ص : ١٥ .

والاحناف فيضطرب الناس ويتشوش العوام . (١)

٤ - أن هذه المدارس كانت تبنى خارج المساجد وتنفق آلاف مؤلفه من الدنانير على بنائها ، ومما يدل على سعتها انها كانت تحتوى على مساجد ذات مآذن كما كانت تعقد فيها مجالس الاملاء ، ومجالس التذكير والمآتم . (٢) .

٥ - اتخذت هذه المدارس سكنا للمدرسين والطلبه وفي بعض الاحيان كان ينزل بها العلماء الطارئون والمسافرون والعابرون . (٣) .

٦ - أن بعض هذه المدارس كانت لها أوقافها وكانت الجريات تجرى على أربابها من المدرسين والعلماء والطلبه من المتفقهه وأهل الحديث والوعاظ والائمة والموءذنين فقد جعل ابن حبان التميمي المتوفى سنة ٣٥٤ هـ لطلاب مدرسته جرايات تدر الربح يستنفقونها وكانت لابي بكر البستي ثروه كبيره بنى بها لأهل العلم مدرسه ووقف على أربابها جملة من ماله . (٤) .

٧ - اكثر موءسسوا تلك المدارس من ايقاف الكتب على اختلاف علومها وفنونها في المدارس وانشأوا لها المباني الخاصه والحجرات المستقله فان هذه الخزائن

---

(١) السبكي ، مرجع سابق ، حـ ٥ ص : ٣٤٤ .

(٢) ناجي معروف ، المرجع السابق ، ص : ١٥ — ١٦ .

(٣) ناجي معروف ، مرجع سابق ، ص : ١٧ .

(٤) نفس المرجع ، ص : ١٨ — ١٩ .

ستساعد الطلبه على الدرس والبحث فقد ذكرنا أن أباحاتم البستي التميمي سبل كتبه ووقفها وجمعها فى دار رسمها لها وكان يديرها وصى سلمها اليه ليبذلها لمن يريد نسخ شيء منها على ان لا يخرجها من المدرسه . (١) _

٨ - ان دور الحديث التى ظهرت فى نيسابور كانت - دارين للسنه هما دار الحديث البسطاميه ودار السنه الصبغيه وقد تأسستا فى الثلث الاول من القرن الرابع الهجرى فهما يسبقان دار الحديث النوريه بدمشق بأكثر من قرنين وثلث القرن ،كما يسبقان دار الحديث الكامليه بالقاهره بنحو ثلاثة قرون . (٢) .

واذا كان ناجي معروف قد وجه حكما قاسيا لأولئك الباحثين والمؤرخين الذين لم يطلعوا اطلاعا كافيا على على جزء مهم من العلم الاسلامي هو بلاد المشرق . (٣) _ فانه وبحمد الله استطاع بجهده العظيم ان يعرفنا على مركز من مراكز التعليم الاسلامي ظهر فى بلاد ماوراء النهر قبل أن يتأسس ويظهر وينتشر فى العراق والعالم الاسلامي فى منتصف القرن الخامس الهجرى

---

(١) نفس المرجع ص : ١٩ — ٢١ .

(٢) نفس المرجع ،ص : ٩ .

(٣) نفس المرجع ،ص : ٨ .

المدارس النظاميه وتخطيطها :-

يعد العصر السلجوقي عصر انتشار المدارس في العالم الاسلامي وخاصة في العراق ، وقد ذكر ابن جبير في رحلته المعروفه ان المدارس ببغداد وحدها كانت خلال هذا العصر اكثر من ثلاثين مدرسه . (١) .

واذا كانت المدارس النظاميه ليست أول المدارس التي ظهرت في المشرق الاسلامي فانه يمكن القول أنها كانت أول مؤسسات التعليم الرسميه تشرف الدوله على رسم مناهجها وتحدد أهدافها ، وتختار لها المدرسين وتقوم هي بالانفاق عليها . (٢) ، وقد كان الوزير نظام الملك اول من قدر المعاليم للطلبه . (٣) .

ولد الحسن بن علي بن اسحاق بن العباس الطوسي الملقب نظام الملك ، سنة ٤٠٨ هـ ، وكان والده من الدهاقين الذين يعملون في البساتين بنواحي طوس ، وقد حفظه أبوه القرآن وشغله في التفقه على مذهب الامام الشافعي ، ثم خرج من طوس الى غزنه فخدم في الديوان السلطاني والي خرسان فعمل في الدواوين هناك واختص بأبي علي بن شاذان وزير السلطان أرسلان فلما حانت وفاة ابن شاذان أوصى ألب أرسلان به ، وذكر له كفاءته ، وأمانته ، فنصبه مكانه في الوزارة الى ان انقضت دولة ألب أرسلان ، فملك بعده السلطان ملكشاه بتدبير من نظام الملك نفسه لتزداد قوته وتتصاعد مرتبته في الوزارة

---

(١) ابن جبير ، الرحله مرجع سابق ص : ١٨٣ .
(٢) عبد المجيد أبو الفتوح بدوى مرجع سابق ، ص : ٢١٢ .
(٣) السبكي ، مرجع سابق جـ ٤ ص : ٣١٤ .

كان نظام الملك يشجع العلم والعلماء وكانت مجالسه معموره بالعلماء مأهوله بالأئمه والزهاد لم يتفق لغيره ما اتفق له من ازدحام العلماء عليه وترداد هم على بابه ، وثنائهم على عدله وتصنيفهم الكتب باسمه ومن هوءلاء ابو القاسم القشيرى وأبو اسحاق الشيرازى والجويني امام الحرمين ، دامت وزارته ثلاثين عاما قتل في العاشر من شهر رمضان سنة ٤٨٥ هـ فقيل ان الاسماعيليه هى التى قتلته وقيل ان السلطان ملكشاه نفسه هو الذى دس عليه من يقتله لاسباب كثيره أهمها مارأى من قوته وسلطته وتملكه ومنها تعظيمه لأمر الخليفه العباسي في بغداد ، دفن نظام الملك بأصبهان ، ومات السلطان ملكشاه بعده بشهر واحد في بغداد ، (١) .

أما عن أسباب نظام الملك بالمدارس وتأسيسها فقد تعرض عدد من المؤرخين قديما والباحثين حديثا الى تلك الاسباب ومع التأكيد على أثر الدافع الشخصي الذى دعا نظام الملك الى ذلك فان سيرة الرجل وشخصيته وما عرف عنه بالتزامه بالمذهب الشافعي وحرصه على وحدة أهل السنه وعدم ميله الى النزاع الطائفي فقد تكون هناك دوافع أخرى شجعته على ذلك .

ولقد ذهب البعض الى القول بأن فكرة انشاء المدارس هى فكره عارضه طرأت على ذهن الوزير فى محاولته لتبرير موقف طلاب

---

(١) نفس المرجع جـ ٤ ص : ٣٠٩ — ٣٢٨ .

بوءساء مر بهم السلطان ألب أرسلان فى مدينة نيسابور ولم يقدموا له فروض الطاعه فاستفسر السلطان من نظام الملك عن ذلك فقال :ـ

" هوءلاء طلبة العلم وهم اشرف الناس نفسا ولا حظ لهم فى الدنيا ويشهد زيهم على فقرهم" وعندما أحس بأن قلب السلطان لان لهم قال الوزير: " لو أذن السلطان بنيت لهم موضعا وأجريت لهم رزقا ليشتغلوا بطلب العلم والدعاء لدولة السلطان فأذن السلطان له فأمر نظام الملك ببناء المدارس فى جميع انحاء مملكة السلطان وأن يصرف عشر مال السلطان الذى هو مختص بالوزير في بناء المدارس." (١)

وما يمكن ان نستخلصه من المعلومات التى أوردها السبكي في طبقاته الكبرى ان تقوى نظام الملك والتزامه بعقيدته ونصرته للشريعه الاسلاميه كانت وراء انشاء المدارس النظاميه كما يورد لنا السبكي ان بعض فقهاء المذهب الشافعي مثل امام الحرمين الجويني وأبي القاسم القشيرى وغيرهما تعرضوا للاضطهاد فى عهد السلطان طغرلبك مما اضطرهما وأعدادا كبيره من كبار رجال المذهب الشافعي الى الهجرة من نيسابور الى فارس والعراق والحجاز. (٢).

" وحيث ان نظام الملك كان شافعيا متحمسا
للأشعريه فانه لم يكتف حال تسلمه الوزاره
وتفرده بالسلطه بالعمل على اطفاء
نار الفتنه التى اصابت مذهبه

—:

(١) حسام الدين السامرائى ،مرجع سابق ،ص: ١٥ .

(٢) مريزن سعيد مريزن ،مرجع سابق ص : ٢٦٠ .

بل انه قام بانشاء المدارس النظاميه في
أمهات المدن الاسلاميه لنشر المذهب
الشافعي والدفاع عن عقيدته الاشعريه
حتى لقد كتب اسم ابى الحسن الأشعرى
على جميع ابواب المدارس النظاميه" . (١)

" لاشك ان دخول السلاجقة بغداد كان انتصارا عظيما لمذهب أهل السنة على المذهب الشيعي الاسماعيلى الذى كان سائدا أثناء سيطرة البويهيين على العراق والمشرق الاسلامي ، وقد حاول البويهيون القضاء على مذاهب اهل السنة ونشر المذهب الشيعي بشتى الوسائل ، مما دفع السلاجقة وعدد من العلماء الى الوقوف في وجه دعوتهم والدفاع عن صفاء العقيدة السلفية واعطاء الحرية لعلماء أهل السنة وفقهائهم للدفاع عن وجهات نظرهم والرد على خصومهم ، فوجد السلاجقه أنه لابد من القيام بعمل مضاد ومنظم من أجل القضاء على الافكار التى نشرتها الباطنيه ، ورأى هؤلاء وعلى رأسهم الوزير نظام الملك أن نشر العلم واستعمال المنطق وأساليب الجدل العقلى وعلم الكلام ، وهو سلاح الباطنيه ، خير طريق لذلك فسلك نظام الملك طريقه فى انشاء المدارس لمواجهة الباطنيه ودعواتها الهدامه فقد أدرك ذلك الوزير أنّ استخدام القوة والعنف لايجدى نفعا فى ذلك فالحجة لاتقرع الا بالحجة والعقل لايقبل مناظرا الا العقل لأن السيف لايمكنه ان يزيل الافكار الفاسده فأراد ان يخرج جماعات مسلمه واعيه مثقفه مزوده بسلاح العلم والايمان معا لمواجهة خصومة وافساد خططهم (٢)

(١) السامرائى ، مرجع سابق : ص : ١٦ .
(٢) مريزن سعيد مريزن ، مرجع سابق ص : ٢٥٨ .

والذى قد يؤكد قوة الدليل السابق ان الاماكن التى أنشئت فيها النظاميات هى أمهات المدن الاسلاميه فمعظم هذه المدن يحتل مراكز التوجيه والقيادة كبغداد وأصبهان ، والمناطق الاخرى كالبصرة ونيسابور وطبرستان والموصل كانت مراكز تجمع للشيعة فى تلك الفترة . (١)

على كل حال ، مهما يكن من أمر انشاء هذه المدارس على يدى نظام الملك فانها ولاشك عملا عظيما وانجازا رائعا خاصة اذا ماتحدثنا الآن عن الصورة التى كانت عليها تلك المدارس لم تقدم لنا المصادر أو المراجع المتخصصه معلومات كافيه تعطينا صورة واضحة عن المدارس النظامية باستثناء نظامية بغداد ولاشك ان المدرسة النظامية فى بغداد كانت اشهر النظاميات العشر بل انها تكاد أن تكون اشهر المدارس فى تلك الفترة قبل تأسيس المدرسة المستنصريه . (٢)

بدأ العمل بنظامية بغداد سنة ٤٥٧ هـ ، وكان بناؤها ابا سعيد الصوفي وفى سنة ٤٥٩ هـ تم بناؤها (٣) على ضفة دجلة الشرقية قرب الخلافة العباسيه . (٤) وقد بنيت المدرسة النظامية احسن بنيان وكتب اسم نظام الملك على بابها وبنى حولها اسواق لتكون موقوفه للمدرسة (٥)

وقد بلغت الغرف التى كانت معدة للطلاب والمتعلمين

---

(١) عبد المجيد ابو الفتوح بدوى ، مرجع سابق ص : ٢١٧ .
(٢) حسام السامرائي ، مرجع سابق ، ص : ١٩ .
(٣) احمد شلبي ، مرجع سابق ، ص : ١١٩ .
(٤) نفس المرجع .
(٥) حسام السامرائي ، مرجع سابق ، ص : ٢٠ .

٣٦٥ غرفه عدا قاعات التدريس ومحافل المناظرات العلميه وأماكن الراحة . (١) .

ولقد كانت على شكل مستطيل وزوايا متناسبه وكذلك أرجاءها اى أنّ مساحات الغرف والساحات متناسبة فنجد غرف الدروس - والمذاكره والترويح عن النفس واسعه كبيره كما أنّ مصلاها يسع ألوف المصلين ،وكانت المدرسة ذات بنيان مرتفع ،وكانت بها طاقات مستديرة الشكل تنتهى الى ذلك البنيان المشيد ، وقد غطى المرمر أرض الساحه وكذلك غطى سورها . (٢) .

ويبدو انّ مكتبتها كانت عباره عن بناء مستقل يحتوى على خزانة الكتب وغرف معده للقراءة ،وفى مكتبة نظامية بغداد كانت كل أصناف الكتب موجوده فلقد كان نظام الملك يشترى الكتب بأى ثمن لتلك المكتبة كما اشار السبكي لذلك . (٣) .

" وقد ازداد عدد الكتب فى مكتبة نظامية بغداد عن طريق الوقف ،وقد اصبحت نظامية بغداد واحده من اعظم المآثر السلجوقيه ومنارا لخدمة العلم والعلماء فارتحل اليها الطلاب من جميع انحاء العالم الاسلامي لما كانت تقدمه من خدمات جليلة لمنسوبيها من الشيوخ والطلاب فبالاضافة الى ما كان قد خصص من جرايات ووظائف لكل من أقام بها من طلبة العلم فقد كانت تهىء لهم السكن والطعام والملبس وغير ذلك من ضروريات الحياة" (٤)

---

(١) حسام السامرائي ،مرجع سابق ،ص : ٢٠ .
(٢) نفس المرجع .
(٣) نفس المرجع ،ص : ٢١ .
(٤) نفس المرجع .

ولم يبخل نظام الملك على مدارسه بالمال فهو ينفق بسخاء عليها ويخصص لها الاوقاف الواسعة فيذكر ابن الجوزى ان نظام الملك وقف على مدرسته ببغداد ضياعا وأملاكا ،وسوقا بنيت على بابها وأنه فرض لكل مدرس وعامل بها قسطا من الوقف (١) . واهتم كذلك بتوفير السكن للطلاب داخل هذه المدارس فكان لكل طالب غرفه خاصة به . (٢) .

وكان نظام الملك يتفقد مدارسه وخاصة نظامية بغداد ويجلس فى خزانة كتبها ويقرأ بعض الكتب وقد يشارك فى التدريس . (٣) . .

اما ادارة المدرسة التى كانت تولى الاشراف على مصالحها فكانت تتألف من عدد من المسئولين لكل واحد عمل يختص به ولهم رئيس يتابع تنفيذ اعمالهم . (٤)

ويبدو ان الوزير نظام الملك كان يعين لكل مدرسة يتم بناوءها مدرسا للعمل بها ،وقد يكون تعيين المدرس يسبق بناء المدرسة فى اكثر الأحيان . (٥)

" وكما أن طلبة العلم يتسابقون الى نظاميه

---

(١) عبد المجيد بدوى ،مرجع سابق ،ص : ٢٢٤ .

(٢) نفس المرجع .

(٣) نفس المرجع .

(٤) مريزن سعيد مريزن ،مرجع سابق ،ص : ٢٦٩ .

(٥) احمد شلبي ،مرجع سابق ،ص : ٢٥١ .

بغداد فقدكان المدرسون يتطلعون الى التدريس بهـا
حتى وصل الامر ببعضهم الى انيضحى احيانـا
بمذهبه ويتحول عنه الى المذهب الشافعي كمـا
حصل مع ابى الفتح احمد بن على بن تركان المعـروف
بابن الحمامي (٥١٨هـ) كان حنبليا فانتقل الى مذهـب
الشافعي مدرساً بالنظاميه ".(١)

---

(١) عبدالمجيد بدوى ، مرجع سابق، ص ٢٢٥.

وظائف المدرسة النظامية :-

كان يوجد فى المدرسة النظامية مناصب تدريسيه يتم من خلالها تحقيق وظائف المدرسة وتنقسم هذه المناصب الى ثلاث طبقات هى :-(١) .

١ - المدرسون ٢ - المعيدون ٣ - الوعاظ

١ - المدرسون :-

يعينون بمرسوم خاص يصدر عن نظام الملك ويشترط فيمن يعين فى هذا المنصب ان يكون غزير العلم ومعروف عنه ايضا التقوى والصلاح ليليق بهذا المنصب ،وكذلك يوضح المرسوم طريقة التدريس التى يجب ان يتبعها المدرس ،كما يوضح ايضا مقدار ما يتقاضاه المدرس شهريا من مرتب نقدى وجرايات عينيه . (٢) ويوم ان يتولى المدرس التدريس بالنظامية تتم مراسم خاصة حيث يرتدى المدرس عباءه سوداء ويذهب الى المدرسة فى موكب رسمي ويحضر درسه فى ذلك اليوم كبار رجالات الدولة . (٣) .

٢ - المعيد :-

وهذا يجلس للاستماع مع الطلبه للدرس وبعد ان يفرغ المدرس من محاضرته يبدأ هذا المعيد باعادة الدرس على الطلبه

---

(١) مريزن سعيد مريزن ،مرجع سابق ،ص : ٢٦٩ .

(٢) نفس المرجع ، ص : ٢٧٠ .

(٣) نفس المرجع ،ص : ٢٧١ .

موضحا ما غمض عليهم فهمه عن طريق الشرح والاعادة فوظيفته تيسير ما صعب على الطلبه فهمه ،وهذا فى مرتبة اقل من الشيخ المدرس - واعظم من درجة الطلبه . (١) وقد ارتبط ظهور هذه الوظيفة بظهور المدارس النظامية فى منتصف القرن الخامس الهجرى حيث ان ما حققته النظاميات من مناخ دراسي عالى المستوى قائم على التخصصات مكن الطلاب النابغين من البروز على مستوى القاء الدرس والشرح فى مجال تخصصاتهم ،فهذا تم من منطلق استعداد جيد مكنهم من الوصول الى تلك المكانه . (٢)

وكانت ادارة المدرسة النظامية هى التى تقوم بتعيين أولئك المعيدين شريطة ان يكون المعيد على المذهب الشافعي وقد يكون من قبل طالبا فى النظامية فيصبح معيدا وعندما يصبح قادرا على الاجابة لكل اسئلة الطلبه فى كفاءة علميه تضاهي كفاءة المدرس فيوءهل بعد ذلك للتدريس بالمنصب الاعلى ومثال على ذلك جمال الدين ابواسحاق الشيرازى ،ت ٤٧٦هـ معيدا ثم اصبح مدرسا للفقه فى المدرسة النظامية ببغداد . (٣) .

٣ - الوعاظ :-

والواعظ ايضا يشترط فيه أن يكون شافعي المذهب وقد يتولى المدرس وظيفة الوعظ فى المدرسه النظامية

---

(١) احمد شلبى ،مرجع سابق ،ص : ٢٢٥ .

(٢) نفس المرجع .

(٣) مريزن سعيد مريزن ،المرجع السابق ،ص : ٢٧٢ — ٢٧٣ .

الى جانب التدريس فيها ، حيث ان الوعظ يبدأ بعد صلاة العصر على وجه الخصوص او بعد أى صلاة ، ويمكن لبعض الوعاظ الشوافع المشهورين من غير المعينين للوعظ في المدرسة بزيارتها ، وعقد مجالس الوعظ فيها بصفة زائر.(١)

ويضيف حسام الدين السامرائي منصبا اخر الى تلك المناصب الثلاثة وهو منصب نائب المدرس ونواب التدريس ، على الغالب هم العلماء الذين ينوبون عن المدرس في حال غيابه نتيجة مرضه او سفره ولابد ان تتوفر في نواب التدريس نفس المواصفات المطلوبة في المدرس.(٢) وبذلك فقد كانت بالنظامية اربعة مناصب تدريسية .

" لقد أقبل الطلاب على المدارس النظامية خلال العصر السلجوقي اقبالا عظيما وقد درس بالمدرسة النظامية ببغداد الآلاف من التلاميذ والمتفقهه نظرا لما كان يتمتع به علماؤها من سمعة علميه رصينه ، بالاضافة الى ماكان يقدم لطلابها من تسهيلات وخدمات ، وقد درس في المدرسة النظامية ببغداد عدد من الرجال صاروا من مشاهير العلماء وقد تخصص كل واحد منهم في علم من العلوم برع فيه اكثر من غيره ".(٣)

---

(١) حسام الدين السامرائي ، مرجع سابق ، ص ٢٥
(٢) المرجع السابق ، ص ٢٣ .
(٣) مريزن سعيد مريزن ، مرجع سابق ، ص ٢٧٤

ومن هؤلاء الحافظ بن عساكر ت ٥٤١هـ ،والداعية ابن تومرت الذى قاد حركة اصلاح جباره فى المغرب والأديب عبد الرحمن الانبارى شيخ ادباء العراق ت ٥٧٧ هـ والعماد الاصفهاني ت ٥٩٧هـ (١) . أما عن طريقة الدراسة فى المدرسة النظامية فيمكننا القول : ان التعليم فيها كان امتداد للتعليم فى المساجد يركز اولا على تدريس الفقه الاسلامي وأصول الدين والعقيدة ،وكانت نظامية بغداد قد عنيت بموضوع التخصص عناية كبيره ،فقد كان تدريس الفقه الشافعي دافعا من دوافع انشاء هذه المدرسة ،وقد كان ابو اسحاق الشيرازى ٤٧٦هـ أول مدرس يعين فى نظامية بغداد لتدريس الفقه الشافعي ،وقد عينه الوزير نظام الملك عند أفتتاحه النظامية فى بغداد عام ٤٥٩هـ كما عين نظام الملك عبد الوهاب ابن محمد الشيرازى ت ٥٠٠هـ مدرسا للحديث ،وقد استدت مهمة التدريس فى فرع الفقه وأصوله الى اعظم رجال العصر فبالاضافة الى ابي اسحاق الشيرازى تولى ابو نصر عبد السلام بن محمد بن عبد الواحد الصباغ الفقيه الشافعي ٤٧٧ هـ تدريس الفقه الشافعي ،وكذلك قام حجةالاسلام محمد بن محمد ابو حامد الغزالى ت ٥٠٥ هـ بتدريس الفقه فى نظامية بغداد . (٢) .

أما الفرع الثانى من فروع التخصص فى المدرسة النظامية فقد كان الحديث والتفسير والوعظ وكان هناك تخصص ثالث لتدريس

---

(١) السامرائي ،المرجع السابق ،ص : ٢٥ — ٢٦ .

(٢) نفس المرجع ،ص : ٢٦ — ٢٧ .

النحـــو واللغة والأدب . (١) .

ويصف لنا شاهد عيان وهو الرحالة المشهور ابن جبير مجلس علم ووعظ بالمدرسة النظامية ببغداد كان قد حضره بعد صلاة العصر من يوم الجمعة الخامس لشهر صفر ٥٨٠ هـ فيذكر " ان الشيخ رضي الدين القزويني رئيس الشافعيه ، وفقيه المدرسة النظاميـة والمشار اليه بالتقديم فى العلوم الاصوليه ، صعد الى المنبر وأخذ القراء امامه فى القراءة على كراسي موضوعه ثم اندفع يخطب خطبة سكون ووقار وتصرف فى افانين من العلوم من تفسيـر كتاب الله عز وجل ، وايراد حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم والتكلم على معانيه ثم جاءته الاسئلة الشفهيه من كل جانـب فأجاب عليها ، ودفعت اليه عدة رقاع فيها اسئلة مكتوبة فجمعها جمله بين يديه ثم اخذ يجيب على كل واحده منها ، وحـان المساء فنزل عن المنبر وافترق الجمع ، فكان مجلسه مجلس علـم ووعظ ، ووقار هينا لينا ، ظهرت فيه البركه والسكينه " . (٢) .

كما يذكر لنا أنه قد حضر له مجلسا آخر اثر صلاة العصـر من يوم الجمعة الثانى عشر من صفر وأنه قد حضـر ذلـك اليوم مجلسه صدر الدين الخجندى رئيس الائمـة الشافعية . (٣)

---

(١) السامرائي ، مرجع سابق ، ص : ٢٦ .

(٢) ابن جبير ، مرجع سابق ، ص : ١٧٥ .

(٣) نفس المرجـــع .

" ويبد و لنا ان ابن جبير كان د رسا في
الوعظ والتفسير ،فالاستاذ يشرح ماقرأه
الطلاب من القرآن الكريم مستعينا
بالاحاديث الشريفه ومستشهدا بآراء السلف
الصالح وكانت المناقشة والمحاورة مفتوحه
امام الطلاب ،فهناك اسئلة شفهيه وهناك
اسئلة تحريرية ."(١) .

ومما لا شك فيه ان المدارس النظامية كانت تطورا كبيرا للنظام التعليمى فى منتصف القرن الخامس الهجرى ،وقد اصبحت مثالا يحتذى ونموذجا فريدا بنظامه ومنهجه ووقفه وتخصصه وقد عم نظامها سائر المدارس التى انشئت فى القرون التاليه وفى انحاء العالم الاسلامي عامة ،والعراق وبلاد الشام ومصر واليمن خاصة .

وقد كان لنظامية بغداد دور عظيم فى نشر الفكر السني ومقاومة الفكر الشيعي اكثر من غيرها من المدارس النظامية الاخرى لاسباب عدة أهمها :—

١ - وجودها فى بلاد الخلافة العباسية بغداد .
٢ - لانها اطول المدارس النظامية عمرا .
٣ - شهرتها ومكانتها بسبب ما تهيأ لها من امكانات ماديه هائلة وطاقات فكريه عظيمه .
٤ - كان عدد الطلاب الذين ترددوا عليها وتخرجوا منها

---

(١) مريزن سعيد مريزن ، مرجع سابق ،ص : ٢٨١ .

عدد كبيرا جدا .

وهى التى نالت حظا أوفر من شقيقاتها من عناية المؤرخين فسجلوا اخبارها ورصدوا احوال مدرسيها وتتبعوا نشاط الذين تخرجوا منها .

وكان من الطبيعى جدا ان يتخرج من هذه المدارس جيل تحقق على يديه معظم الاهداف التى رسمها الوزير نظام الملك ،فبفضل من تخرج من هذه المدارس ومن درس بها استطاع نظام الملك ان ينشر الفقه الشافعي وان يحارب تيار الباطنيه ويقلص نفوذ الفكر الشيعي على يد رجال من امثال ابى حامد الغزالى الذى الف الكتب الكثيرة فى الرد على الباطنيه الاسماعلية ودافع عن عقيدة الاشعرية بحماس يستند الى دعائم قوية من المنطق وقوة الحجة ،لقد كان الامام الغزالى ثمرة ناضجة من ثمرات المدارس النظامية التى حققت الكثير من اهدافها بظهوره .

أهم المدارس التى ظهرت فى القرن الخامس الهجرى :-

ان انشاء المدارس النظامية هو الذى عجل بظهور بعض المدارس الاخرى التى تدرس المذهب الحنفي فى القرن الخامس الهجرى ولابد ان نشير الى أهم هذه المدارس التى ظهرت فى الفترة نفسها والتى تأسست فيها المدارس النظامية ،وأهم المدارس التى ظهرت هي :—

١ - المدرسة النظامية : .

" وقد سبق الحديث عنها " .

٢ - المدرسة الشرفيه او مدرسة ابي حنيفه .

وقد امر ببناء هذه المدرسة مستوفي المملكة السلجوقي شرف الملك ابو سعد محمد بن منصور الخوارزمي ٤٩٥هـ في بغداد وقد بناها بالقرب من رتبة مشهد ابي حنيفه النعمان بعد ان اشترى ما يحيط بالقبر من ابنيه وعمل على حفر اساس لقبه كبيره تقام فوق القبر ،وكذلك مسجدا بناه بالقرب من المدرسه التى شرعت تدرس المذهب الحنفي . (١) .

" ويبدوا ان انشاء المدرسة النظامية ببغداد هو الذى دفع العميد شرف الملك الى الوصول الى بغداد والاسراع في، بناء مدرسته هذه فقد دخل بغداد فى الثامن من شهر صفر سنة ٤٥٩هـ ومعه هدية للخليفة القائم بامر الله ،وقد فرح أهل بغداد بقدومه لأنه كان عفيفا عن اموال الناس والمحارم فأقام السياسة وأمن الناس وامر ان تبنى مدرسة للحنفيه عند مشهد الامام ابي حنيفه النعمان ،فبنيت ورتب فيها الطلاب وعين لهم من يدرسهم من بين فقهاء المذهب ووقف عليها ضيعة ،وهى التى نالت حظا أوفر من شقيقاتها من عناية المؤرخين فسجلوا أخبارها ورصدوا احوال مدرسيها وتتبعوا نشاط الذين تخرجوا منها". (٢) .

---

(١) مريزن سعيد مريزن ،مرجع سابق ،ص : ٢٨٣ .

(٢) حسام الدين السامرائي ،مرجع سابق ص : ٢٩ .

وقد تمت العمارة فى مدى أربعة اشهر وعلى ذلك فان المدرسة الشرفيه هذه تكون قد افتتحت قبل المدرسة النظامية بأربعة أشهر على الأقل . (١) .

ومن العلماء المشهورين الذين عملوا بهذه المدرسة ، ابوطاهر الياس بن ناصر بن ابراهيم الديلمى ت ٤٦١هـ وهو أول من درس بها وأبو طالب الحسين بن الخضر الزينبى ت ٥١٢هـ ،وقد استمر فى منصبه مدرسا فى مدرسة أبى حنيفه خمسين عاما الى حين وفاته ،وفى سنة ٦٠٤هـ ولى ضياء الدين احمد بن مسعود التركستانى الحنفى الاشراف على التدريس فى المدرسة والنظر فى وقوفها . (٢) .

٣ - مدرسة تركان خاتون المتوفاة عام ٤٨٧ هـ :-

وكانت هذه المدرسة قد أسست باسم ابنة طراج زوجة السلطان ملكشاه السلجوقي بالجانب الشرقى من بغداد بالرصافه وبقيت عامره حتى أواخر القرن الخامس الهجرى وقد أشار ابن الجوزى الى أنها كانت لا زالت قائمة عام ٤٦٩هـ . (٣)

٤ - مدرسة جامع السلطان :-

بنى هذا الجامع والمدرسة الملحقة به السلطان ملكشاه ابن ألب أرسلان السلجوقي سنة ٤٨٥ هـ وقد ذكر ذلك ابن الجوزى وهو يتحدث عن حوادث

---

(١) حسام الدين السامرائي ،مرجع سابق ،ص : ٢٩ .

(٢) مريزن سعيد مريزن ،مرجع سابق ص : ٢٨٤ .

(٣) نفس المرجع ،ص : ٢٨٨ - ٢٨٩ .

هذه السنه ، وممن درس بهذه المدرسه من علماء الحنفيه منهم مسعود بن الحسين بن سعد أبو الحسن اليزدى ٥٧١ هـ وأبوالحسن على بن المرتضى بن محمد العلوى البغدادى ٥٥٦ هـ (١)

٥ - المدرسة التاجيه :—

وتنسب الى تاج الملك أبى الغنائم ٤٨٥هـ والذى أوقفها سنة ٤٨٢ هـ على اتباع المذهب الشافعي ، وتقع هذه المدرسه بباب أبرز من بغداد وقد درس بهذه المدرسة ابوبكر محمد بن أحمد بن الحسين بن عمر الشاشى المتوفى عام ٥٠٧هـ (٢)

٦ - مدرسة قراح ظفر :—

وقراح ظفر محله ببغداد وقد بناها الفقيه ابوبكر الشاشى المتوفى عام ٥٠٧ هـ ودرس بها حتى سنة ٤٨٢ هـ حين انتقل الى المدرسة التاجية . (٣)

٧ - وهناك مدارس ظهرت فى بغداد فى نهاية القرن الخامس الهجرى وقد قامت بتدريس الفقه على المذهب الحنبلى مثل :—

مدرسة المحزمى ومدرسة ابى شجاع ، ومدرسة الابرادى . (٤) .

لقد ازداد عدد المدارس ببغداد منذ أواسط القرن الخامس الهجرى وظل عددها فى ازدياد مطرد منذ ذلك التاريخ حتى سقوطها على يد المغول

———————— :——

(١) نفس المرجع السابق ، ص : ٢٩٠ .

(٢) نفس المرجع ، ص : ٢٩٢ .

(٣) نفس المرجع ، ص : ٢٩٢ .

(٤) نفس المرجع ، ص : ٢٩٥ — ٢٩٦ .

عام ٦٥٦ هـ .

فتأسست في البصره المدرسه النظامية التي أشار اليها ابن الأثير في تاريخه الكامل وهو يتحدث عن حوادث عام ٤٩٩ هـ ، وقد قيل فيها : أنها كانت احسن واكبر من نظامية بغداد وأنها استمرت الى أواخر أيام الخليفه المستعصم بالله . (١) .

وبالاضافة الى المدارس فقد كان هناك دور الحديث ودور القرآن وحلقات الدرس التي ظلت تعقد في المساجد ودور العلماء وقصور الخلفاء والأمراء والوزراء ، فالواقع ان ظهور المدارس والتوسع في التدريس بها لم يلغ دور المساجد في التعليم وخاصة تعليم القرآن والحديث ، وقد استمر ذلك الى حين انشاء المدرسه المستنصريه ببغداد . (٢) .

أما دور الحديث فقد ظهرت لأول مرة في الشام في عهد الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي وأنها انتشرت فيما بعد وظلت مستقله عن المدارس الى ان أنشئت المستنصريه حيث صارت على الغالب تلحق بمدارس الفقه أسوة بالمستنصريه ، أما دور القرآن ، فقد ظهرت قبل ذلك بفترة طويلة ، فدار القرآن الرشائيه التي انشأها رشا بن نظيف الدمشقي المقرئ كانت في حدود سنة ٤٠٠ هـ (٣)

ولقد اشار ابن جبير الى مدارس بغداد عند زيارته لها سنة ٥٨٠ هـ فقال :—

" والمدارس بها نحو الثلاثين وهي كلها بالشرقيه وما

———————

(١) نفس المرجع السابق ، ص : ٣٠٤ .

(٢) حسام الدين السامرائي ، مرجع سابق ، ص : ٣٠ .

(٣) نفس المرجع .

فيها مدرسة الا وهى يقصر القصر البديع
عنها وأعظمها وأشهرها النظامية ولهذه
المدارس أوقاف عظيمة وعقارات محبسة
تتصير الى الفقهاء المدرسين بها". (١)

ولا شك أن انتشار المدارس فى القرن الخامس الهجرى وفى عصر السلاجقة والنفقات الهائلة التى صرفت عليها وميل الناس وخاصة الأثرياء الى بناء مدارس جديدة يشير الى النهضة الثقافيه والعلميه التى كانت قد خدمت اغراض المجتمع الاسلامى وعقيدته.

وقد أشار ناجي معروف الى ثمان وثلاثين مدرسه متنوعه نشأت فى بغداد خلال العصر السلجوقي بعضها يمثل اتجاها مذهبيا مفردا ،فى حين أن كثيرا من هذه المدارس كانت تدرس على أساس المذهبين أو المذاهب الأربعة. (٢)

---

(١) ابن جبير ،مرجع سابق ص : ١٨٣ .

(٢) حسام الدين السامرائي ،المرجع السابق ص : ٢٩

الفصـــــل الخامس

(١) نتائـــج البحـــث

(٢) التوصــــــيات

أولا : أهم النتائج التى توصل اليها البحث :ـ

(١) لم تكن الكتاتيب منتشرة فى جزيرة العرب فى صدر الاسلام ،ولم تكن القراءة والكتابة معروفة الا على نطاق ضيق جدا . وقد شجع الرسول صلى الله عليه وسلم وبقوة منذ بداية الدعوة صحابته على تعلم الكتابة والقراءة .

(٢) كان المسجد أول مكان للدعوة والتعليم والارشاد ،وهو أول مدرسه جماعية منظمة عرفها العرب لتعليم الصغار والكبار على السواء وقد ظل المسجد يؤدى دوره التربوى والتعليمى حتى بعد ظهور المدارس والمعاهد وانتشارها فى البلدان الاسلامية .

(٣) عند انتشار الكتاتيب اتخذت من المساجد مكانا لها فى البداية وما لبثت أن استقلت عنها ،وكان القرآن الكريم نقطة الارتكاز للمنهج الدراسى فيها ،كما كان تعليم مبادئ ، القراءة والكتابة وتجويد الخط والحساب جزءا من مناهجها ولكن تحفيظ القرآن وتجويده هو الأساس الذى قامت الكتاتيب بتعليمه .

(٤) كانت المرحلة التعليميه فى الكتاب تقابل المرحلة الابتدائيه فى مفهومنا العصرى ،وكانت هذه المرحلة تعد الطفل للالتحاق بحلقة علمية فى أحد المساجد لمتابعة دراسة العلوم الدينيه على أيدى بعض العلماء الذين كانوا يتخذون من زوايا المساجد أمكنة للتدريس . .

(٥) كانت هناك امكنة أخرى للتعليم قبل ظهور المدارس مثل منازل العلماء ،ودكاكين الوراقين ،والصالونات الادبيه ،والاربطة وبانتشار المدارس فى النصف الثانى من القرن الخامس الهجرى قل الاقبال على هذه الأمكنه لكنها ظلت قائمة محتفظة بطابعها الخاص

واستمرت تؤدى عملها رغم قلة المقبلين عليها ،فقد هيأت المدارس فرصا أوسع للطلاب والمدرسين .

(٦) مع ظهور الحلقات العلمية فى المساجد بدأت العناية بالمكتبات وكانت هذه المكتبات تلحق بالمسجد أو تستقل عنه بمكان قريب منه وما لبثت المكتبات أن انتشرت فى مساجد بغداد والشام ومصر

(٧) أصبحت المكتبات مركزا هاما من مراكز التعليم وقسما مهما من أقسام المؤسسات التعليمية التربوية فقد كانت مكانا للبحث والدراسة والتأليف ،ووجدت عناية خاصة من الخلفاء والعلماء وظهر نوع من المكتبات المتخصصة فى المدارس الكبيرة لتخدم النظام التعليمى ومن هذه المكتبات دار الحكمة ببغداد وخزانة المدرسة النظامية .

(٨) كانت المدرسة النظامية الاولى فى بغداد والتى افتتحت عام ٤٥٩هـ أول مدرسة أنشأها الوزير السلجوقي نظام الملك وأمدها بالاساتذة والأموال والكتب ،ومالبثت ان انتشرت هذه المدارس فى المشرق الاسلامى وقد نسبت هذه المدارس كلها الى منشئها نظام الملك

(٩) ظهر لنا من خلال البحث ان من الاسباب الداعية لنشأة هذه المدارس وانتشارها محاربة المذهب الشيعى الذى كان سائدا فى عصر البويهيين ومحاولة نشر المذهب السنى ،وتحرير عقول الناس مما علق بها من ضلالات الشيعة وتعصبهم لمذهبهم .

(١٠) كانت المدارس النظامية بداية وانطلاقه لظهور المدارس واستمرار انشائها فى الشام ومصر وفى كل انحاء العالم الاسلامى ،فقد استمر ظهور المدارس بعد نظام الملك وبعد السلاجقة واصبحت الحكومات تعنى بها وتعمل على نشرها والاهتمام بها .

(١١) بدأ تدخل الحكومات بالتعليم بظهور المدارس، فكانت الدولة هي التي تعين المدرسين وتحدد عملهم وتدفع لهم أجورهم، وكانت هي التي تحدد المنهج الدراسي والمذهب الفقهي الذي تسير عليه دراسة العلوم الدينيه في هذه المدارس، ولكن هذا التدخل لم يمس اولئك المدرسين الذين ظلوا في المساجد يفد اليهم طلاب العلم يتعلمون منهم وينهلون من علمهم وثقافتهم .

(١٢) يقسم معظم المؤرخين المعلمين الى : معلمي الكتاتيب والمؤدبين ومعلمي المدارس، وكان معلمو الكتاتيب في ادنى السلم الاجتماعي وقد كانت حالتهم المالية شحيحة ومستواهم الاجتماعي متدهورا أما المؤدبون فقد نعموا بالغنى والرخاء، وقد كان للعلماء الذين عملوا في المدارس النظامية وغيرها مكانة خاصة، وقد حظيت هذه الطائفة بالتقدير والاجلال، وقد خصصت لهم المرتبات فعاشوا في بحبوحة من العيش وبمستوى مالي مرموق .

(١٣) أصبح التعليم مكفولا للفرد بظهور المدارس، وكان تكافوء الفرص في التعليم ظاهرة مميزة في القرنين الرابع والخامس الهجريين وكانت فرصة الفقير لتلقي العلم أوضح وأشمل بعد نشأة المدارس النظامية، فقد أعلن الوزير نظام الملك ان التعليم بمدارسه حق للجميع وأنه للناس جميعا دون مقابل، فقرر بذلك مجانية التعليم ثم زاد على ذلك بأن عين مرتبا للطلاب المعوزين .

(١٤) يعد القرن الرابع الهجري من أزهى العصور الاسلامية فكرا وثقافة، وقد تميز القرن الخامس بعده بظهور المدارس كأعظم انجازات النظام التربوي الاسلامي خلال القرون الأربعة السابقة

(١٥) ظهر كثير من العلماء الذين وجهوا عناية خاصة للتربية الاسلامية في موءلفاتهم كالماوردى ، وابن جماعة ، وابن سحنون ، والغزالى وابن سينا وغيرهم ، وقد كانت موءلفاتهم التربوية تضاهى في النتائج والطرق أعظم النظم التربوية المعاصرة .

(١٦) أصاب النظرية التربوية الاسلامية شيئا من الجمود فى القرن السادس الهجرى ، ولكن روح التعليم لم تخمد جذوتها رغم المشاكل والأخطار التى واجهت العالم الاسلامى وأخطرها الغزو المغولى ، فلم يبخل كثير من المسلمين بالمال لبناء الكتاتيب والزوايا والمدارس .

(١٧) تأثر التعليم الاسلامى تأثرا كبيرا بالمدارس الفكرية والمذاهب الدينية التى أخذت تبرز وتتبلور مع بداية القرن الثالث الهجرى وأهم هذه التيارات الفكرية : مدرسة الأصوليين — مدرسة الفقهاء والمحدثين — والمدرسة الصوفية والفكر الفلسفى ، وقد خرجت هذه المدارس الفكرية كثيرا من المعلمين والعلماء الذين كان لهم دورهم العظيم فى مسار الحركة التعليمية والتربوية والاسلامية .

(١٨) ومن خلال دراسة الباحثة لأهم آراء المربين المسلمين وجد أنه لم تكن النظرية التربوية الاسلامية تفصل بين الدين والعلم ، فجوهر النظام التربوى فى الاسلام هو العلم ، ومحوره الفرد المسلم ، ومن خلال تطبيق ذلك النظام تطبيقا صحيحا تنمو روح الجماعة لدى الانسان المسلم وعليه يتكون المجتمع الاسلامى الذى يعتبر الهدف الأساسى للتربيه الاسلامية ، فالمجتمع المسلم هو غاية ونهاية ما تصل اليه تلك التربيه المثلى .

(١٩) وقد نتج أيضا بتظافر جهود أولياء الأمور لدى الطفل المسلم والكتاتيب والمدارس والمساجد يتحقق هدف من أهداف التربية

الاسلامية وهو طبع الانسان المسلم بطابع التربية الشاملة المتوازنة في تكوين شخصيته أى الاهتمام بنمو الناحية الجسمية والعقلية والروحية بحيث لا يطغى جانب على الآخر .

(٢٠) ومن النتائج الهامة أيضا أنه من الخطأ القول دائما بأن ظهور المدارس في الاسلام كان مرتبطا بغايات سياسية أو دينية أوعقائدية فالحقيقة الهامة هى ان تطور الحياة الطبيعى هو الذى فرض على المجتمع الاسلامى ظهور المدارس وانتشارها لتكون المركز التعليمى الأهم الذى يخرج مستوى أعلى من الدارسين يلبى احتياجات الدولة الحضارية ،وكان من الطبيعى أن يسود اتجاه مذهبى معين على مناهج هذه المدارس ما دامت الدولة هى التى تعمل على انشاء هذه المدارس وتلبى احتياجاتها واحتياجات معلميها وطلابها .

(٢١) ومما تقدم من نتائج وبالنظر الى الأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية فى الفصل الأول لهذا البحث نجد أن الأمة الاسلامية قد منيت بصفة عامة والمشرق الاسلامى بصفة خاصة بتفتيت سياسى فى القرن الخامس الهجرى ،وعلى اثره أصبح المسلمون ضعفاء سياسيا ولكن هذا لم يؤثر بالسلب فى الناحية العلمية والثقافية بل والحضارية كلها ،فقد حدث العكس،ويعزا ذلك الى ان التفاعل الحضارى قد تم قبل فترة التمزق والتفتيت هذه ،فنجد التبادل ، الثقافى والاقتصادى والرحلة فى طلب العلم مستمرة جميعها دون ،، وجود حائل لها وذلك بفضل الله أولا ،ثم بوجود حكام أنار الله بصيرتهم للحق فكلفهم ذلك الأمر الجهاد ببذل المال واسداء النصح والتوجيه السديد فى سبيل تشجيع الحركة العلمية والثقافية

ثانيا :- التوصيات :—

في هذا العصر الذى تواجه فيه الأمة الاسلامية كثيرا من التحديات والاخطار والهجمات يعانى النظام التربوى الاسلامى فى معظم البلدان الاسلامية من التحدى الأكبر الذى تساعده الدولة من خلال مؤسساتها التعليمية القائمة على النظم التربوية الغربية المستوردة بحجة التحديث والمعاصرة ومواكبةتطورات العصر ،وكان للغزو الفكرى والثقافى الغربى والشرقي أثر بارزفى حدوث أزمة التربية الاسلامية التى يعيشها عالمنا الاسلامى ونحن لا نريد الخوض فى تفاصيل هذه الأزمة التربوية الفكرية العقائدية ولكننا نريد بعد الحديث عن أهم المؤسسات التربوية الاسلامية أن نوصى بما يمكنه المساعدة على مواجهة تيارات الهدم والالحاد ،والتى تتقنع بأشكال شتى تخفى وراءها السموم والاحقاد والمخاطر وأهم هذه المقترحات والتوصيات

(١) احياء دور المساجد كمراكز هامة من مراكز التعليم فى العالم الاسلامى تصلح لتعليم الصغار والكبار ،والتركيز على تحفيظ القرآن الكريم والعلوم الدينية الأخرى ،فترجع للمسجد مكانته الأولى من أنه مكان لممارسة شعائر الاسلام وباعتباره أيضا جامعة ومعهدا يتلقى فيه الطلبة العلم مما يحقق بالتطبيق العملى النظرية القائله بتلازم الدين والعلم وتكاملهما لبعضهما البعض،فيكون منارا للعلم ورافدا من روافد التربية الاسلامية الأساسية .

(٢) اعداد المعلم المسلم اعدادا فكريا وعقائديا وسلوكيا ،فالمربى الذى لا يؤمن بعقيدة الامة لا يمكن أن يؤتمن على تربية الأجيال تربية اسلامية سليمة ،فالمعلم قدوة لطلابه ،والمعلم الذى لا يحرص على

تنمية الثقافة الاسلامية الصحيحة فى نفوس طلابه يسهم فى تحلل شخصياتهم بدلا من تنميتها وصيانتها .

(٣) العمل على القضاء على الأمية ومحوها بأسرع ما يمكن ، فالأمة الجاهلة لا يمكن أن تواجه التحديات المحيطة بها ، ولا يمكن أن تستغل مواردها أو تصنع مستقبلها ، والاسلام دين العلم وينبغى الا يكون فى الامة الاسلامية أمى واحد ، ولا بد من تعاون المدرسة والمسجد ومؤسسات التعليم والاعلام للقضاء على الأمية المتفشية فى مجتمعنا الاسلامى .

(٤) احياء التراث التربوى الاسلامى ونشره ودراسته ، وتحديد أسس النظرية التربوية الاسلامية وأصولها والغاء ازدواجية التعليم الدينى والدنيوى ، والتركيز على آراء المربين المسلمين الأوائل كالغزالى والماوردى وابن سحنون وابن جماعة وغيرهم فى المناهج التعليمية ووسائل الاعلام المختلفة لنبرز نظرياتهم التى تفوقت على النظريات التربوية المعاصرة والحديثة .

(٥) الاكثار من مدارس تحفيظ القرآن الكريم وتعليمه وتجويده وتفسيره ونشر هذه المدارس فى القرى البعيدة ، وجعلها للصغار والكبار على السواء ، ومحاولة نشر مثل هذه المدارس فى كافة الأقطار الاسلامية مهما كانت الصعوبات والتكاليف المادية لمواجهة المدارس التبشيرية والطائفية المنتشرة فى بعض البلدان الاسلامية والتى كانت نوعا من أنواع الغزو الفكرى والثقافى للامة الاسلامية .

(٦) النظر فى مناهج التعليم فى مراحله المختلفة ليواكب المفهوم الصحيح للنظرية التربوية الاسلامية ذلك المفهوم الذى يعمل على تربية السلوك وغرس القيم لدى المتعلم فيزاول ما يدرس نظريا

مزاولة عملية وبخاصة فى مسائل الفقه والعبادات .

(٧) العناية بوسائل الاعلام المختلفة من اذاعة وتلفاز وصحف ومجلات للاستفادة التربوية منها ،فالاعلام الموجه فى عصرنا وسيلة هامة من وسائل التربية والتعليم يمكن أن يساعد مساعدة فعالة فى تطوير النظرية التربوية الاسلامية وتقدمها ،الى جانب العناية بالموءسسات الاجتماعية الأخرى .

(٨) تعليم المرأة وتثقيفها بمعزل عن الأخطار التى قد تهدد كيان المجتمع المسلم ، والرد على آراء المستشرقين واعداء الأمة الذين أرادوا اظهار المرأة المسلمة بأنها بعيدة كل البعد عن اهتمامات المربين والمعلمين القدماء ،رغم ان تعليم المرأة كان معروفا منذ أيام الرسول صلى الله عليه وسلم ،فيجب العناية بتعليم الفتاة المسلمة وبالتربية الأسرية فى اطار التصور الاسلامى ،كما يجب ابراز تجربة المملكة الرائدة فى مجال تعليم المرأة التى يمكن أن تكون نموذجا فريدا يحتذى به ،فالمرأة بالمملكة العربية السعودية تتلقى أرقى درجات التعليم فى معزل عن مخالطة الرجل والرد على دعاة ذلك الاختلاط .

(٩) الاهتمام بتربية الفرد المسلم منذ السنوات الأولى من عمره من خلال مراقبة روضات التعليم للاطفال دون السادسة والعناية بمربيات هذه المرحلة الأساسية للواتي يزرعن فى نفوس اطفالنا كل ما يتلقونه على ايديهن ،واتباع المنهج القرآنى فى تلقين هوءلاء الاطفال مبادىء التربية الاسلامية وبيان الحقائق بالطرق الاقناعية المبسطة التي تتلائم وقدرات هوءلاء الاطفال فى هذه السن وتعويدهم على الصلاة وتحفيظهم آيات من القرآن الكريم والأناشيد الدينية الاسلامية

لتكون هذه الروضات التعليمية بمثابة الكتاتيب التعليمية التي كانت قائمة على أرض العالم الاسلامي في القرون الاسلامية الأولى

(١٠) ابراز دور المعلم المسلم، والاعتراف بأهمية مهنة التعليم في المجتمع المسلم، وتأكيد أولوية العناية بها واصلاح شأنها على جميع المستويات، والاهتمام بالناحية النفسية لدى المعلم المسلم من خلال الاهتمام بكل ما يطور هذه المهنة ويدفعها الى الامام ومن الضروريات في اختيار المعلم المسلم أن يكون من الفئات عالية الذكاء، وكذلك لابد من العناية باعداده وتدريبه وحسن رعايته ماديا واجتماعيا، فهو الأساس في انجاح كل عملية تربوية.

(١١) قصر المدارس الأجنبية القائمة في بعض انحاء العالم الاسلامي على أبناء الجاليات الاجنبية وعدم السماح بارسال أولاد المسلمين الى تلك المدارس في مدارس التعليم العام لما في ذلك من خطورة على تربيتهم الاسلامية خاصة وأن بعض هذه المدارس أنشئ لتلك الغايات الهدامة، وكذلك عدم السماح بانشاء جامعات أجنبية في الدول الاسلامية مهما كانت الغايات العلمية التي تتستر وراءها.

(١٢) العناية بتدريس اللغة العربية فهي لغة القرآن الكريم ولغة التراث الاسلامي العظيم، ونحن نرى مدى الاخطار التي تهدد لغة القرآن من دعوات للكتابة بالهجات العامية أو الكتابة بالأحرف اللاتينية، وهي دعوات استعماريه صهيونية للقضاء على اللغة العربية لأنها لغة القرآن الكريم.

(١٣) التركيز على الكيف في المعلومات، فقد ابتلى النظام التعليمي في معظم البلدان الاسلامية بالتركيز على حشو المعلومات في عقول الطلاب وذلك على حساب بناء العقل المفكر، المنتج، المحلل، وليس.

هناك نظام تربوى فى العالم كالنظام التربوى الاسلامى كان يركز على استعمال العقل والتحليل والتبصر واعمال الفكروطلب البرهان وقد أكد ذلك دائما فى مصادره الاساسية متمثلة بالقرآن الكريم والسنة المطهرة ،فلماذا تعتمد مناهجناالتعليمية على الكم على حساب الكيف لعل هذه الظاهرة هى التى اشغلت طلاب العلم عن البحث العلمى وعن تنمية طرق، التفكير عندهم .

(١٤) محاولة ربط التربية بالمجتمع بحيث تصبح التربية تطورا طبيعيا نابعا من ذلك المجتمع مستجيبة لاحتياجاته وملبية لطلباته الدينية والدنيوية على حد سواء ، فالتصور الصحيح للتربية الاسلامية هو سعادة المجتمع المسلم دينا ودنيا وهذا يتطلب الاهتمام بالمجتمع المسلم ككل فى السياسة التعليمية فقط بتربية الجماعات فى المؤسسات التعليمية وما أحوج مجتمعاتنا لذلك الآن .

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم :-

أولا : المصادر العربية المطبوعة :—

(١) ابن الأثير : عزالدين ابو الحسن على بن ابى الكرم محمد ابن محمد ،ت ٦٣٠ هـ ط دار صادر . بيروت دار بيروت ، ١٣٩٩ هـ .

(٢) الاصفهاني : أبوعبد الله عماد الدين محمد بن محمد ت ٥٩٧ هـ تاريخ دولة آل سلجوق ، اختصار الفتح بن على بن محمد البنداري ، ط ، بيروت دار الآفاق الجديدة ، ١٤٠٠ هـ .

(٣) البلاذري : احمد بن يحى بن جابر ت ٢٧٩ هـ ، فتوح البلدان بيروت : دار الكتب العلمية ١٤٠٣ هـ

(٤) ابن جبير : ابو الحسن محمد بن احمد ، ت ٦١٤ هـ أدب الرحلات ، رحلة ابن جبير ، ط ٢ . بيروت : دار مكتبة الهلال . ١٩٨٦ م .

(٥) ابن جماعة : ابو اسحاق ابراهيم بن السيد العارف سعد الله الكناني ، تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم ، دار الكتب العالمية . بيروت .

(٦) الحموي : ياقوت ت ٦٢٦ هـ ، معجم البلدان ، طبعة دار صادر بيروت ، دار بيروت ، ١٤٠٤ هـ .

(٧) الخطيب البغدادي الحافظ بن أبى بكر احمد بن على ، ت ٤٦٣ هـ تاريخ بغداد أو مدينة السلام ، بيروت : دار الكتب العلمية .

(٨) ابن خلدون : عبد الرحمن بن محمد ت٨٠٨هـ ،المقدمة ط ٤ مكه المكرمة : دار الباز للنشر والتوزيع١٣٩٨هـ

(٩) ابن خلكان : ابو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر ت ٦٨١هـ ،وفيات الاعيان وانباء أبناء الزمان تحقيق : احسان عباس،طبعة دار صادر .بيروت دار صادر .

(١٠) الرازى : محمد بن بكر،مختار الصحاح ،بيروت : دار الكتاب العربي ،١٩٦٧م .

(١١) السبكى : تاج الدين ابو نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي ،ت ٧٧١هـ طبقات الشافعية الكبرى ، تحقيق :عبد الفتاح محمد الحلو،ومحمود محمد الطناحي ،ط ١ القاهره : مطبعة عيسى البابي الحلبى .

(١٢) الطبرى : ابو جعفر محمد بن جرير ،تاريخ الطبرى تاريخ الرسل والملوك ،تحقيق : ابو الفضل ابراهيم حـ ٩ ،القاهره : دار المعارف ،١٣٨٢هـ .

(١٣) الفاسي : تقي الدين محمد بن احمد الحسنى ت ٨٣٢هـ شفاء الغرام باخبار البلد الحرام ،حـ ٢ ،بيروت ، دار الكتب العلمية ،د . ت .

(١٤) ابن فهد : محمد بن محمد بن فهد ،اتحاف الورى باخبار أم القرى ،حـ ٢ ،ط ١ ،القاهره : مكتبة الخانجي ١٤٠٤هـ ،ص : ٤٣٦ — ٤٤٠ .

(١٥) الماوردى : ابو الحسن على بن محمد بن حبيب ت ٤٥٠هـ ادب الدنيا والدين ، ط ٣ بيروت : دار مكتبة الهلال ، ١٩٨٥م .

(١٦) مسلم : مسلم بن الحجاج ، الجامع الصحيح المسمى صحيح مسلم بيروت : دار المعرفة ، د . ت .

(١٧) المقدسي : شمس الدين ابي عبد الله محمد بن ابى بكر البنا ، احسن التقاسيم فى معرفة الاقاليم ط٢ ، ليدن : ١٣٢٧ هـ .

(١٨) مسكوية : أبو على احمد بن محمد بن يعقوب ، تجارب الامم وتعاقب الهمم ، مصر ١٣٣٤ هـ .

(١٩) النعيمي : عبد القادر بن محمد النعيمى الدمشقي ت٩٢٧ ، الدارس فى تاريخ المدارس ، حـ١ دمشق مطبعة الترقى ، ١٩٥١م .

(٢٠) النووى : يحى بن شرف النووى ، رياض الصالحين ، توضيح مصطفى محمد عماره ، بيروت : دار الفكر ، ١٣٩٧هـ .

ثانيا : المراجع العربية والمعربة :—

(١) احمد منير الدين ، تاريخ التعليم عند المسلمين والمكانة الاجتماعية لعلمائهم ، ترجمة وتلخيص وتعليق سامى الصفار ، الرياض : دار المريخ للنشر ، ١٤٠١ هـ .

(٢) امين : احمد ضحى الاسلام ، ط٨ القاهره : مكتبة النهضة المصرية ١٩٧٤م .

(٣) امين : احمد ظهر الاسلام ، ط ٣ ، بيروت : دار الكتاب العربى د . ت .

(٤) الاهواني : احمد فوءاد ،التربية فى الاسلام ،القاهره : دارالمعارف بمصر ،د . ت .

(٥) بدوى : عبد المجيد ابو الفتوح : التاريخ السياسى والفكرى للمذهب السنى فى المشرق ،ط ١ ،جده : عالم المعرفه ،١٤٠٣ هـ .

(٦) البريزات : عبد الحفيظ ،نظرية التربية الخلقيه عند الغزالى ،د.ت

(٧) بيطار : امينه ،موقف امراء العرب بالشام والعراق من الفاطميين حتى اواخر القرن الخامس الهجرى ،دمشق : دار دمشق ،١٩٨٠م

(٨) الجمبلاطي : على ،وابو التفوح التوانسي ،دراسات مقارنة فى التربية الاسلامية ،ط ٢ القاهره : مكتبة الانجلو المصرية ١٩٧٣

(٩) جمعه : محمد لطفى ،تاريخ فلاسفة الاسلام فى الشرق والغرب ،المكتبة العالمية .

(١٠) حسن : حسن ابراهيم ،تاريخ الاسلام السياسى والدينى والثقافى والاجتماعى ،ط ٧ القاهره : مكتبة النهضة المصرية ،١٩٦٥م .

(١١) حسين : ابو لبابه ،التربية فى السنة النبوية ،ط٣ ،الرياض دار اللواء ،١٤٠٣ هـ .

(١٢) حماده : محمد ماهر : المكتبات فى الاسلام ،ط ١ بيروت: موءسسة الرسالة ،١٣٩٠ هـ .

(١٣) خان : محمد وصى الله ،التربية والمجتمع فى العالم الاسلامى ط ١ ،جده : موءسسة عكاظ للنشر والتوزيع ،١٤٠٣ هـ .

(١٤) الدهيش:عبد اللطيف بن عبد الله ،الكتاتيب فى الحرمين الشريفين وما حولهما ،ط ١ مكه المكرمه : مكتبة النهضة الحديثة ،١٤٠٦ هـ

(١٥) ديرانيه : اكرم رسلان ،الحكم والادارة فى الاسلام ، جـده
دار الشروق ،د .ت .
(١٦) رضا : محمد جواد ،الفكر التربوى الاسلامي ، مقدمه فى أصوله
الاجتماعية والعقلانيه ،الكويت : دار الكتاب الحديث،د .ت .
(١٧) رمضان : احمد ،المجتمع الاسلامي فى بلاد الشام فى عصر
الحروب الصليبيه ،القاهره : الجهاز المركزى للكتب الجامعية
موءسسة روز اليوسف ،١٩٧٧م .
(١٨) الزبيدى : محمد حسين ،العراق فى العصر البويهي ،القاهره
دار النهضة العربية ،١٩٦٩ م .
(١٩) زكار : سهيل .
(١) تاريخ العرب والاسلام عند ما قبل المبعث وحتى سقوط
بغداد ،ط ٣ ،بيروت : دار الفكر ،١٣٩٩ هـ .
(٢) مدخل الى تاريخ الحروب الصليبيه ،ط ٢ بيروت
دار الفكر ١٩٧٥ م .
(٢٠) السباعي : احمد ،تاريخ مكة ،حـ ١ ،ط ٢ مكة : مطابع قريش
١٣٨٠ هـ .
(٢١) سلطان : محمود السيد ،مسيرة الفكر التربوى عبر التاريخ
ط ١ ،جده : دار الشروق ،١٤٠٣ هـ .
(٢٢) شلبي : ابوزيد ،تاريخ الحضارة الاسلامية والفكر الاسلامي
ط ٣ ،القاهره : مكتبه وهبه ،١٣٨٣ هـ .
(٢٣) شلبي : احمد ،التربية الاسلامية نظمها فلسفتها تاريخها ط ٧ ،
القاهره : مكتبة النهضة المصرية ١٩٨٧ م .
(٢٤) شندى : محمد حسين ،الحضارة الاسلامية فى بغداد ط ١ —
بيروت دار النفائس ،١٤٠٤ هـ .

(٢٥) ضيف : شوقي ،تاريخ الادب العربي ،عصرالدول والامارات حـ ٥ ،ط ٣ القاهره : دار المعارف ،د . ت .

(٢٦) طلس : محمد اسعد .

(١) تاريخ الامة العربية عصر الازدهار بيروت : دار الاندلس د . ت .

(٢) التربية والتعليم فى الاسلام ،ط ١ بيروت : دار العلم للملايين ،١٩٥٧ م .

(٢٧) العبادى : احمد مختار ،فى التاريخ العباسى والفاطمى بيروت : دار النهضة العربية ،١٩٧١ م .

(٢٨) عبد العال : حسن ،التربية الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى القاهره : دار الفكر العربي ،د . ت .

(٢٩) عبد العزيز: محمد الحسينى ،الحياة العلميه فى الدولة الاسلامية ،الكويت ،وكالة المطبوعات ،د . ت .

(٣٠) عبود : عبد الغنى ،الفكر التربوى عند الغزالى ،ط١ ،دار الفكر العربي ،١٩٨٢م .

(٣١) على : سعيد اسماعيل .

(١) دراسات فى التربية الاسلامية ،ط ١ القاهره : عالم الكتب ١٩٨٢ م .

(٢) معاهد التعليم الاسلامي ،القاهره : دار الثقافة ،١٩٧٨م .

(٣٢) على : سيد امير ،مختصر تاريخ العرب ،ط ١ بيروت : دار العلم للملايين ، ١٩٨١م .

(٣٣) على : محمد كرد ،خطط الشام ،دمشق ،المطبعة الحديثة ،١٣٤٣

(٣٤) عيسى : احمد ،تاريخ البيمارستانات فى الاسلام ط ٢ ،بيروت دار ، الرائد العربي ،١٤٠١ هـ .

(٣٥) ابو العينين : على خليل ،قراءة تربوية فى فكر ابو الحسن البصرى والماوردى ،الكويت : دار الكتاب الحديث د .ت .

(٣٦) الغامدى : على محمد على عوده ،بلاد الشام قبيل الغزو الصليبى ،مكه المكرمه ،المكتبة الفيصليه ،١٤٠٤هـ .

(٣٧) فرحان : اسحق احمد ،التربية الاسلامية بين الاصالهوالمعاصره ط ٣ ،عمان : دار الفرقان للنشر والتوزيع ،١٤٠٤ هـ .

(٣٨) فروخ : عمر ،تاريخ الادب العربي ،بيروت : دار العلم للملايين د .ت .

(٣٩) فكرى : احمد ،مساجد القاهره ومدارسها جـ ١ القاهره دار المعارف ،د .ت .

(٤٠) كحاله : عمر رضا ،جولة فى ربوع التربية والتعليم ،ط بيروت موءسسة الرسالة ،١٤٠٠ هـ .

(٤١) الكيلاني : ماجد عرسان ،تطور مفهوم النظرية التربوية الاسلامية ط ٢ ،المدينة المنورة : دار التراث ،١٤٠٥هـ .

(٤٢) مرسى : محمد منير .

(١) أصول التربية الثقافية والفلسفية ،ط ٢ القاهره عالم الكتب ،١٩٨٥م .

(٢) تاريخ التربية فى الشرق والغرب ،القاهره : عالم الكتب ،١٩٨٠م .

(٣) التربية الاسلامية اصولها وتطورها فى البلاد العربية ط ٢ ،القاهره : دار المعارف ،١٩٨٦م .

(٤٣) معروف : ناجي مدارس قبل النظاميه ،بغداد : مطبعة المجمع العلمى ،العراق ،١٣٩٣ هـ .

(٤٤) النبراوى : فتحية ،تاريخ النظم والحضارة الاسلامية ،ط٣ جده:
الدار السعودية للنشر ،١٤٠٥ هـ .
(٤٥) النجيحي : محمد لبيب ،الاسس الاجتماعية للتربية ،ط٧ القاهره
مكتبة الانجلو المصرية ،١٩٧٨م .
(٤٦) النحلاوى : عبد الرحمن ،أصول التربية الاسلامية واساليبها
ط ١ ،دمشق :دار الفكر ،د .ت .
(٤٧) اليافي : عبد الكريم ،معالم فكريه في تاريخ الحضارة العربية
الاسلامية ،ط ١ ،دمشق :الشركة المتحده للطباعة والنشر
١٤٠٣ هـ .

ثالثا : رسائل جامعية :ـــ

(١) السامرائي : حسام الدين ،المدرسة مع التركيز على النظاميات
عمان : بحث مقدم للمجمع الملكى لبحوث الحضارة ،١٤٠٦هـ .
(٢) عسيرى : مريزن سعيد مريزن ،الحياة العلمية في العراق في العصر
السلجوقي ،ط ١ مكه المكرمه : مكتبة الطالب الجامعي ،١٤٠٧هـ
(٣) مالكي : سليمان عبد الغنى ،بلاد الحجاز ،الرياض: مطبوعات
دارة الملك عبد العزيز ،١٤٠٣هـ .
(٤) مقادمي : فيصل عبد الله ،التعليم الاهلى للبنين فى مكه المكرمه
تنظيمه والاشراف عليه ،مكه :مطبوعات نادى مكه الثقافى ،١٤٠٤هـ

رابعا : الموسوعات :ـــ

(١) غربال : محمد شفيق ،الموسوعة العربية الميسره ،القاهره
دار الشعب ،١٩٦٥م .

خامسـا : الدوريـات :ـــ

(١) مجلـة العرب :ـــ

ـ تنشئة المكتبة وتطورها ،مقالة عبد اللطيف بـن عبد الله بن دهيش العدد ٨ الرياض،١٤٠٧هـ